الزَّمــان الدِّلالى

دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه فى الثقافة العربية

تأليف

د. كريم زكى حسام الدين

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

الكتاب : الزمان الدلالى

المؤلف : د. كريم زكى حسام الدين

رقم الإيداع : ٣٤٦١

تاريخ النشر : ٢٠٠٢

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 645 - 8

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم } ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هو الَّذي جعل الشَّمْس ضياءً والْقمر نورًا وقدَّره منازل لتعْلمُوا عدد السِّنين والْحساب ﴾

(صدق الله العظيم) «يونس: ٥»

الإهداء :

إلى السلف الذين أحيوا الوقت فصلح بهم زمانهم

إلى الخلف الذين قتلوا الوقت ففسد بنا زماننا

إلى أولئك مع كل الحب وإلى هؤلاء مع بعض العتب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن اللغة وسيلة الإنسان لإدراك ما حوله من ظواهر الكون، ومن هذه الظواهر حركة الزمان التى يستشعرها ويعبر عنها بألفاظ اللغة، فيعيش تجارب الحاضر، ويسترجع ذكريات الماضى، ويستشرف آمال المستقبل، وهو مع استعماله اللغة يلجأ إلى المجاز يصور به إحساسه بالزمان، فيجعل الوقت سيفا إن لم تقطعه قطعك، ويجعل من العمر قطارا فى رحلة الحياة، ويصف أوليات سنوات عمره، بأنها ربيع العمر، وأخرياتها بأنها خريف العمر.

وإذا كان هذا هو إحساس الإنسان بالزمان فهو لديه العمر مقسم على أيام وشهور وسنين، تبدأ رحلته معه يوم دخوله إلى هذه الحياة وتنتهى يوم خروجه منها، وهو فى خلال هذه الرحلة يخاف من الزمان الذى يترك بصماته فى تجاعيد الوجه وشيب الشعر وهذا يعنى الاقتراب من النهاية.

والزمان لدى الإنسان فى المجتمعات الصناعية يعنى المال مقسم إلى جنيهات وقروش وتعبر الإنجليزية عن هذا المفهوم بمثل هذه العبارات : To Spend Time ,

To Spend money , To Pay a visit , To pay money, The Watch gains or Loses

الساعة تربح أو تخسر أى تقدم أو تؤخر.

وإذا كان الإنسان ينجح فى استعادة ما يسرق منه من نقود، فإنه لن ينجح فى استعادة ما يسرق من الوقت، إننا متهمون - نحن أصحاب الثقافة العربية - بإهدار

الوقت وتضييعه، وإذا صدق هذا الاتهام علينا فى حياتنا المعاصرة الآن فإن لغتنا العربية التى جرت على ألسنة الآباء والأجداد تنفى هذا الاتهام.

لقد نشرت هذه الدراسة منذ أكثر من عشر سنوات، ونعود لنشرها بعد نفاد الطبعة الأولى التى لقيت قبولا واستحسانا لدى المتخصصين وغير المتخصصين، وقد أضفنا إليها فصلا رابعا فى الباب الثانى بعنوان : دلالة الزمان والسياقات اللغوية وأرجو أن تكون هذه الدراسة فى طبعتها الثانية تذكيرا بقيمة الوقت فى حياتنا، فنعود إلى سيرة السلف الذين أحيوا الوقت فصلح بهم زمانهم.

وحسبى بهذا العمل أننى قد بذلت جهدًا متواضعًا لخدمة لغة القرآن الكريم، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ. د. كريم حسام الدين

أستاذ الدراسات اللسانية كلية الآداب

جامعة الزقازيق - فرع بنها

هضبة المقطم فى ٢١ جمـادى ١٤٢١

١١ أغسطس ٢٠٠١

ص ب ٨٣ المقطم ١١٥٧١ - القاهرة

مقدمة الطبعة الأولى

لقد شغلت ظاهرة الزمان الإنسان منذ أن دب ودرج فى هذا الكون، لأنه فى الزمان يعلن يوم مجيئه إلى الحياة، وبالزمان يسجل يوم رحيله عنها، وبين الميلاد والموت يعيش مراحل حياته مع الزمان لينتقل من طور إلى طور جسما وعقلا، ويحقق ما يريده وما يهدف إليه، وينظم ما يقوم به من عمل ونشاط من خلال شهادات تحمل توقيع الزمان، مثل شهادة الميلاد وشهادة الوفاة والشهادات الدراسية والعلمية ووثائق السفر وتحقيق الشخصية.

وإذا كان هذا هو شأن الإنسان مع الزمان، فإنه قد يجد نفسه أحيانا فى صراع معه، ويتمثل هذا الصراع فى كيفية السيطرة عليه حتى لا يصبح عبدًا له، خاصة عندما يكتشف ذاته المتمثلة فى قدرة أو موهبة علمية أو فنية أو أدبية، ومن ثم يحتاج إلى وقت لتجويدها وتمثيلها للآخرين، ويتطلب هذا الوقت قدرة على التنظيم، أو بالأحرى القدرة على السيطرة عليه، وإذا نجح الإنسان فى ذلك، فإنه ستتولد لديه - أو قل سيكسبه الزمان - عادات خلقية كالصبر والمثابرة، والصمود والتحمل، ومن هنا يصبح الزمان عنصرًا مكملا للإنسان ويتحول من سيف قاطع إلى صديق نافع.

لقد كان الزمان سيد الإنسان، فأصبح الإنسان سيد الزمان بفضل عقله الذى مكنه من إنجاز كثير من الاختراعات التى حققت له هذه السيادة، ولهذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا إن الزمان والإنسان هما اللذان يصنعان كل حضارة، وإذا كان الزمان وعاء للأحداث - كما ستبين هذه الدراسة - فإن قيمة الزمان ترتبط بقيمة الفعل

أو الحدث الذى يتم فيه، وإذا كان هذا الحدث أو الفعل من صنع الإنسان فإن القيمة الجوهرية له تتمثل فيما فعله فى الماضى، وما يفعله فى الحاضر، وما سيفعله فى المستقبل.

لقد كانت محاولات الإنسان على مر العصور تهدف إلى اختزال الزمان والمكان والسيطرة عليهما منذ أن اكتشفت النار، ثم انتقلَ إلى عصر البخار، ومنه إلى عصر الكهرباء حتى وصل إلى عصر اختراق الفضاء واكتشاف الذرة، لقد نجح الإنسان بالتقنية الحديثة فى تضييق شقة الزمان وتوسيع رقعة المكان، أى الوصول إلى أقصى رقعة مكانية فى أقصر مدة زمنية، وكان لهذا النجاح انعكاسات ملموسة فى حياة الأفراد والجماعات مثل ظهور اتجاه الهجرات الفردية والجماعية لطلب العلم والرزق، وسرعة انتشار الأفكار والآراء السياسية والاجتماعية والدينية وأنواع الملابس والأزياء وأشكال وأنماط المسكن والأثاث، وغير ذلك من الظواهر الإنسانية التى تعتبر من نتائج سيطرة الإنسان وقدرته على اختزال الزمان بواسطة وسائل الاتصال والمواصلات المختلفة.

وإذا كان الفضل يرجع فى ذلك إلى الآلة الغربية التى تجسد لنا مدى إحساس الإنسان الغربى المعاصر بالزمان وشدة وعيه به، فيجب ألا ننسى فى غمرة هذا الانبهار زمان الجواد العربى الأصيل الذى كان يطوى الأرض طيا، هذا الجواد الذى لا يزال الغرب يحتفى به لسرعته وجماله معا، وإذا كنا نستعمل هذا الرمز هنا، فإننا نريد أن نذكر الخلف الذين أضاعوا سنة السلف.

وإذا كانت قيمة الزمان - كما سبق أن أشرنا - ترتبط بقيمة الفعل الذى أنجز وتم فيه، فقد كان وعى أجدادنا المسلمين بالزمان فعالا، وكان زمانهم أسرع من زمان غيرهم فى ذلك الوقت، ولننظر مثلا إلى الزمان الخاطف الذى استغرقته الفتوحات الإسلامية، والزمان المتمهل الذى استغرقته الأمبراطورية الرومانية فى توسيع رقعتها، لقد كان هذا ترجمة لحياة الجماعة العربية الأولى التى اعتمدت على الحركة، واحتفلت بالسرعة التى تختزل الزمان، فوضعت لحركة الإنسان ألفاظا

مثل: المشى، والسعى، والرَّمَل، والهرولة، والعدو، ووضعت لحركة الحيوان ألفاظا مثل: الخبَبَ، والتقريب، والإرخاء، والعدو، ووضعت لسوابق الخيل فى حلبة السباق ألفاظا مثل : المُجلِّى للأول والمُصلِّى للثانى سمى بذلك لأن هامته عند صلا السابق وهى مؤخرة الفخذ، والمُسلِّى للثالث، والتالى للرابع.. وقد سجلت لنا مصادر اللغة والأدب إعجاب الجماعة العربية الأولى بالعدائيين من الصعاليك وغيرهم ممن كانوا يمتازون بسرعة العدو فضربوا بهم الأمثال، فقالوا أعدى من الشنفرى، وأعدى من السليك، كما ضرب المثل بحذيفة بن بدر فى سرعة السير، ومن ذلك قول قيس بن الخطيم قائلا :

هممنا بالإقامة ثم سرنا   كسير حذيفة الخير بن بدر

لقد كان زمان العرب المسلمين أسرع من زمان غيرهم أيضا عندما اخترعوا علامة الصفر، فاختزلوا العمليات الحسابية التى كانت تستغرق من الوقت وتستهلك من الورق الكثير، وتعاون الصفر العربى الذى شغل الفجوة أو الفراغ [1] مع الأرقام الهندية [2] التى تبناها العرب المسلمون ونقلها عنهم الأوروبيون واستعملوها بدلا من الأرقام الرومانية I . II. III . IV كما كان اكتشاف الترقيم العددى من أهم الإنجازات العلمية التى عرفها الأوربيون عندما دخل لفظ الصفر العربى إلى اللغات الأوربية فى القرن الثانى عشر الميلادى بالشكل اللاتينى ziphirum بمعنى الفجوة أو الفراغ وذلك قبل أن يأخذ شكله المعروف لدينا zero ويقوم بدوره فى العمليات الحسابية فى مختلف العلوم.

لقد كانت فكرة الصفر وكيفية استعماله من أعظم الهدايا التى قدمها العرب المسلمون للأوربيين على يد الخوارزمى فاختزلوا بها الزمان، كما كانت الساعة آلة قياس الوقت ثانية هذه الهدايا، وتحدثنا المصادر التاريخية أن هارون الرشيد قد

(١) يعنى لفظ الصفر فى العربية الفراغ ومن ذلك قولهم صفر اليدين أى فارغ اليدين.

(٢) نعنى بذلك أننا إذا كتبنا الرقمين ٢٣ بهذه الدلالة العددية وأتينا بعلامة الصفر لتسد الفراغ بين الرقمين فسينتج لنا رقم بدلالة جديدة هى ٢٠٣.

أهدى الإمبراطور الرومانى شرلمان أول ساعة مائية دقاقة يعرفها الأوربيون لقياس الوقت، كما تسجل لنا المصادر التاريخية أن الملك الأشرف قد أهدى أول ساعة ميكانيكية للإمبراطور الرومانى فردريك الثانى فى القرن الثالث عشر الميلادى.

وإذا كانت الجماعة العربية قد احتفلت بالزمان واهتمت به فى حركتها الدائبة فى صحراء الجزيرة العربية الواسعة، فإن التشريع الإسلامى قد جعل الزمان من أهم القيم الإسلامية التى حفظها ورعاها وأداها العرب المسلمون وهم يرتلون كتاب ربهم الذى أقسم فيه سبحانه بالزمان فى قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر : ١)، ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الضحى: ١)، ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر : ١)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الليل: ١). ولعل ارتباط - الصلاة عماد التشريع الإسلامى - ارتباطا وثيقا بالوقت فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء : ١٠٣). وفى قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ (هود : ١١٤) أكبر دليل على قيمة الزمان فى حياة المسلم. ولهذا لم يكن غريبا أن يتحدث فقهاء المسلمين عما سموه «بعمارة الأوقات بما هو نافع »، وقالوا «إن علامة المقت إضاعة الوقت »، الواجبات أكثر من الأوقات. كما قالوا : «زمانك عمرك »، وقد ترجم ذلك الشاعر المسلم قائلا :

إذا مـرَّ بى يوم ولم أقتـبس هـدى   ولم أستفد علما فما ذاك من عمرى

وهكذا تحولت قيمة الوقت عند العرب المسلمين من مجرد مبدأ إيمانى إلى سلوك عملى وفعلى، وإذا كانت بعض اللغات الأوربية مثل الإنجليزية والفرنسية تعرف تعبير « قتل الوقت To Kill the time . Tuer le temps فإن اللغة العربية تعرف تعبير إحياء الوقت فى مثل قولهم : إحياء الليل، وإحياء الذكرى وإحياء الحفل.

إن ظاهرة الزمان - كما سبق أن أشرنا - من أهم الظواهر التى شغلت عقل الإنسان قديما وحديثا، وهى ظاهرة اشتجرت معها العلوم العملية مثل الرياضة، والفلك، والطبيعة، والعلوم النظرية مثل : الفلسفة وعلم النفس والاجتماع وعلم اللغة والأدب، ولا غرابة فى ذلك، لأن الزمان من أهم الظواهر الحياتية التصاقا بالخبرة

الإنسانية على المستوى المادى الخارجى فى الكون، والمستوى المعنوى الداخلى فى فكر الإنسان ووجدانه.

لقد ساهمت بعض الدراسات الأدبية الحديثة فى دراسة ظاهرة الزمان فى الأدب العربى، كما ساهمت بعض الدراسات اللغوية والنحوية فى دراسة ظاهرة الزمان فى اللغة العربية من الناحيتين الصرفية والنحوية، إلا أن هذه الدراسات لم تتجه بنظرها إلى دراسة الزمان من الناحية الدلالية ومن هنا كان الدافع لتقديم هذه الدراسة إلى القارئ المثقف والدارس المتخصص.

وإذا كان هذا هو الدافع الموضوعى الذى يقف وراء تقديم هذه الدراسة فإن هناك دافعا ذاتيا يتمثل فى تجربة الباحث الشخصية مع الزمان عندما سافر لأول مرة وقد تجاوز عامه العشرين بشهور فى بعثة دراسية للولايات المتحدة فشغف بزمان الآلة الغربية الذى يحاكى زمان الجواد العربى فى إيقاعه السريع، كما يحاكى فى قيمته مفهوم الفقهاء المسلمين عن الوقت الذى يترجمه قولهم المأثور : « من المقت إضاعة الوقت ».

إن زمان الآلة الغربية الذى يعرفه الأوربيون باسم Budget time مثل النقود بل هو النقود لأنه يمكن أن تكتسبه We earn it وأن تستثمره We invest it، وأن تنفقه We spend it وأن نوفره We Save it وأن نهدره - we waste it ولايزال وقت الأوربى يقاس بمقياس اقتصادى، فساعة الإنجليزى لا تقدم ولا تؤخر ولكن تربح أو تخسر The watch agains or Loses.

إننا إذا أردنا أن نقف على ملامح شخصية ما، أو السمات الثقافية لجماعة ما، فيجب أن نعرف كيف يقضى الفرد وقته، وكيف ينفق نقوده، لأن كيفية التصرف فى النقود والوقت تعكس بشكل واضح السلوك الثقافى للفرد والجماعة.

كما يتمثل هذا الدافع الذاتى أيضا فى أسفار الباحث شرقًا وغربًا وخبرته ببعض اللغات فى أوربا وآسيا وأفريقيا سماعا وقراءة التى لم يجد - فيما يعلم - لغة منها تحتفل بالزمان احتفال العربية به مما يعكس إحساس الجماعة العربية

بالزمان، نذكر ذلك لأن كثيرا من المستشرقين قد ظن أن العربية التى نشأت لدى الجماعة العربية الأولى فى الصحراء الخاوية تفتقد للألفاظ والتراكيب التى تعبر عن أوقات الزمان، لأنه لا قيمة للزمان عند أهلها.

إن المعجم اللغوى للجماعة العربية الأولى يرد هذا الظن ويقدم الدليل - كما سيرى القارئ الكريم فى ثنايا الدراسة - على أن العربية لغة الزمان لأنها أحسنت التعبير عنه بدقة، ولا ينفى هذه الحقيقة أن الخلف قد أضاعوا بالقول والعمل معا ألفاظ الزمان والإحساس به، وإذا زعمنا أن العربية لغة الزمان، فلأن أصحابها الأوائل الذين تواضعوا واتفقوا على ألفاظها أحسوا بالزمان أحساسًا دقيقا، لأنه كان منظما لحركتهم فى الصحراء الواسعة فى الحاضر، وهم فى نظرتهم للحاضر كانوا يستشرفون المستقبل، وليس أدل على هذا من تقعيد النحاة للفعل المضارع الذى يدل على الحال والاستقبال معا، كما كان الزمان لديهم مستودع مفاخرهم وأنسابهم فى الماضى، ولهذا لم يكن من قبيل المصادفة أن يسمى علم التاريخ عندهم بالأيام.

وإذا كانت هذه الدراسة تثبت للقارئ أن العربية هى لغة الزمان وأنها أحسنت التعبير عنه، إلا أنها للأسف لم تستطع أن تعالج هذا التناقض الذى وقع فيه الخلف الذين أضاعوا بالقول والعمل ألفاظ الزمان والإحساس به، لأن هذا من شأن دراسات أخرى فى علوم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا، وكما لا نحمل لغتنا العربية مسئولية سوء استعمالنا لألفاظها وتراكيبها، فإننا لا نحملها أيضا مسئولية وجود ظاهرة الوقت الضائع فى ثقافتنا العربية الإسلامية التى تمثل تناقضا صارخا بين بنية اللغة العربية التى تحتفى بالزمان وسلوك أصحابها الذين يتكلمونها.

إن المتتبع للدرس اللغوى عند اللغويين القدماء يعرف مدى اهتمامهم بجمع ألفاظ اللغة فى رسائل وكتب صغيرة تحمل اسم كتب الصفات مثل كتب خلق الإنسان، والإبل والخيل والمطر والنبات والحشرات وغير ذلك، كما اهتموا أيضا بجمع الألفاظ الواصفة لأوقات الزمان فى مصنفات تحمل أسماء مثل : الأيام والليالى والشهور للفراء ت ٢٠٧، « والأزمنة وتلبية الجاهلية » لقطرب ت ٢٠٦،

والأيام والليالى « لابن السكيت ت ٢٢٤، « والأزمنة والأمكنة » للمرزوقى ت ٤٢١، « والأزمنة والأنواء » لابن الأجدابى ت ٤٧٠، هذا بالإضافة إلى اهتمام بعض كتب اللغة والأدب مثل : أدب الكاتب، العقد الفريد، فقه اللغة، المخصص، نهاية الأرب، صبح الأعشى، وغيرها بتخصيص بعض أبوابها لألفاظ الزمان.

ونجد إلى جانب هذه المصنفات مصنفات أخرى اهتمت بألفاظ الزمان وحملت عنوان الأنواء، ذكر صاحب الفهرست عددًا كبيرًا منها للسدوسى ت ٢٠٠، والأصمعى ت ٢١٣، وابن الأعرابى ت ٢٣٢، والمبرد ت ٢٥٨، ولأبى حنيفة الدينورى ت ٢٨٢، وابن دريد ت ٣٢١ وغيرهم، ولم يصلنا للأسف من هذه الكتب إلا كتب الأنواء لابن قتيبة ت ٢٧٦ ومقتطفات من كتاب أبى حنيفة نقلها ابن سيده فى المخصص وابن منظور فى لسان العرب، كما اهتم بعض علماء الفلك والجغرافيا بدراسة الزمان وألفاظه فى مؤلفاتهم مثل البيرونى فى كتابيه « الآثار الباقية » فى علم التوقيت، « والقانون المسعودى » فى الهيئة والنجوم، والمسعودى فى كتابه «مروج الذهب».

لقد كان اهتمام الجماعة العربية الأولى قبل الإسلام بألفاظ الزمان والأنواء يعكس اهتمامهم بمعرفة أوقات المطر، واتجاه الرياح، وأوقات حلهم وترحالهم، وأسمات النجوم التى كانوا يهتدون بها فى أسفارهم، ولقد استمر هذا الاهتمام بالزمان والأنواء بعد الإسلام وازداد بظهور حاجات جديدة تتعلق بالتشريع الإسلامى مثل معرفة أوقات الصلاة ومواقيت الحج والصوم التى ترتبط بظهور القمر وغيابه، وشروق الشمس وغيابها، وقد تولد عن هذا الاهتمام نشأة علم الهيئة أو الفلك ونموه على يد علماء مسلمين برعوا فيه مثل الخوارزمى ت ٢٣٥، وابن قرة ت ٢٨٨، وابن يونس ت ٣٩٩، ابن الهيثم ت ٤٣٠ والبيرونى ت ٤٤٠، والطوسى ت ٥٩٧ وغيرهم.

إننا إذ أردنا أن نقف على مدى احتفاء الثقافة العربية الإسلامية بالزمان فيمكن أن نتصفح معجمها الناطق بلسان أصحابها الذى سنجده زاخرًا بعشرات الألفاظ الدالة على الزمان التى لا تزال مع غيرها تمثل قطاعات أخرى من المعجم

العربى تحتاج لمن يدرسها ويمحصها، بل ويستنطقها حتى تبوح بكل أسرارها، ولا نعنى بذلك دراسة الألفاظ الصامتة بين دفتى هذا المعجم ولكن نعنى بها الألفاظ الناطقة التى تتفاعل على ألسنة الجماعة العربية ونقف من خلالها على سلوكها وفكرها وتصورها، وإذا كان دارس اللغة يهتم عادة بالإجابة على سؤالين هما : كيف يتكلم الإنسان ؟ ولماذا يتكلم ؟ فإنه يجب أن يتهم أيضا بالإجابة على سؤال ثالث هو : عن أى شىء يتكلم ؟ وانطلاقا من هذا التصور للدرس اللسانى سبق أن تناولنا بالدراسة ظوهر لغوية أخرى مثل : التعبير الاصطلاحى، المحظورات اللغوية، ألفاظ القرابة، ولقد كان إنجازنا لهذه الدراسات فى إطار يرضى الدارس المتخصص من ناحية، ويناسب القارئ المثقف من ناحية أخرى حتى لا يظل الدرس اللغوى حبيسا فى بيوت المتخصصين من جانب ولا تبقى العربية فى معزل عن المتكلمين بها من جانب آخر.

تقع هذه الدراسة التى نقدمها للقارئ فى بابين يحتويان على ستة فصول جاء الباب الأول بعنوان الزمان والإنسان واشتمل على ثلاثة فصول، يعالج الفصل الأول ثنائية الزمان التى تظهر فى ثنائية الزمان والحركة، لأن كل ما فى الكون يعيش الزمان بالحركة التى تتسم بالإيقاعية المنظمة وتولد الزمان وتحدد لنا كميته، وثنائية الزمان والمكان، لأن المكان هو الذى يساهم فى تحديد هويته.

وقد بين هذا الفصل أنه إذا كان الزمان تابعا للحركة لأنها تعطينا الإحساس به وتقوم بتحديده، وإذا كنا لا نستطيع تقدير هذه الحركة إلا إذا نسبناها إلى الزمان، فإن هذه الحركة تتطلب أيضا مكانا تتدرج عليه، ومن هنا كان الزمان مشتجرا بالحركة تارة وبالمكان تارة أخرى، فالمكان هو الذى يحدث فيه الشىء المتزمن، والزمان هو الذى يحدث فيه الشىء المتمكن، وإذا كانت نظرية النسبية قد أدركت علاقة الزمان بالمكان، فإن الجماعة العربية الأولى قد فطنت بفطرتها إلى ملابسة الزمان للمكان فاصطلحت على ألفاظ تعبر عن ذلك مثل : الميقات، والمشهد، والمرصد، والدوام، والخلود، والأبد، والوراء، وقد أدرك النحاة هذه الحقيقة فدرسوا ظرفى الزمان والمكان على صعيد واحد فى قسم المفعولات لأن لهما وظيفة واحدة هى وعائية الحدث.

كما تناول الفصل ثنائية ثالثة هى ثنائية الزمان والإنسان، لأن الإنسان هو الذى يعطى الزمان دلالته الموضوعية والذاتية، فالإنسان يعيش الزمان الموضوعى الذى تحدده الساعات والتقاويم، كما يعيش الزمان الذاتى الذى تحدده مشاعره النفسية التى يحسها، وحالته الجسدية التى يشعر بها فالحزن والمرض يجعلانه يعيش زمانا بطيئا متثاقلا، والفرح والنشاط يجعلانه يعيش زمانًا سريعًا خاطفًا.

يعالج الفصل الثانى الزمان والبيئة ونعنى بالبيئة هنا دور المكان وما يشتمل عليه فى تحديد الزمان وبلورة مفهومه لدى الجماعة العربية الأولى، ويشمل ذلك الظواهر الطبيعية فى السماء مثل النجوم والكواكب والشمس والقمر والأمطار والرياح والظل والفىء، لقد كانت السماء وما فيها أول ساعة عرفها الإنسان لتحديد أوقات الزمان، وقد كانت الجماعة العربية الأولى كغيرها من المجتمعات الإنسانية تعتمد على دورات الشمس والقمر، وحركات النجوم والكواكب فى تحديد أوقات الزمان من الفصول والشهور والأسابيع والأيام وساعات النهار والليل المختلفة، ومواقيت سقوط الأمطار وهبوب الرياح، وقد عرفت هذا اللون من المعرفة عندهم باسم الأنواء التى صنف فيها اللغويون مؤلفات مختلفة كما سبق أن أشرنا.

كما تناول هذا الفصل أيضا جانبا آخر ارتبط بالبيئة الصحراوية التى عاشت فيها الجماعة العربية الأولى ونعنى بذلك استعمال ألفاظ وتعبيرات تتصل بالحيوانات والطيور لتحديد أوقات الزمان مثل قولهم «فواق ناقة» بمعنى قصر الوقت أو سرعته، « وذنب السرحان » بمعنى الفجر الأول، و«سنة الحمار» بمعنى العام المائة، وقولهم نوم « كحسو الطير » أو « إبهام القطا » بدلالة قصر الوقت، وقولهم « خرج وصيّاح الديك »، أو « والطير فى وكناتها » أى فى وقت مبكر، واستعمالهم ألفاظًا تتصل بشرب الإبل مثل : الغِبُّ والورد بكسر الغين والواو، فالغب فعل الشىء يوما بعد يوم، وقد جاء فى الحديث : اغبوا فى عيادة المريض، والورد ما يعتاد الإنسان عمله يوميا، ومن ذلك ما يعتاد المسلم أن يقرأه يوميا من القرآن.

أما الفصل الثالث فقد تناول الزمان والمجتمع لأنه إذا كان الزمان البيئى زمانا طبيعيا يرتبط بحركات الكواكب والنجوم، فإن الزمان الاجتماعى يرتبط بثقافة

المجتمع وتجاربه ومعتقداته، وفى ضوء هذه الحقيقة أوضحنا مفهوم الجماعة العربية الأولى عن الزمان الذى ارتبط بالمرض فى أصله الاشتقاقى، فالزمين المريض أو صاحب العاهة، والدهر الزمان الطويل وهو أيضا النازلة التى تحل بالقوم، والحين يعنى قدرا مبهما من الوقت، ومنه قالوا الحائنة بمعنى النازلة، واليوم القدر المعروف من الزمان استعملته الجماعة العربية الأولى للتعبير عن وقائعها وحروبها التى عرفت بالأيام، والأجل بمعنى غاية الوقت المضروب لشيء ما استعملته الجماعة العربية بدلالة موت الإنسان، والسنة بمعنى العام ارتبطت فى تصورهم بالجدب والشدة.

كما أوضح هذا الفصل أن بعض أوقات الزمان قد ارتبط بالخوف والطيرة فى أذهان الجماعة العربية التى عرفت ما يسمى بـ المحظور Taboo أوالمحرَّم من الزمان، فقد تشاءمت من بعض الأيام والشهور مثل يومى الأربعاء والأحد وشهر شوال، وحرمت فعل بعض الأشياء فيها مثل السفر أو الزواج، ومن هذا القبيل أيضا تحريم القتال فى الأشهر التى عرفت باسم الأشهر الحرم.

وإلى جانب هذا التصور السلبى للزمان لدى الجماعة العربية الأولى قبل الإسلام أوضح الفصل أيضا التصور الإيجابى للزمان بعد الإسلام فيما عرفته الجماعة العربية باسم فضائل الأزمنة من الأيام والشهور وما يتصل بذلك بحسن استغلال الوقت وهو ما عرفه الفقهاء بعمارة أو إحياء الأوقات كما سبق أن ذكرنا.

كما أشار هذا الفصل أيضا إلى تجارب الجماعة العربية وتفاعلها مع الزمان وقد ظهر ذلك فى أمثالها وأقوالها المأثورة وتسمية الأفراد بأسماء الزمان مثل الشهر، والربيع، والصباح، والصيف، ووصفهم للأفراد والأشياء بأسماء الزمان كقولهم رجل مشرق الوجه أو مظلم الوجه، ورجل صيفى وأولاده صيفيون بمعنى تزوج وأنجب وهو كبير. ورجل ربيعى وأولاده ربيعيون بمعنى تزوج وأنجب وهو صغير، ومن هذا القبيل أيضا الحديث: « اللهم اجعل القرآن ربيع قلبى ».

وجاء الباب الثانى بعنوان: الزمان واللغة واشتمل على ثلاثة فصول أيضا عالج الفصل الأول ألفاظ الزمان المبهم التى صنفناها فى أربع مجموعات دلالية: تشمل

المجموعة الأولى : ألفاظ الزمان، والزمن، والدهر، والأبد والسرمد، والمسند، وشملت المجموعة الثانية : ألفاظ الوقت، والحين، والأوان والعهد والحقبة والعصر، وشملت المجموعة الثالثة : ألفاظ المدة والملاوة والدهر، والفترة، والطور، والتارة، وشملت المجموعة الرابعة : ألفاظ العمر والأمد والأجل والقرن والأمة والطبقة.

وقد أشرنا خلال تحليلنا الدلالى لألفاظ الزمان المبهم إلى أن بعض هذه الألفاظ تميز بالضيق أو الاتساع الدلالى للتعبير عن أوقات الزمان الطويلة أو القصيرة، كما أن بعضها الآخر قد خضع لعلاقة الترادف فيما بينها، هذا إلى جانب اشتجار هذه الألفاظ بمفاهيم متباينة فى أذهان الجماعة العربية.

عالج الفصل الثانى ألفاظ الزمان المحدد وقد صنفناها فى خمس مجموعات دلالية شملت المجموعة الأولى : ألفاظ السنة، والعام، والحول، والحجة، والحقبة. شملت المجموعة الثانية: ألفاظ الفصل، والفصية، والشتاء، والصيف، والربيع والخريف، شملت المجموعة الثالثة : ألفاظ الشهر، والهلال، وأسماء الشهور التى وضعتها العرب المستعربة التى ارتبطت فى أصلها الاشتقاقى بمجالات طقسية وحوادث إنسانية، فشهرا جمادى سميا بذلك لجمود الماء فيهما لشدة البرد، ورمضان مشتق من الرمضاء بمعنى شدة الحر، والمحرم لتحريمهم القتال فيه، وصفر لأن ديارهم تصفر أى تخلو من أهلها لخروجهم للقتال بعد المحرم، شملت المجموعة الرابعة : ألفاظ اليوم، والنهار، والليل، والساعة وأوقات النهار مثل : الفجر، والصباح، والبكرة، والغدوة، والضحى والظهيرة والعصر، والأصيل، والمغرب، والشفق، وأوقات الليل مثل : المساء، والبيات والرواح، والعشاء، والعتمة، والغسق، والسحر.

وقد أشرنا خلال تحليلنا الدلالى لهذه الألفاظ إلى ارتباط بعضها بمفاهيم عامة وتصورات خاصة فى أذهان الجماعة العربية الأولى مثل تذكيرهم الشتاء والنهار، الأول لشدته وقسوته. والثانى لأنه هو الذى يغشى الليل التابع له ويتكور عليه بنوره ويلج فيه، وتأنيث الصيف والليل، الأول لأن فيه تلد الحيوانات صغارها، وتخرج الأشجار ثمارها، والثانى لأنه تابع للنهار والمفرد منه ليلة والجمع

ليالٍ. كما أوضح الفصل أن الجماعة العربية الأولى قد اتخذت الترقيم العددى لتمييز ربع الشهر بلفظ الأسبوع وهو مشتق من الرقم سبعة، كما قسمت أيامه عدديا أيضا فقالت : الأحد، الإثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، وأكملت العدد بالجمعة والسبت، وقد أشرنا إلى دور المعتقد الدينى المرتبط بخلق الكون فى تسمية الجماعة العربية وغيرها من الجماعات الإنسانية لأيام الأسبوع .

أما الفصل الثالث والأخير من الدراسة فقد عالج مفهوم وعائية الزمان لدى الجماعة العربية الأولى التى فطنت إلى أن كل ما فى الكون من جمادات وكائنات يتحرك داخل إطار الزمان، بل إن حياة الإنسان نفسه ونموه الجسمى والنفسى يتزمن فى أطوار مختلفة تعبر عنها ألفاظ مثل : وليد، ورضيع، وطفل، وصبى، ومراهق، وفتى، وشاب، ورجل، وكهل، وشيخ، وهرم، ونجد مثل هذه الألفاظ أيضا للتعبير عن الأطوار الزمانية للحيوان والنبات.

كما أوضح الفصل أن كل ما يقوم به الإنسان من أفعال وأنشطة يتم أيضا داخل إطار الزمان، وقد وضعت له الجماعة العربية ألفاظا زمانية. فالسير فى الهاجرة تهجر، والسير فى الليل عامة إسراء، وفى أوله إدلاج، والشرب فى السَّحر جاشرية، وفى الصباح صبوح، وفى العشى غبوق وفى نصف النهار قيل، والأكل آخر الليل سحور، وفى الصباح فطور وفى الظهر غداء وفى الليل عشاء.

وكما اهتم هذا الفصل ببيان وعائية الزمان بهذا المفهوم، فقد اهتم أيضا ببيان حدثية الزمان بمعنى وصله أو تحديده بأحداث وملابسات عامة عرفتها الجماعة العربية وارتبطت بتجاربها ومعتقداتها، ومن هذا القبيل ما نجده من تعبيرات اصطلاحية زمانية مثل : «بنات الدهر» بمعنى مصائبه، و«سنو يوسف» بمعنى شظف العيش، «زمان البرامكة» بمعنى رغد العيش أو فساد الحكم، و«هلال شوال» بمعنى ما يسر به المرء، و«حاطب ليل» بمعنى من يخلط فى كلامه أو أفعاله، و«يوم عبيد» بمعنى سوء الطالع، و«يوم حليمة» بمعنى ما يذاع وينشر، و«ليلة النابغة» بمعنى المعاناة والأرق، و«ليلة القدر» بمعنى الشىء المبهم.

كما ذكرنا المُبنَّى من التعبيرات الاصطلاحية الزمانية مثل : «ابن الأيام» بمعنى الرجل المجرب، و«بنو الأيام» بمعنى أهل العصر، و«بنات الليل» بمعنى الأحلام أو النساء، وذكرنا أيضا المثنى من التعبيرات مثل : الردفان والجديدان والعصران بمعنى الليل والظهر، والفجران بمعنى الفجر المستطيل والمستطير، والعصران بمعنى العصر والظهر، والعشاءان بمعنى المغرب والعشاء.

وبهذا الفصل تكتمل جوانب الدراسة التى اهتمت بتأصيل ألفاظ الزمان، بهذا الشكل المتكامل فى العربية لأول مرة فيما نعلم، وأرجو أن تكون هذه الدراسة خطوة أولى على الطريق تتبعها خطوات أخرى لدراسة واستقراء قطاعات أخرى من المعجم العربى.

وحسبى بهذا العمل المتواضع أنى بذلت جهدًا متواضعًا لخدمة لغة القرآن فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. كريم حسام الدين

مكة المكرمة ٢٩ صفر ١٤١٠

٢٩ سبتمبر ١٩٨٩

تمهيد

إن الزمان من حيث هو صورة وحركة أمر لا يوجد إلا فى الطبيعة، وقد عاش الإنسان حياته ملايين السنين على الأرض يراقب ظواهر تتعاقب فى دورات مثل الليل والنهار، والشهور والفصول بحركة الشمس فى شروقها وغروبها، كما استطاع أن يواصل حياته بفضل ما تمده به الشمس من حرارة وضوء جعلا الحياة ممكنة على ظهر الأرض، فلا عجب أن تكون الشمس – واهبة الزمان والحياة للإنسان – من أقدم الآلهة التى قدسها.

لقد ظل الإنسان يعتقد أن الشمس ومعها القمر وغيرهما من الكواكب تدور جميعا حول الأرض حتى حرر عالم الفلك كوبرنيكوس Copernicas ١٤٥٣ عقول معاصريه من هذا المعتقد، وأثبت أن الشمس هى مركز المجموعة الشمسية أما الأرض والكواكب الأخرى فتدور فى أفلاك محدودة لها، لقد أزاح كوبرنيكوس الأرض عن مركز الكون فأصبحت مجرد كوكب صغير يبعد عن الشمس ١٥٠ مليون كم يدور حول نفسه دورة كاملة كل ٢٤ ساعة ويتم دورة كاملة حول الشمس كل ٣٦٥ يوما.

كما ظل الإنسان، ملايين السنين لا يرى الزمان خطا مستقيما بل دائرة مغلقة يكرر نفسه فى تعاقب دورات الليل والنهار، والفصول الأربعة وغير ذلك من ظواهر الطبيعة مثل دورتى الخسوف والكسوف، والمد والجذر إلى أن عقل أن ظواهر الزمان فى الكون تشير إلى أن سهم الزمان يسير فى خط مستقيم أو فى اتجاه واحد نحو المستقبل متمثلا فى مظاهر مختلفة أهمها التطور البيولوجى الذى يبدو بلا رجعة لأن الزمان لا يرجع للوراء، فالرجل الشيخ لا يعود شابا والمرأة العجوز لا تعود بكرا، والحصان لا يعود مهرا والشجرة لا تعود نبتة.

إن وجودنا الحياتى يعطينا هذا الانطباع بأن سهم الزمان ينساب فى اتجاه واحد نحو الأمام، وأن المستقبل يتحول إلى حاضر والحاضر يصير ماضيا، وإذا كنا نستطيع أن نتذكر الماضى فإننا لا نستطيع أن نتنبأ بالمستقبل، إن مفهوم انسياب الزمان كالخط له بعد واحد هو الطول، وكما لا نستطيع أن نفكر فى الخط بوصفه كيانا متصلا أو بوصفه تتابعا من النقاط نستطيع أن نعتبر الزمان تتابعا من اللحظات Instant أو انسياب متصل للحظة واحدة سواء تحركت الأشياء أو بقيت ساكنة سواء نمنا أو استيقظنا، إننا نؤمن بوجود اللحظة الحاضرة الآن وحركتها للأمام حتى تصبح اللحظة مستقبلا ثم تتحول إلى ماض.

إن الزمان قد يخدعنا فنظن أننا نعرفه أو كما يقول القديس أوغسطين : لو سألنى أحد إن كنت أعرف الزمان ؟ فسأجيبه : إنى أعرف، ولو سألنى ما هو؟ سأجيب : بأننى لا أعرفه. إن ما قاله هذا القديس يشير إلى أن ما نسميه الزمان ليس إلا مفهوما نفسيا أو قل هو مفهوم نفسى اخترعه النصف الأيسر من مخ الإنسان، أو كما يقول الفيلسوف الفرنسى برجسون: الزمان: المعاش أو الخبرة التى يمر بها الإنسان.

لقد اكتشف الإنسان قياس عمره (الزمن الداخلى) بوحدات من الزمان الشمسى أو القمرى (الزمن الخارجى) ولكنه اكتشف أن الزمن الداخلى قد يتمرد وينفصل عن الزمن الخارجى انظر قوله تعالى : ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ (الحج :٥)، كما أن عمر الإنسان الداخلى يختلف عما حوله فقد يكون طويلا إذا قورن بعمر حيوان مثل الحصان أو الحمل، وقد يكون قصيرا إذا قورن بعمر شجرة البلوط أو الكافور.

وإذا كان ما نسميه الزمان ليس إلا مفهوما نفسيا أو تجربة أو خبرة يمر بها الإنسان فإن وعيه بالزمان يتجلى فى ثلاثة مظاهر :

المظهر الأول: الإحساس بزمان اليوم من خلال ما يقوم به من جدول يومى يتمثل فى الاستيقاظ والنوم، وتناول وجبات الطعام فى أوقات محددة، وممارسة لعمل معين خلال ساعات محددة واستخدامه وسائل مواصلات.

المظهر الثانى : الإحساس بديمومة الزمان، ويتوقف ذلك على حالة الإنسان النفسية، فالأسبوع الذى يقضيه فى عمل روتينى يبدو أكثر طولا من الأسبوع الذى يقضيه فى إجازة ترفيهية، وقد يبدو الامتحان الصعب سببا فى تلكؤ الزمان فى عقل الطالب.

المظهر الثالث : الإحساس بامتداد الزمان، فالحاضر يصير إلى المستقبل الذى يتحول بدوره إلى الماضى الذى يتذكر أحداثه، كما يتطلع إلى أشياء يريد تحقيقها فى المستقبل، ونجد هذا الإحساس بامتداد الزمن يتوقف على عمر الإنسان وما يمر به من ظروف وملابسات [1]. فالكبير يكون مشغولا بالماضى الذى يراه جميلا ويتمنى الشباب يعود يوما، أما الصغير فهو ينشغل بالمستقبل الذى سيتحقق فيه ما يريد.

إن هذا الوعى أو الإحساس بالزمان قد يتعرض إلى التشويه بتأثير الخمر أو العقاقير المخدرة أو بسبب التفاعلات الكيمائية فى جسم الإنسان، فارتفاع درجة حرارة جسم الإنسان الذى يعانى من الحمى يجعل وعيه بمرور الزمان بطيئا، لقد أثبتت الدراسات الطبية أن نشاط العمليات الكيماوية نتيجة الحمى من شأنه أن يجعل الزمان الذى يقدره المخ أطول من الزمان الحقيقى الذى تبينه لنا عقارب الساعة، ولعل هذا أيضا هو السبب فيما يقال عن أن الساعات والأيام عندما يكبر الإنسان ويتقدم به العمر تمر أكثر بطئًا من أيام الصغر، لأن العمليات الكيماوية تكون أسرع أيام الصغر فى جسم الإنسان من أيام الكبر، وبعد هذا التمهيد أدعوك عزيزى القارئ لقراءة هذه الدراسة التى تبدأ بثنائية الزمان.

★ ★ ★

(١) يرتبط موقف الإنسان من الزمان بعمره فهو يرفض نفسا تقدم العمر وينزع عندما يرى بصماته على وجهه فيصبح أقل جاذبية وإشراقا، وتخبره تجاعيد الوجه وابيضاض شعر الرأس بسنوات العمر الضائعة.

البـــاب الأول

الزَّمـــان والإنســـان

الفصـــل الأول

ثنـــائية الزمــــــان

لقــد أدرك الإنســان أنه لا وجــود إلا بالزمــان، أو قل إن الوجــود والـزمــان مترادفان، لأن الوجود هو الحياة، والحياة هى التغير، والتغير هو الحركة، والحركة هى الزمان، فلا وجود إذن إلا بالزمان، لهذا فإن كل وجود يتصور خارج الزمان وجود وهمى، أو هو لا وجود.

لقد أحس الإنسان هذه الحقيقة من خلال ملاحظاته للمتغيرات حوله فى السماء بشمسها وقمرها ونجومها [١]، وفى الأرض بزروعها [٢] وحيواناتها [٣] وطيورها [٤].. بل فى حياته نفسها من ميلاد ومعاش وموت، وقد فطن إلى أن هذه

---

(١) انظر الفصل الثانى من الدراسة بعنوان الزمان والبيئة.

(٢) من المعروف أن كل ما تنبته الأرض يخضع لدورات زمانية محددة، وتذكر لنا بعض المصادر الأثرية أن علماء الآثار قد عرفوا الوقت الذى دفن فيه توت عنخ آمون من خلال باقة زهر موضوعة على تابوته رغم مرور ثلاثة آلاف سنة على دفنه.

(٣) من المعروف أيضا أن تكاثر الحيوان يخضع للتوقيت الزمانى، فقد ثبت علميا أن فصل الربيع هو فصل التزاوج والتوالد بين الحيوانات ويفسر علماء الحيوان ذلك بالضوء الزائد نتيجة استطالة النهار الذى يؤثر فى أعين الطيور، ومن ثم ينتقل هذا التأثير إلى جزء خاص من المخ ثم إلى الغدة النخامية التى تفرز هرمونا جنسيا يسير فى الدم حتى يصل لخصيتى الذكر أو مبيض الأنثى فتتكون الحيوانات المنوية لدى الذكر ويستعد المبيض لدى الأنثى لتكوين البيض ويبدأ كل منهما البحث عن أليفه، كما يعد فصل الربيع من أكثر الفصول ملائمة لتربية صغار الحيوان لطول النهار ودفء الجو ووفرة الغذاء.
انظر مونرو فوكس شخصية الحيوان ص ٩٧ وما بعدها ترجمة د. فتحى الغزاوى.

(٤) تخضع حركة الطيور وهجرتها للتوقيت الزمانى اليومى والسنوى. فالطيور تتخذ الشمس هاديا لحركتها وطيرانها، لاحظ صياح الديك وزقزقة العصافير فى مواقيت محددة، ومغادرتها لأعشاشها وعودتها إليها بعد أن تكون قد تزودت بطعامها، كما نجد الطيور المختلفة فى هجراتها فى فصلى الربيع والخريف تهتدى فى رحلاتها الطويلة بالتوقيت النجمى ليلا، وبالتوقيت الشمسى نهارًا ونلاحظ شيئا من هذا القبيل لدى النحل والأسماك مثل ثعابين السمك التى تعيش فى نهر النيل وتهاجر إلى البحر المتوسط صيفا، انظر المرجع السابق ص ١١ وما بعدها.

المتغيرات ناتجة عن حركتين، حركة كونية تعود إلى نوامس طبيعية استطاع أن يعلم حقيقتها، وحركة إنسانية تعود إلى تصورات وتجارب إنسانية توصل إليها ووضعها بنفسه، ومن هاتين الحركتين تولدت لدينا صورتان للزمان، صورة يشترك فيها جميع البشر وهى زمان الحركة الكونية، وصورة يختلف فيها كل البشر وهى زمان الحركة الإنسانية [1].

وإذا كنا قد قدمنا الدراسة بهذا المفهوم للزمان، فإننا سنجده ينتظم فى ثلاث ثنائيات، تظهر الأولى فى ثنائية الزمان والحركة، لأن الحركة هى التى تحدد للزمان كميته، وتظهر الثانية فى ثنائية الزمان والمكان، لأن المكان هو الذى يساهم فى تحديد هويته، وتظهر الثالثة فى ثنائية الزمان والإنسان، لأن الإنسان هو الذى يعطيه دلالته الموضوعية والذاتية.

١-١ الزمان والحركة : تعتبر الحركة سمة من سمات الحياة، بل هى الحياة نفسها، فالحركة هى الأساس الذى تتزمن به الكائنات والجمادات معا، وقد أثبتت التجارب العلمية أن المادة ملازمة للحركة مهما كانت حالتها لأنه إذا لم تتحرك المادة فى حيزها أو مكانها فإنها لن تنتقل، وبالتالى لن يحدث لها التغير، وإذا ذكرنا الحركة هنا فإننا نعنى الحركة المحسوسة لدينا، وإن كنا لا نحسها بشكل مباشر فى بعض الأحيان.

إن كل ما فى الكون يعيش الزمان بالحركة، وكما يقول القدماء والمحدثون من الفلكيين إن الزمان هو مقدار حركة الفلك، فالزمان على ذلك هو مقدار الحركة المسجلة والمعلومة لدينا وليس الحركة نفسها، وهذه الحركة التى يقاس بها الزمان هى حركة الكواكب مثل الأرض والشمس والقمر وحركات الكائنات والإنسان والحيوان والآلات المختلفة التى اخترعها الإنسان وتتفاوت فى سرعتها وحركتها.

ويقرر لنا الفخر الرازى هذه الحقيقة بقوله: «.. إن الحركة تقدر الزمان على

(1) International Encyclopedia of social Sciences, p . 31 vol . 16 .N. Y. 1968 .

معنى أنها تدل على قدره بما يوجد فيه، فالزمان بدون الحركة مجهول [1]، كما يذكر أن هناك من جعل الزمان نفس الحركة واحتج لذلك بأمرين [2] :

أولهمـــا : أن الزمان يشتمل على الماضى والمستقبل، والحركة أيضا كذلك.

ثانيهما : أن من لا يحس بالحركة لا يحس الزمان كما نرى فى حق أصحاب الكهف [3]، إننا إذا تأملنا هذه الحركة لا نجدها حركة مطلقة أو عشوائية، بل نجدها حركة تتميز بالنظام والتناسب [4]، حركة تخضع لايقاع محدد انظر قوله تعالى: ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون﴾ (يس: ٤٠)، إن حركة كل كوكب من هذه الكواكب تخضع لايقاع منظم لا يختل لأنه لو اختل اضطرب نظام الكون، ونلاحظ أن هذه الحركة الإيقاعية حركة الأرض حول نفسها، وحركة الأرض حول الشمس، وحركة القمر حول الأرض تولد لنا دورات زمانية منتظمة مثل : دورة الشروق والغروب، ودورة الليل والنهار، ودورة الحر والبرد، ودورات الأيام، والشهور، والفصول، والسنين.

١ - ٢ إن هذه الكواكب لا تخضع وحدها لهذه الحركة الإيقاعية، بل أن الإنسان نفسه يخضع لها أيضا، وإن كان يتميز بنوعن من الحركة [5].

(١) الفخر الرازى المباحث الشرقية فى علم الإلهيات والطبيعات ٢ / ١٧٧ ط طهران ١٩٦٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٦٥٣.

(٣) من المعروف أن النائم لا يشعر بالحركة وبالتالى لا يشعر بالزمان، انظر قوله تعالى ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ (الكهف : ١١، ١٢). أجريت بعض التجارب فى الولايات المتحدة الأمريكية تشبه تجربة أهل الكهف فقد قضت فتاة عمرها ٢٧ سنة ١٣١ يوما فى كهف صناعى لا تدخله الشمس، وقد لاحظ العلماء تغير إحساسها بالزمان فأصبح يومها ٤٨ ساعة بدلا من ٢٤، وأصبحت تنام ٢٢ - ٢٤ ساعة بدلا من ٦ - ٨ ساعات، وضعفت شهيتها للطعام وتغير نظام وجباتها، كما تغير نشاط جسمها نتيجة للارتباك الذى حل بساعاتها البيولوجية وقد صور القرآن الكريم فى بعض آياته أن الزمان قد يمر على الإنسان ولا يشعر به جيدا فى قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ﴾ (يونس : ٤٥)، وقوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ (الأحقاف : ٣٥)، وقوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ (النازعات : ٤٦).

(٤) انظر المرزوقى الأزمنة والأمكنة ١/ ١٤٩، ط حيدر آباد ١٣٣٢ أبو حيان المقابسات ١٤٣.
ط القاهرة ١٩٢٩. د. عبد الرحمن بدوى الزمان الوجودى ص ٤٨ ط مكتبة النهضة ١٩٦٢.

(٥) International Encyclopedia of social sciences p. 28 , vol . 16 .

حركة خارجية : تتمثل فى مواقيت النوم والاستيقاظ، وتناول وجبات الغذاء، ونوع العمل والنشاط الذى يقوم به الإنسان بصورة منتظمة.

حركة داخلية : تتمثل فى أن كل عضو من أعضاء الجسم يعمل وفق إيقاع معين يسير عليه دون خلل، كما نرى فى دقات القلب، ونبضات المخ التى تكرر نفسها فى إيقاع زمنى يمكن قياسه بأجهزة القياس الطبية، وحركات الرئتين التى تتمثل فى حركتى الشهيق والزفير، وحركات الأمعاء التى تتمثل فى حركتى الانقباض والانبساط، وغير ذلك من الوظائف البيولوجية المتنوعة لكل عضو من أعضاء الجسم [1].

نلاحظ أن هذه الحركة الإيقاعية الداخلية تعمل وفق نظام دقيق يحول أجسامنا إلى ساعات بيولوجية توجهنا فى حركتنا الخارجية اليومية، كما أن هذه الحركة الإيقاعية الداخلية إذا تعرضت لأى نوع من أنواع الخلل تأثرت حركتنا الخارجية به، بل وتعرضت حياتنا للخطر.

وإذا كان نظام الحركة الخارجية يرتبط بنظام الحركة الداخلية الذى يعمل لا إراديا، فإنه يرتبط أيضا بالنظام الذى حدده الإنسان لنفسه، وإذا تعرض هذا النظام للتغيير أصيب بالاضطراب، فإذا غير حركتى النوم واليقظة شعر بالارهاق والتعب،

(١) أثبتت التجارب العلمية أن الجسم البشرى مزود بساعات خفية لها عقارب تقوم بتنسيق الوظائف المتنوعة لكل عضو من أعضاء الجسم التى تصل إلى أكثر من خمسين وظيفة يؤديها جسم الإنسان وفق نظام زمنى إيقاعى، ومن هذا القبيل أيضا إفرازات الجسم المختلفة التى تختلف من النهار إلى الليل، فافراز الغدد يرتفع عند قيامنا فى الصباح لمواجهة متطلبات النشاط اليومى، وتزداد عدد كرات الدم فى الصباح حتى تصل اقصاها فى نهاية النهار، كما تكون نسبة السكر فى الدم فى أعلى درجة صباحا، وتكون فى أدنى درجة لها مساء، وتنخفض درجة حرارة الجسم فى المساء وتعود إلى معدلها الطبيعى فى الصباح، وتزداد نسبة إفراز هورمون الكورتيزون فى الجسم فى الصباح، وتنخفض إلى أدناها فى منتصف الليل، وهذا يفسر حدوث حالات انسداد الشرايين والجلطات فى هذا الوقت، لأن عملية تخثر الدم تكون فى ذروتها، وتزداد أيضا أزمات الربو ليلا لانكماش القصبات الهوائية، ولهذا فإن افضل أوقات مقاومة حساسية الصدر تكون صباحا، هذا ويهتم علم الكرونوبيولوجى Chronobiology أى العلم الذى يعنى بدراسة التقلبات البيولوجية بدراسة الحركات والتغيرات الإيقاعية لأعضاء ووظائف الجسم.

وإذا غير نظام الوجبات الغذائية عانى من ارتباك المعدة وسوء الهضم، وقد يلاحظ ضعف إنتاجه وقلة إنجازه إذا غير مواقيت العمل أو النشاط الذى يزاوله [1].

تذهب الدراسات العلمية الحديثة إلى بيان أهمية دورة النوم واليقظة التى تتزامن مع الدورة الطبيعية لليل والنهار [2]، لأن الكائن الحى يخضع فى إيقاعه الحركى لحركة الأرض والشمس والقمر [3]، وأن هذه الحركات تؤثر فى دورة الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة [4]. كما أشارت هذه الدراسات إلى أن فترة الظهيرة تكون وقتا حرجا لجسم الإنسان الذى يعمل وفق دورة تتكون من ٢٤ ساعة، فعندما تمر ١٢ ساعة يشعر الجسم بالحاجة إلى النوم والراحة، وقد صور لنا القرآن الكريم هذه الإيقاعية عند الإنسان فى آية الاستئذان بقوله تعالى: ﴿ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ

(١) يجب أن نشير هنا إلى نظرية الإيقاع الحيوى التى قال بها الطبيب الألمانى فيلهم فيلبس وتتلخص هذه النظرية فى أن الإنسان عندما يولد تبدأ معه إيقاعاته الحياتية على المستوى الجسمى والعاطفى والعقلى حيث نجد لكل إيقاع دورته الزمنية فالدورة الجسدية مداها ٢٣ يوما، والعاطفية ٢٨ يوما، والعقلية ٣٣ يوما، ووفقا لهذه النظرية يكون الإنسان فى قمة قدرته الجسدية يوما كل ٢٣ يوما، وفى أحسن حالاته العاطفية يوما كل ٢٨ يوما، وفى أعلى إيقاعه العقلى يوما كل ٣٣ يوما، اى أن هذه الإيقاعات ترتفع فى يوم ما وتنخفض فى يوم آخر.

وقد اهتم اليابانيون بهذه النظرية وطبقتها بعض الشركات والمؤسسات الخاصة مثل شركة تلغراف يوكاهاما التى اهتمت ببيان الإيقاع الحياتى لسائقى التاكسى وسائقى الدراجات البخارية الذين يقومون بتوزيع التلغراف بوضع شريط أحمر على ذراع السائق يعنى أنه فى قاع المنحنى الحيوى، أو شريط أصفر يعنى أنه فى مرحلة الهبوط العضوى، وقد استفادت سويسرا من خبرة اليابان فى هذا المجال واستطاعت أن تخفض الحوادث بنسبة ٤٠ ٪.

(٢) لاحظ على سبيل المثال ما يحدث لأى فرد إذا اضطر إلى السفر بالطائرة لمسافة طويلة أو غير أوقات العمل المعتادة مما يؤثر على مواعيد خلوده للنوم والراحة.

(٣) لاحظ على سبيل المثال تزامن الدورة الطمثية لدى الأنثى مع دورة القمر الشهرية وتزامن تزاوج وتوالد الحيوانات مع فصل الربيع، وتذهب بعض الدراسات إلى أن ثمة علاقة بين حالتى الانقباض والانبساط لدى الإنسان ودورتى الشمس والقمر كما أن مشاعر الحزن والفرح تتعاقب عليه كما تتعاقب دورتا الشتاء والصيف.

(٤) تدور الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، وينتج عن ذلك تدور حول الشمس مرة كل ٣٦٥ يوما، وينتج عن ذلك الفصول الأربعة، يوحى دوران الأرض أن الشمس هى التى تدور حول الأرض وفى الوقت الذى تتحرك فيه الأرض حول الشمس تحمل معها ابنها القمر الذى يضىء بها ويدور حول الأرض ويكمل دورته فى حوالى ½ ٢٧، ويلازم الأرض فى نفس الوقت فى دورتها السنوية حول الشمس كما يدور حول نفسه مثل الأرض أيضا.

أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ﴾ (النور : ٥٨). لقد سبقت هذه الآية الكريمة بمضمونها ما ذهبت إليه الدراسات العلمية الحديثة فى الحركة الإيقاعية الثلاثية للإنسان: الاستيقاظ صباحا، والراحة ظهرا، والنوم ليلا. وقد عبرت الآية عن هذه الحركة الثلاثية بتعبير ثلاث عورات.

كما أثبتت الدراسات النفسية والطبية أن ساعات النوم ليلا هى التى يستفيد منها الجسم وأن ساعة نوم واحدة فى الليل تعادل أكثر من ساعة خلال النهار، وأن من يضطر للنوم متأخرا أو إلى تغيير موعد نومه يتعرض لحالات من الإرهاق الجسمى والذهنى [1]. ونرى القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة فى أكثر من آية كقوله ﴿وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا ﴾ (النبأ: ٩، ١٠). كما يجب أن نشير هنا إلى دورة الصلاة فى حياة المسلم فهى إلى جانب كونها ركنا من أركان التشريع الإسلامى الخمسة تعد عاملا مؤثرا فى ضبط الحركة الإيقاعية ليوم المسلم الذى يمكن أن يقسم إلى خمسة أقسام :

القسم الأول : الوقت من الصبح إلى الظهر وقدره ٧ ساعات تخصص للعمل والإنتاج فى مقابل فترة الراحة والنوم الطويلة التى قطعتها صلاة الصبح.

القسم الثانى: الوقت من الظهر إلى العصر وقدره ٣ ساعات تخصص للغذاء والراحة بعد فترة عمل استغرقت ٧ ساعات.

(١) تذكر بعض الدراسات أننا نجد نمطين من الناس هما : نمط أو شخص ليلى يسمى بالخفاش لأنه ينشط فى الليل ويجده مناسبا للعمل، ونمط أو شخص نهارى يسمى بالقبرة، لأنه يجد الساعات الأولى من النهار أنشط الأوقات وأفضلها للعمل وتعلل هذه الدراسات ذلك بلحظة الميلاد لكل منهما، فمن جاء إلى الحياة فى منتصف الليل يظل هذا الوقت له أنشط الأوقات!! ولكن لم تذكر هذه الدراسات شيئا عمن ولد فى منتصف النهار ؟ !!.

يذكر ثعلب أنهم يقولون للرجل الذى يتصرف فى النهار دون الليل رجل نهر وسابح، وإذا كان يتصرف بالليل دون النهار يقال له ليلى ولابس، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا ﴾ (النبأ : ١٠ - ١١)، وقوله تعالى : ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا ﴾ (المزمل : ٧) انظر المرزوقى الأزمنة والأمكنة ١/ ٢٦١.

القسم الثالث: الوقت من العصر إلى المغرب وقدره ٤ ساعات تخصص للرياضة البدنية أو الذهنية.

القسم الرابع: الوقت من المغرب إلى العشاء وقدره ساعتان تخصصان للعشاء والمسامرة.

القسم الخامس: الوقت من العشاء إلى الصبح وقدره ٨ ساعات للنوم والراحة.

وهذه الأقسام الخمسة تشمل ساعات اليوم الأربع والعشرين، وإذا حافظ المسلم على أداء الصلوات الخمس فى مواقيتها لقوله تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ (النساء : ١٠٣)، فإنه يمكن أن يضبط حركته اليومية فى إيقاع خماسى يشمل النوم، والعمل، والأكل، والراحة، والمتعة [1].

١ - ٣ وإذا كان الزمان هو نتاج الحركة التى تخضع للإيقاع المنظم على المستوى الكوكبى والإنسانى، فإن هذه الحركة المولدة للزمان هى التى تحدد الزمان كما عرفنا وتعطيه أبعاده من ناحية، كما أن هذه الحركة تخضع لعامل الأداء والكيفية التى تتم بها من ناحية أخرى، إننا لا نعيش فقط مقدار الزمان بقدر ما نعيش كيفية هذه الحركة، إن الزمان إذا كان له صفة الكمية فإن له أيضا صفة الكيفية بحركة الكواكب وحركة الإنسان، وحركة الحيوان وحركة وسائل المواصلات، إن هذه الحركة هى العامل الأساسى الذى يطول أو يقصر به الزمان، إن طول وقت النهار أو وقت الليل أو قصرهما إنما يعود إلى كيفية حركة الأرض حول الشمس [2]، كما نجد أن السنة القمرية الناتجة عن حركة القمر حول الأرض أقصر من السنة

(١) نجد آيات أخرى تشير إلى مواقيت الصلاة كقوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ ، البقرة : ٢٣٨ ، تشير الآية إلى صلاة العصر لتوسطها صلاتى النهار الصبح والظهر وصلاتى الليل المغرب والعشاء، كقوله تعالى: ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ﴾ (هود : ١١٤) ، وتشير الآية أيضا إلى صلاتى النهار والليل كقوله تعالى: ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ﴾ (هود : ١١٤).

(٢) نلاحظ على سبيل المثال طول النهار فى وقت الصيف لأن الأرض فى حركتها حول الشمس يكون طرفها الشمالى متجها بزاوية نحو الشمس، ولهذا نجد النهار فى هذا الجزء من الأرض الذى يكون مائلا نحو الشمس أطول من الليل ويكون الليل فى الجزء الآخر من الأرض أطول من النهار، كما نلاحظ قصر النهار فى وقت الشتاء. انظر هامش ٣ ص ٧٣ من الدراسة.

الشمسية الناتجة عن حركة الأرض حول الشمس بأحد عشر يوما [1]. كما نرى أن هذه الحركة المولدة للزمان تختلف أيضا لدى الإنسان نفسه، لأن لكل منا حركة يؤديها، ولا يشاركه فيها غيره، ولكل منا زمنه الخاص الناتج عن حركته الذاتية التى تخضع لعاملين :

عامل بدنى: يتمثل فى حركة الطفل التى تختلف عن حركة الشاب القوى، كما نجد حركة كل منهما تختلف عن حركة الشيخ العجوز، ويدخل فى ذلك أيضا عامل الصحة والمرض.

عامل نفسى: يتمثل فى الحالة النفسية التى يكون عليها الإنسان وتؤثر فى أدائه الحركى، فالشخص الحزين المثقل بالهموم أو ضعيف الإرادة يختلف فى حركته عن الشخص المسرور منشرح الصدر أو قوى الإرادة.

ويمكن أن نرى مثالا لهذين العاملين فى مجال الرياضة البدنية لدى العدائين والسباحين الذين يختلفون فى قطع مسافات معينة عدوا أو سباحة فى قدر محدد من الزمان، ونجد أن الإنجاز الزمانى الذى يحققه العداء أو السباح يعود فى المقام الأول إلى العاملين البدنى والنفسى.

تختلف أيضا الحيوانات التى يستعملها الإنسان ووسائل المواصلات التى اخترعها فى كيفية الأداء الحركى، فحركة الخيل تختلف عن حركة الإبل، وتختلف حركة كل منهما عن حركة البغال أو الحمير، كما تختلف كذلك حركة الدراجة

(١) من المعروف أن عدد أيام السنة الشمسية هى ٣٦٥ يوما وعدد أيام السنة القمرية ٣٥٤ يوما، والفرق بينهما ١١ يوما، ونلاحظ أن هذا العدد يتضاعف إلى ٢٢ يوما فى عامين و ٣٣ يوما بعد ٣ سنوات وهكذا. وإذا افترضنا أن أول يوم فى العام الهجرى سيكون أول يناير من السنة الشمسية فإن اليوم الأول من العام الهجرى فى السنة التالية سيكون فى ٢٠ ديسمبر، وبعد ثلاثة أعوام سيقع فى نهاية نوفمبر، وبعد ٣٣ عاما سيعود بداية العام الهجرى إلى أول يناير مرة أخرى وهذا يعنى أن كل ٣٣ عاما قمريا يساوى ٣٢ عاما شمسيا. تروى بعض المصادر أنهم كانوا فى صدر الإسلام يسقطون سنة كل ٣٣ سنة قمرية لتساوى السنة الشمسية ويسمونها سنة الازدلاف أى التقريب تجنبا لاستعمال اسم النسىء لقوله تعالى : ﴿إنما النسىء زيادة فى الكفر﴾ (التوبة ٣١١)، وقد فسر البعض قوله تعالى : ﴿ولَبِثُوا في كَهْفِهِم ثلاثَ مائةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف : ٢٥) أنه إذا حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة هى تفاوت زيادة الشمسية على القمرية، انظر القلقشندى ٢/ ٣٩٨، المرزوقى ١/ ٩٦.

البخارية عن حركة السيارة، وتختلف هاتان عن حركة الطائرة، إن المسافر فى العصور الوسطى كان يقطع المسافة بين مصر والشام على ظهور الخيل والإبل والحمير فى أسابيع قد يصل عددها إلى شهر أو يزيد، أما الآن فتستطيع أن تقطع نفس المسافة بالسيارة فى أيام بل فى ساعات بالطائرة.

إن الإنسان قد استخدم هذه الوسائل للانتقال عندما أدرك دور الحركة فى اختزال الزمان، وإذا كان الإنسان كما ذكرنا لا يعيش قدرا من الزمان بقدر ما يعيش كيفية من الحركة، فإن هذه الحركة التى تقتضى زمانا قد يطول أو يقصر طبقا لكيفية الحركة التى تقتضى أيضا مكانا تتدرج عليه، لأن هذه الحركة كما تعرفها العلوم العملية «تغير المكان فى الزمان»، ولعل هذه الحقيقة تنقلنا إلى الثنائية الثانية وهى ثنائية الزمان والمكان.

٢ - ١ الزمان والمكان : تعودنا فى حياتنا أن نفكر فى عالم ذى أبعاد ثلاثة، فالأشياء الصلبة أو الجوامد طول عرض وارتفاع، ويمكن أن تحدد المكان أو أبعاد جسم صلب بالرجوع إلى قياس المساحات فى ثلاثة اتجاهات، أما الزمان بوصفه بعدًا رابعًا شبيها على نحو بالمكان فنراه متميزا عنه لا يرتبط به، إلا أننا يمكن تصوره بعدًا رابعا للمكان إذا تأملنا الصور الفوتوجرافية لإنسان ما فى أعماره المختلفة فى الخامسة والخامسة عشرة والخامسة والعشرين وهلم جرا، فهذه صور ذات أبعاد ثلاثة لكائن ذى أبعاد أربعة إذن فمن المعقول أن نقول إننا نفكر فى الزمان بوصفه بعدًا رابعًا.

لقد عرفنا أن الزمان تابع للحركة لأنها تعطينا الشعور أو الإحساس به كما أنها تقوم أيضا بتحديده، ولكننا فى نفس الوقت لا نستطيع تقدير هذه الحركة إلا إذا نسبناها إلى الزمان من ناحية، كما أن هذه الحركة أيضا تتطلب مكانا تتدرج فيه من ناحية أخرى كما ذكرنا، ومن هنا كان الزمان مشتجرا بالحركة تارة، ومشتجرا بالمكان تارة أخرى، ونحن فى حاجة إلى هذا الاشتجار أو الربط لأننا نلمس الزمان ولا نراه شيئا ماديا متحيزا، فلا نراه مثلا كما نرى الأبعاد الأخرى مثل الطول أو

العرض أو الارتفاع، ولهذا كانت ضرورة ربط الزمان بالحركة والمكان معا لأنهما يدفعانه للظهور فى آنات متغيرة ويكون منفعلا بهما.

إننا إذا أردنا تتبع الزمان فيجب أن نترجمه بالمكان لأن أوقات اليوم والشهر والسنة ما هى إلا متغيرات زمانية عن أوضاع مكانية تصور حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، كما أننا إذا أردنا أن نتصور الأحداث التى تميز بها الإنسان يمكن أن نتصورها وكأنها تقع على خط مستقيم له سياق زمنى، وإذا أردنا أن نتصور أن المكان مجموعة من النقط الموجودة على هذا الخط المستقيم، فإننا سنجد هذا المكان هو الذى يحدث فيه الشىء المتزمن، والزمان هو الذى يحدث فيه الشىء المتمكن.

لقد كان هذا التصور للمكان وعلاقته بالزمان ما فطن إليه عالم الرياضيات الروسى منكوفسكى Minkowski الذى كان أول من صرح بوضوح العلاقة الحميمة بينهما فى عام ١٩٠٨، وأن المسافات المكانية تتأثر بتقلص الطول كما تتأثر الفترات الزمانية بتمدد الزمان، تلقف أنشتين هذا التصور وصاغ من خلال نظرية النسبية Relativity التى تجسد فكرة أننا لا يمكن النظر إلى المكان والزمان على أنهما كيانان منفصلان، وعلينا أن نعامل أبعاد المكان الثلاثة وبعد الزمان بوصفها بنية رباعية الأبعاد.

لقد جعلت نظرية النسبية [١] الزمان بعدًا رابعا غير منفصل عن أبعاد المكان الثلاثة الطول والعرض والارتفاع، ويؤلف معها متصلا رباعى الأبعاد يعرف بالمتصل الزمكانى Space - time [٢]. وطبقا لهذه النظرية صار الزمان نسبيا، أى يتغير تبعا للمكان الذى يقاس فيه بعدما كان مطلقًا [٣].

(١) ظهرت نظريتان علميتان فى القرن العشرين غير مفاهمينا عن الثوابت ا لكونية وساهمتا فى إعادة الصياغة لكثير من أساسيات العلم وهما نظرية الكم Quantum لبلانك ١٩٢٦ ونظرية النسبية لأنشتين ١٩٥٥ انظر د. محمود فهمى زيدان من نظريات العلم المعاصر ط النهضة بيروت ١٩٨٢.

(٢) انظر برتراند راسل ألف باء النسبية ٣٥ ت فؤاد كامل الألف كتاب ١٩٦٥ انظر أيضا مارشال ماكلوهان كيف نفهم وسائل المواصلات ص ١٢٨ ت خليل صابات وآخرون ط دار النهضة المصرية ١٩٧٥.

(٣) لقد غيرت نظرية النسبية من تصور الإنسان للكون، فالحقيقة التى يتوصل إليها البحث العلمى حقيقة نسبية لا مطلقة، وجزئية لا كاملة حتى وإن بدت مؤكدة فحواس الإنسان لا يكون حكمها وحدها هو الصواب دائما، فالشىء نراه صغيرا إذا بعد عنا، ويكبر كلما اقتربنا منه مع أنه هو هو لم يتغير، والأرض التى نعيش عليها نعتقد أنها ساكنة لا تتحرك، مع أننا نعلم علم اليقين الآن أنها تدور حول الشمس، وأننا متحركون معها.

وترى هذه النظرية أن الكون يتكون من حوادث Events موجودة فى هذا المتصل الرباعى وتعنى كلمة حادثة هنا أى شىء يسبق شيئا آخر ويتبعه أو يتداخل معه، كما أن إدراك حقيقة أى جسم عبارة عن سلسلة مترابطة من الحوادث مثل شريط الفيلم السينمائى الذى نشاهده، أى أن أى منظر نراه فى هذا الفيلم إنما نراه كشىء واحد له ديمومة معينة وهو فى الحقيقة حوادث متتابعة تبدو كشىء واحد ثابت، فوحدة أى جسم فى هذا الكون تشبه وحدة هذا المنظر الذى يستغرق زمنا لمشاهدته، أى أن أى جسم مادى مألوف لدينا لا نراه شيئا ثابتا ساكنا، وإنما هو فى الحقيقة مركب من مجموعة حوادث مترابطة حسب علاقات معينة.

إننا لا يمكن أن نتصور الزمان إذا لم تتحول المادة من حيز إلى حيز أى لم تنتقل أو تتحرك. ولما كان التغير بالزمان ناتجا عن الحركة فقد حوى فى طياته أيضا المكان كقولك سار مسافة يومين أى قطع حيزا مكانيا فى هذا القدر من الزمان، وإذا لم تتحرك المادة فى حيزها أو مكانها فإنها لن تنتقل ولن يحدث التغير، وبالتالى لا يحدث الزمان الذى يكون مجهولا دون الحركة.

٢ - ٢ وإذا كانت نظريات العلم الحديث قد أدركت ثنائية الزمان والمكان [١]، فإن الجماعة العربية الأولى كانت على وعى وفهم بفطرتها البسيطة لملابسة الزمان بالمكان وارتباط كل منهما بالآخر، ويظهر هذا فيما تنقله لنا بعض المصادر فى جواب أعرابية سألها أحدهم خاطبا : أين منزلك ؟، فقالت: [٢]

أما على كسلان وان فساعة ... وأما على ذى حاجة فيسير

نلاحظ أن لفظ الساعة قد جاء فى جواب الأعرابية تعبيرًا عن البعدين

(١) عرف القدماء الفلاسفة هذه الثنائية. يقول أرسطو فى طبيعياته إن الزمان هو عدد الحركة. ويضيف إلى ذلك قوله : « أن يكون الشىء فى الزمان يعنى أن يكون مقيسا» وذلك لأن الأشياء توجد مطوقة بالعدد كما هى مطوقة بمكانها .
انظر كوستنتين نويكا «الزمن بين الواقع والفكر» مجلة ديوجين ص ٥٩ عدد ١٥ سنة ١٩٧١.

(٢) تجد البيت فى رواية أخرى كما يلى :
بعيد على من ليس يطلب حاجةً ... وأما على ذى حاجةٍ فقريبُ
انظر المصون » لأبى أحمد الحسن العسكرى ص ١٧٥ تحقيق عبد السلام. هارون ط - الكويت.

المكانى والزمانى فبيتها بعيد قريب، بعيد على الكسلان الوانى، قريب لصاحب الحاجة النشط، الأول يصل إليها بمشقة ساعة قد تطول، والثانى يصل إليها بيسر وربما فى أقل من ساعة.

نرى هذا الوعى على لسان الجماعة العربية الأولى أيضا عندما قالت على سبيل المجاز اتسع النهار أى امتد وطال، وفى قول أحدهم ليس عندى متسع من الوقت. فالسعة هنا عكس الضيق حيز مكانى، كما نجد هذه الدلالة المكانية فى قولهم : دخلت الصلاة أى حان وقتها، وخرجت الصلاة أى ذهب وقتها.

وقد أدرك العلماء المسلمون هذه الثنائية أيضا، فهذا أبو على المرزوقى ت ٥٤٣. يقول، إن الذوات لا تحصل إلا فى مكان وزمان [١] »، كما ينص أبو حيان التوحيدى ت ٤١٤ « على أن المكان رديف للزمان » [٢]، ويقول أبو حيان الأندلسى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾ (الأنعام:١٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام : ١٣) « لما ذكر تعالى أنه له ملك ما حوى المكان من السموات والأرض، ذكر ما حواه الزمان من الليل والنهار، وإن كان كل واحد من الزمان والمكان يستلزم الآخر، لكن النص عليهما أبلغ فى الملكية وقدم المكان لأنه أقرب إلى العقول والأفكار من الزمان [٣] ونجد هذا التصور للزمان والمكان فى هذه الآية الكريمة: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد :٣)، فالأول والآخر صفة للزمان، والظاهر والباطن صفة للمكان، فالله سبحانه وسع المكان ظاهرًا وباطنا، ووسع الزمان أولا وآخرا.

وكما فطن هؤلاء العلماء المسلمون إلى ثنائية الزمان والمكان فطن قبلهم النحاة واللغويون المسلمون إلى هذه الحقيقة أيضا عندما درسوا ظرفى الزمان والمكان على صعيد واحد فى قسم المفعولات لأن لهما وظيفة واحدة هى وعائية الحدث، ويعكس هذا الإدراك التصور الناضج للعلاقة بينهما، فالمكان هو الحيز الذى يحل فيه

(١) المرزوقى الأزمنة والأمكنة ١/٧ ط حيدر آباد ١٣٣٢.

(٢) أبو حيان المقابسات ١١٧ تحقيق حسن السندوبى، الهوامل والشوامل ص ٣٠ تحقيق أحمد أمين.

(٣) أبو حيان البحر المحيط ٤/ ٨٣.

الحدث أو يتصور أن يحل فيه وبذلك ربطوا بين المكان والمتمكن فيه فقالوا من لعب ملعب وسبح مسبح، وطعم مطعم أى الأماكن الى يحدث فيها اللعب والسباحة والطعام، والزمان هو الوعاء الذى يحل فيه الحدث أو يتصور أن يحل فيه، فربطوا بين الزمان والمتزمن فيه من الأفعال والأحداث [١].

يقول سيبويه « ... اعلم أن الظروف من الأماكن مثل الظروف من الليالى والأيام فى الاختصار وسعة الكلام، فمن ذلك أن يقول : كم سير عليه من الأرض فتقول فرسخان أو ميلان أو بريدان، كما قلت « يومان وإن شئت نصبت وجعلت كم ظرفا كما فعلت ذلك فى اليومين فلا يكون ظرفا وغير ظرف إلا على كم، لأنه عدد، كما كان ذلك فى اليومين ونظير متى من الأماكن أين، ولا يكون أين إلا للأماكن كما لا تكون متى إلا للأيام والليالى... فأجر كم فى الأماكن مجراها فى الأيام والليالى » [٢]. كما يقول سيبويه فى موضع آخر « ... يتعدى (الفعل) إلى ما كان وقتا فى الأمكنة كما يتعد إلى ما كان وقتا فى الأزمنة، لأن وقت يقع فى المكان ولا يختص به مكان واحد، كما أن ذاك وقت فى الأزمان لا يختص به زمن بعينه، فلما صار بمنزلة الوقت فى الزمن كان مثله، لأنك قد تفعل بالأماكن ما تفعل بالأزمنة، وإن كانت الأزمنة أقوى من ذلك، وكذلك ينبغى أن يكون إذا صار فيما هو أبعد نحو ذهبت الشام، وهو قولك ذهبت فرسخين، وسرت الميلين، كما تقول ذهبت شهرين، وسرت اليومين، وإنما جعل فى الزمان أقوى لأن الفعل بنى لما مضى منه وما لم يمض، ففيه بيان متى وقع، كما أن فيه بيان أنه وقع الحدث، والأماكن لم يبن لها فعل، والأماكن إلى الأناسى ونحوهم أقرب، آلا ترى أنهم يخصونها بأسماء نحو مكة وعمان [٣][٤].

(١) نجد المصرى يدرك بالفطرة دمج الزمان بالمكان فى التعبير المشهور « يخرب بيت سنينك، فالتعبير يجعل المكان يحتوى الزمان بيت + سنين، وإذا ترجمنا هذا التعبير بلغة العلم وقانون الطاقة الذى يساوى كتلة فى مربع + سرعة الضوء. وهو القانون الذى صنع القنبلة الذرية التى هدمت هيروشيما وناجازاكى نجد هذا التعبير الذى ابتدعه المصرى بفطرته يترجم قانون الطاقة.

(٢) الكتاب ١/ ٢١٩ تحقيق عبد السلام هارون.

(٣) انظر الكتاب ١/ ٣٦.

(٤) يقول السيرافى شارحا كلام سيبويه « .. يريد أن الفعل يتعدى إلى ما كان مقدرًا مسافته من الأمكنة نحو الفرسخ والميل، وذلك أن الفرسخ والميل وما أشبهه يصلح وقوعه على كل مكان بتلك المسافة المعلومة المقدرة، وسمَّاه وقتا لأن العرب قد تستعمل التوقيت فى معنى التقدير وإن لم يكن زمنا، الا ترى أن النبى ﷺ وقَّت الحج لكل بلد فجعلها أماكن ١/ ٣٧ هامش الكتاب.

٢ - ٣ لقد كانت حقيقة الارتباط بين الزمان والمكان ماثلة فى أذهان النحاة واللغويين - كما سبق أن أشرنا - وهم يتعاملون مع مثل هذه الألفاظ :

الوقـــت: رأينا فى النص السابق أن سيبويه قد استعمل اللفظ بدلالة مقدار من الزمان يتم فيه حدث ما، وبدلالة المكان أيضا لأنه مقدار مثله.

الميقات: استعملت الجماعة العربية هذا اللفظ بدلالة المكان والزمان المضروب، يقول ابن الأثير : قد تكرر ذكر التوقيت والميقات وهو أن تجعل للشىء وقتا يختص به، وهو بيان مقدار المدة، يقال وقت الشىء يوقته إذا بين حده ثم اتسع فأطلق على المكان»[1]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الواقعة : ٤٩، ٥٠)، أى فى زمان ومكان معينين، وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ (الأعراف : ١٤٣). وثمة فرق بين الوقت والميقات يكمن فى أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشىء قدره مقدر، ولهذا قيل : مواقيت الحج للمواضع التى قدرت للإحرام[2].

المرصـــد : يستعمل اللفظ أيضا بدلالة المكان والزمان، وقد جاء فى قوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (التوبة ٥)، يشرح أبو حيان اللفظ بقوله : « المرصد مفعل من رصد يرصد رقب يكون مصدرا أو زمانا ومكانا ». تقول أرصدته إذا قعدت له على طريقه ترقبه، والترصد والإرصاد الترقب والترقيب، ولا يكون الترقب والانتظار إلا فى زمان ومكان محددين [3][4].

المشهـــد : جاء اللفظ فى قوله ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (مريم: ٣٧)، يشرح أبو حيان اللفظ من خلال تفسيره لهذه الآية قائلا : «... مشهد مفعل من الشهود وهو الحضور، أو من الشهادة ويكون مصدرا ومكانا وزمانا، فمن

(١) ابن الأثير النهاية ١/ ٢١٢ تحقيق محمود الطناحى.

(٢) انظر كتاب الفروق لأبى هلال العسكرى ص ٢٢٤ ومفهوم الوقت ص ١٢٣ ، ١٢٤ من الدراسة.

(٣) أبو حيان البحر المحيط ٥/ ٣ اللسان رصد.

(٤) لاحظ الاسم الذى تحمله مصلحة الأرصاد الجوية التى تهتم بمراقبة الظواهر الجوية من حرارة وبرودة وسحاب ومطر التى تحدث فى مكان وزمان معينين.

الشهود يجوز أن يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة، وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف، وأن يكون من وقت الشهود، ومن الشهادة يجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم ألسنتهم وأرجلهم بالكفر وأن يكون من مكان الشهادة وأن يكون من وقت الشهادة، واليوم العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة »[1].

المطلـع : تستعمل العربية اللفظ بكسر اللام لمكان الطلوع ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ (الكهف : ٩٠) أى مكان طلوع الشمس، كما يستعمل اللفظ بفتح اللام لوقت الطلوع ومنه قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر:٥)، أى وقت طلوع الشمس[2]، ونجد الفقهاء يتحدثون عن اختلاف المطالع، كأن يكون الوقت صباحًا فى بلاد يوافقه المساء فى بلاد أخرى، والمطالع تعنى هنا ارتباط الأوقات بالأماكن.

الـــوراء : تستعمل اللفظ بدلالة ظرف المكان عكس قدام وبدلالة ظرف الزمان أيضا، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف : ٧٩)، هذه الآية معناها أن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتى بعده فى الزمن غصب هذا الملك... قال الفراء لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك وهو وراءك، إنما يجوز ذلك فى المواقيت من الليالى والأيام والدهر، تقول وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد، جاز الوجهان... قال إنما جاز هذا فى اللغة لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك »[3]، كما يذكر فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ (مريم: ٥) من ورائى أى من بعدى أو بعد موتى.

الـــدوام : يدل اللفظ على الاستمرار فى الزمان والبقاء فى المكان، ومن ذلك

(١) البحر المحيط ٦ / ١٩٠.

(٢) اللسان طلع.

(٣) البحر المحيط ٦ / ١٥٤.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ﴾ (المائدة : ٢٤)، وجاء فى لسان العرب دوّم الرجل بتشديد الواو بمعنى أبعد وأمعن فى السير، وأصله دام يدوم، والديمومة الفلاة، سميت بذلك لدوام السير فيها لبعدها، كأن امتداد زمان الحركة يتطلب بعدا مكانيا، كما قالوا أيضا الديمة للمطر الذى يسقط فى مكان ما يوما وليلة، وقيل المطر الذى يستمر خمسة أو ستة أيام [1].

الخلـــود : الدوام والبقاء فى الزمان والمكان لمدة طويلة، وقيل البقاء السرمدى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، وقد سميت الحجارة والصخور والجبال بالخوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال [2].

الأبـــد : يعرف المعجم اللفظ بأنه الزمان السرمدى والدوام فى المكان أيضا، تقول أبد بالمكان يأبد أبودًا أقام به ولم يبرحه، وأبدا ظرف زمان لاستغراق النفى أو الاثبات فى المستقبل واستمراره تقول ساظل فى هذا البلد أبدًا أى لا أبرحه ما دمت حيا [3].

الحضـور : يعنى اللفظ الحضور فى الزمان الحاضر عكس الماضى «والحضور أيضا الوجود فى المكان والحاضر عكس الغائب، ومن هذا قولهم حضرت الصلاة أى جاء وقتها [4].

المضـى : يستعمل اللفظ بدلالتى الزمان والمكان، تقول مضى الشئ يمضى مضيا ومضاء [5]، انتقل من الوقت الحاضر إلى الوقت السالف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الزخرف: ٨)، كما تقول مضى الرجل يمضى بمعنى غادر المكان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف : ٦٠).

وهكذا كانت الجماعة العربية تمارس وجودها بألفاظها التى تواضعت

(١) اللسان دوم.
(٢) اللسان خلد.
(٣) اللسان أبد انظر ص ٩٣ ، ١٢١، ٢٠٤ من الدراسة.
(٤) اللسان حضر.
(٥) اللسان مضو.

واصطلحت عليها بالكينونة والصيرورة معا، الكينونة فى المكان والصيرورة فى الزمان، لأن المكان يعمل على إيجاد التعاقب فى الزمان، والزمان يعمل على ايجاد التعاقب فى المكان، ولهذا التعاقب كيف وكم، أى أن الجماعة العربية الأولى جعلت الزمان كما فى ذاته وكيفا للمكان، والمكان كما فى ذاته وكيفا للزمان، أى أن كلا منهما أصبح كما وكيفا فى آن، ومن هنا كان هذا المفهوم كامنا فى مثل هذه الألفاظ التى عرضنا لها، وقد اهتدت إليها الجماعة العربية الأولى بفطرتها الذكية الواعية، ولم تحمل ألفاظها فقط مفهوم ملابسة الزمان للمكان، وإنما حملته أيضا تصوراتهم الذهنية التى سجلها القرآن الكريم الذى نزل بلسانهم وخطابهم بما تعارفوا عليه، انظر إلى قوله تعالى فى تصوير الحركة الزمكانية للقمر ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ (يونس : ٥)، لقد كانت الجماعة العربية الأولى تعرف أن للشمس والقمر منازل ينتقلان خلالها فى مسيرتهما، وأن هذا الانتقال يتم فى المكان أى فى هذه المنازل، وفى الزمان أى فى دورات زمانية تمثلها الأيام والشهور والفصول، كما نجد هذه الحركة الزمكانية للرياح فى قوله تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ : ١٢)، يقول أبو حيان فى تفسير هذه الآية « سخر الله الريح لسليمان تجرى بأمره فكانت تقطع الغدو إلى قرب الزوال مسيرة شهر، وفى الرواح من بعد الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، فكان يسير كل يوم مسيرة شهرين.. » [1]، ويقترب مفهوم هاتين الآيتين من الحديث المشهور « نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » [2]، المسيرة مصدر بمعنى السير كالمعيشة بمعنى العيش، ومسيرة شهر أى المسافة التى يسار فيها مدتها هذا القدر، يقول ابن الأثير فى معنى الحديث : « أى إذا كان بينه وبين أعدائه مسيرة شهر خافوه وفزعوا منه .. » [3]، يقول ابن حجر «جعل الغاية

(١) انظر البحر المحيط ٧ / ٢٦٤.
(٢) ورد الحديث فى البخارى فى أبواب التيمم والصلاة والجهاد بروايات مختلفة.
انظر البخارى ١/ ٩١ ط الشعب وصحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٥٤ ط الشعب.
من هذا القبيل ما ورد فى صحيح مسلم « إنّ قعر جهنم لسبعون خريفا» باب الإيمان ٣٢٩.
(٣) انظر النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٢٣٣، ٢/ ٤٣٤.

شهرا لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه»[1]، كما يقول العينى: «النكتة فى جعل الغاية شهرًا لأنه لم يكن بين المدينة وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر»[2].

٣ - ١ الزمان والإنسان: عرفنا فى الثنائية الأولى للزمان أن الحركة هى التى تحدد للزمان كميته، وعرفنا فى الثنائية الثانية أن المكان هو الذى يساهم فى تحديد هويته، وسنعرف فى هذه الثنائية الثالثة أن الزمان هو المقياس الذى ابتدعه الإنسان فى تصور كمى هندسى ينظم به حياته، ونلاحظ أن من خصائص هذا الزمان الكمى أو الموضوعى أنه من نتاج ظواهر الطبيعة أى أنه ليس نابعا من خبرات ذاتية للإنسان، ومن ثم فإن قياس الوقت وتحديده يتم وفقا لدورتين: كونية Cosmic cycle وإنسانية Human cycle[3].

إن الإنسان يدرك الزمان من خلال هذا التصور الكمى الموضوعى وكما تحدده الساعات والتقاويم التى اخترعها ولكنه يجد نفسه - وهو ينظم حياته وفق هذا الزمان الموضوعى - ضحية مفارقة ظاهرة يشعر بها ويحسها، إنه يجد نفسه بين شقى رحى، زمان موضوعى من معطيات القياس والحساب والآلات، وزمان ذاتى من معطيات المشاعر والأحاسيس والحالات النفسية وقد يبدو من خلال هذه المفارقة أن كلا من الزمانين منفصل عن الآخر، مع أن الزمانين من صنع الإنسان، ولكن مع التسليم بحقيقة المفارقة فإننا يجب أن ننظر إليها من خلال ثنائية تحكم الإنسان ونعنى بذلك ثنائية العقل والقلب، الجسد والنفس، والقوة والضعف، الأمل واليأس، الصواب والخطأ.

وإذا كان العقل الإنسانى هو المسئول عن اختراع الزمان الموضوعى الذى يشترك فيه جميع البشر، فإن النفس الإنسانية هى المسئولة عن الزمان الذاتى الذى يختلف لدى جميع البشر، إن هذه المفارقة التى يعيشها الإنسان مع الزمان تقوده فى

---

(١) فتح البارى ١/ ٤٥٤.

(٢) عمدة القارى ٤/ ٩.

(٣) انظر International Encyclopedia of social sciences p . 30 , vol , 16 .

كثير من الأحيان إلى عدم الاعتراف بالوقت الناتج عن حركة الأرض وهى تدور حول محورها أو حول الشمس، إنه لا يشعر بهذا الزمان الكمى لأسباب بدنية صحية، أو نفسية شعورية، ولكن يشعر بهذا الزمان الكيفى، ولعل هذا التصور للزمان جعل بعض الذين اهتموا بظاهرة الزمان مثل الفيلسوف الألمانى هيدجر Heigher يقول «إذا كان الزمان أحد المقولات الأساسية للوجود فإننا نعنى بهذا الزمان الذى يختبره الفرد ذاته لا كما يسجله العالم الطبيعى، وبما أن حياة الإنسان تعاش فى ظل الزمان، فإن الزمان جزء من خبرتنا الذاتية، وليس فقط جزءا من الطبيعة»[1]، ويؤكد ذلك باحث آخر قائلا: «... إن الزمان بعد فعال فى شخصية الإنسان ووجوده ولا يمكن حصره بمفهوم ثابت لأنه دائب الحركة والتغير»[2]، ويقول باحث ثالث: «إننا نعرف زمانين، زمانا ظاهرا نعرفه من خلال الليل والنهار، ونقيسه بخطوط الطول والعرض، ونعبر عنه بفترات زمنية محددة مثل الساعات والدقائق، وزمانا باطنيا لا نعرف له وجودا حقيقيا ولكن كل ما نعرفه هو آثاره التى تدل عليه، فكل منا يحمل بين ثنايا ضلوعه وخلاياه وأنسجته مؤشرات مثيرة تبدو لنا كأنها ساعات مضبوطة»[3].

وإذا كان هناك ساعات خارج الإنسان تدله على الزمان، فإن فى داخله أيضا ساعات من نوع آخر تحدثه عن إحساسه بالزمان، إن دقات قلب الإنسان التى تعنى استمرار حياته قد تشبه دقات الساعة التى تعلن ديمومة الوقت وتحديده، وقد ترجم شوقى هذه الحقيقة فى بيت جرى مجرى الأمثال قائلا:

دقات قلب المرء قائلة له ... إنَّ الحياة دقائق وثوانِ

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثانِ

كما أن حركتى الشهيق والزفير للرئتين يترجمها القول المأثور: إن الإنسان أنفاس معدودة فى أماكن محدودة».

---

(١) هانز مايرهوف الزمن فى الأدب ٣٤ - ٣٥ ترجمة د. أسعد مرزوق القاهرة ١٩٧٢.

(٢) د. فخرى الدباغ أصول الطب النفسى ٣٩ الموصل ١٩٧٧.

(٣) د. عبد المحسن صالح الزمن البيولوجى ص ٩ مجلة عالم الفكر عدد ٢ المجلد ٨، ١٩٧٧.

إن الإنسان يخبر الزمان من خلال عاملين [1].

١ - التتابع أو التسلسل Sequence الذى يلاحظه من خلال التغيرات المحسوسة فيما حوله.

٢ - الديمومة أو الاستغراق Duration التى تقتضيها هذه التغيرات.

إن التغير هو الذى يجعل الإنسان يشعر بالزمان، والزمان على ذلك حالة من الحالات التى تمر بالموجودات والكائنات، أو هو التغير الذى يطرأ عليها، كما أن الإنسان لا يعى الزمان الموضوعى بالتغيير الخارجى فقط من خلال تتابع أوقات يومه من سحر وفجر وضحى وظهر وعصر ومغرب وأصيل وعشاء، لكنه يعى بنفس القدر الزمان الذاتى أيضا من خلال تتابع أطوار عمره جسما وعقلا [2]، انظر قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ (الحج : ٥)، إن مضمون هذه الآية يصور لنا مدى الارتباط الوثيق بين حياة الإنسان والزمان، إنه يتخلق ويتكون عبر الزمان، كما تنص على ذلك آية أخرى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ (الأحقاف : ١٥).

إن الإنسان لا يشعر بالزمان فقط من خلال ما يلاحظه من تغيرات تلحق ما حوله من جمادات وكائنات، ولكنه يشعر بالزمان أيضا من خلال ما يشعر به من تغيرات على المستويين الجسمى فى طفولته وشبابه وشيخوخته، والذهنى فى ماضيه

---

(١) انظر International Encyclopedia , p . 25 , vol . 16 .

(٢) نجد على سبيل المثال بعض الآحاد المتميزين يسجل أو يستدعى ما مر به خلال زمان حياته ويسجلها فيما يعرف باسم السيرة الذاتية autobiobraphy أو يسجل ما يمر به من أحداث في مفكرة يومية private diary التى تتحول إلى مذاكرات memoris فيما بعد. انظر ص ٥٢ فقرة ٢-٣.

وحاضره ومستقبله [1]، وهو فى كلتا الحالتين يعبر عن هذه التغيرات بألفاظ ورموز تختلف من ثقافة إلى أخرى [2]، انظر على سبيل المثال قول حاتم الطائى [3] :

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد ... كـذاك الزمــان بيننا يتـردد

يرد علينا ليلة بعـــد يومـــهـــا ... فـلا نحن نبـقى ولا الدهر ينفـد

ويقول آخر :

أشــاب الصـغـيـر وأفنى الكبـيــر ... مــــرُّ الغـــداة وكـــرُّ العـــشى

وإذا كان الإنسان كما يقول ميرهوف Meyer hoff قد تخلق وتكون فى رحم الزمان لأنه حسب الاصطلاح الأرسطى الشرط الدائم لتحويل الصيرورة إلى كينونة والقوة إلى الفعل والنقص إلى الكمال [4]، فإننا سنجد هذا الزمان البانى هادما لما بناه مرة أخرى، لأن ما يولد فى رحم الزمان يبتلعه ثانية ولا شىء يستطيع الصمود أمام منجل الزمن » [5]، إن الزمان مع الإنسان يتصف بالذاتية والموضوعية كما يتصف بأنه بان من ناحية وهادم من ناحية أخرى، من خلاله تنمو حياته وترتقى، ومن خلاله أيضا تنحدر حياته وتتدهور، ولهذا فإن الإنسان كثيرا ما يفزع من الزمان بوصفه مرادفا للموت والبلى، وقد ترجم هذا الشعور حاتم الطائى قائلا [6] :

ومـــا هى إلا ليلة ثم يومـــهـــا ... وحـول إلى حـول وشـهـر إلى شـهـر

مطايا يقـربن الصــحـيح إلى البلى ... ويدنين أشـلاء الهـمـام إلى القـبـر

كما عبر عنه شاعر آخر بقوله [7] :

ألم تر أن الدهر يهــدم مـــا بنى ... ويسلب مـا أعطى ويفسـد مـا أسـدى

---

(١) النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٤٧٩.

(٢) انظر International Encyclopedia , p . 26 , vol . 16 .

(٣) ديوان حاتم ص ٢٦٢ تحقيق د. عادل سليمان ط المدنى القاهرة ١٩٧٥.

(٤) ميرهوف الزمن فى الأدب ص ٧٦.

(٥) المصدر نفسه ٨١.

(٦) ديوان حاتم ص ٢٧٠.

(٧) ابن أبى حديد شرح نهج البلاغة ٣٤٣١٣ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ١٩٧٢.

وقد ردّ الله سبحانه ظن هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدُّنيا نموتُ ونحيا وما يُهلكنا إلاّ الدهرُ وما لهم بذلك من علمٍ إن هُم إلاّ يظُنون﴾ (الجاثية : ٢٤) (١).

٣ – ٢ وإذا كان الزمان الذاتى للإنسان كما رأينا زمانا بانيا هادما، فهو أيضا زمان كيفى نسبى لأنه لا يتغير بحركات الكواكب الأرض والشمس والقمر فقط، ولكنه يتغير بحالات الإنسان النفسية (٢)، فرب ساعة من زمان تمر بشخص كأنها دقائق، وتمر بشخص آخر كأنها ساعات وفى الحقيقة إن الزمان لم يقصر عند هذا، ولم يطل عند ذاك إلا باختلاف الحالة النفسية التى أسرعت بحركة الزمان بدوافع شعورية مثل السعادة والاطمئنان والأمل، والحالة النفسية التى أبطأت بحركة الزمان بدوافع شعورية مثل الحزن والقلق واليأس، انظر على سبيل المثال إلى ذوبان قطعة السكر فى كوب الشاى الذى يستغرق مثلا قدر دقيقة من الزمان تعبر عن ديمومة المادة فى مقابل ديمومة النفس لدى شارب كوب الشاى المطمئن المتأنى، ولدى شارب كوب الشاى القلق المتسرع الذى يتعجل ذوبان قطعة السكر وتكاد نفسه تتمرد على منطق العد والكم الزمانى، وعلى ما يبدو أن هذه فطرة الإنسان أنه يطلب دائما الشىء ويتحريه قبل وقته، انظر قوله تعالى : ﴿ خلق الإنسانُ من عجلٍ ﴾ (الأنبياء : ٣٧)، وقوله تعالى : ﴿ ويدعُ الإنسانُ بالشرِّ دعاءهُ بالخيرِ وكان الإنسانُ عجولاً ﴾ (الإسراء : ١١).

إن الزمان الذاتى لا يخضع للقياس بساعات أو بآلات الرصد وإنما يخضع كما سبق أن أشرنا لحالات الإنسان النفسية والشعورية، ونجد العربية تصور جانبا من ذلك فى بعض الأقوال المأثورة : « يوم السرور قصير، وأطول من يوم الفراق »، وكما يقول بعض الباحثين أن حالة القلق تجعل الإنسان يشعر بالحركة البطيئة للزمان، وكلما ازداد هذا القلق وبلغ قمته يشعر بأن الزمان قد توقف نهائيا (٣).

---

(١) نصت الأديان السماوية على نفى ما يظنه البعض من أن حياة الإنسان تنتهى بالموت. وأقرت بأنه سيعيش زمانا آخر. انظر قوله تعالى ﴿ وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إنّ الإنسانَ لكفورٌ ﴾ (الحج : ٦٦)، وقوله تعالى ﴿ وعد اللهُ المؤمنين والمؤمناتِ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ﴾ (التوبة : ٧٢).

(٢) انظر ص (٤٦، ٤٧) من الدراسة.

(٣) د. عبد الرحمن بدوى، الزمان الوجودى ١٥٠.

ويؤكد باحث آخر هذا بقوله: « إن الاكتئاب هو شعور بتوقف الزمن الذاتى، وهذا يدل على أن الزمن عامل فعال فى شخصية الإنسان (١)، انظر إلى قول أبى فراس وقد وقع أسيرا فى يد الأعداء (٢) :

تطول بى الساعات وهى قصيرة   وفى كل دهر لا يسرك طول

وقول النابغة شاكيا همومه لابنته (٣) :

كلينى لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطىء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض   وليس الذى يرعى النجوم بآيب

ويمكن أن نرى هذه الحقيقة واضحة جلية إذا تصفحنا دواوين بعض الشعراء الذين خاضوا تجربة الحب وعاشوا زمان العشق الذى كان يطول ويقصر مع المحبوبة، فهذا عمر بن أبى ربيعة يقول (٤) :

الشهر مثل اليوم إن رضيتْ   واليوم إنْ غضبت به شهرْ

كما يقول : يطول اليوم فيه لا أراكم   ويومى عند رؤيتكم قصيرُ

وهذا عباس بن الأحنف يقول (٥) :

اليوم مثل العام حتى أرى   وجهَك والساعةُ كالشهر

وهذا ثالث يقول (٦) :

أخو الهوى يستطيل الليل من أرق   والليل فى طوله جار على قدر

ليل الهوى سنة فى الهجر مدته   لكنه سِنةٌ فى الوصل من قصر

---

(١) د. فخرى الدباغ أصول الطب النفسى ٣١.

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ١٦٢ تحقيق محيى الدين عبد الحميد.

(٣) الأغانى ١١/ ٣٨٠٢ تحقيق إبراهيم الإبيارى ط الشعب.

(٤) ديوان عمر ص ١٥٧ / ١٥٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد.

(٥) ديوان ابن الأحنف ١٢١ تحقيق عاتكة الخزرجى.

(٦) اليوسى زهر الأكم ٢/ ١٧٧٩ تحقيق د. محمد حجى.
لاحظ لفظ السنة فى الشطر الأول بفتح السين وفى الشطر الثانى بكسرها.

لقد تحدث هؤلاء المحبون الذين عاشوا زمان العشق ليلا فهو قصير فى الوصل والقرب، طويل فى الهجر والبعد، يقول الوليد بن زيد [1] :

فالليل أطول شىء حين أفقدها ... والليل أقصر شىء حين ألقاها

ويقول عمر بن أبى ربيعة [2] :

فيالك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

يقول حبيب بن عيسى الكاتب [3] :

إذا خلونا ليلة مشهورة ... طاب الحديث وعفت الأسرار

فكأنها كانت علينا ساعة ... وكذا ليالى العاشقين قِصار

يقول صاحب زهر الأكم [4] : «.. اعلم أن للشعراء فى الليل مقصدين لباعثين متباينين : فتارة يستطيلونه ويستبطئون الإصباح، وذلك لأجل الاختناق وتباريح الأشواق والفراق، وتارة يستقصرونه ويودون أن لو دام، وذلك عند اجتناء ثمرات الوصال والاشتغال بلذات الإقبال فمن الأول قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علىَّ بأنواع الهموم ليبتلى

ألا أيها الليل الطويل الا انجلى ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ومن الثانى قول الوليد بن زيد :

فالليل أطول شىء حين أفقدها ... والليل أقصر شىء حين ألقاها

٣ - ٣ لقد وصفنا الزمان الذاتى بأنه زمان بان هادم، وزمان كيفى ونسبى، ويمكن أن نصفه أيضا بأنه زمان مسترجع ومستشرف معا [5]، إن الانسان غالبا ما

(١) المصدر نفسه ٢/ ١٨٢.
(٢) ديوان عمر ١٦٦.
(٣) ابن أبى عون. التشبيهات ٢٩٦ تحقيق د. عبد المعين خان كمبردج ١٩٥٤.
(٤) الحسن اليوسى زهر الأكم ٢/ ١٧٤.
(٥) انظر كونستنتين نويكا الزمن بين الواقع والفكر ص ٦٢ . مجلة ديوجين مطبوعات اليونسكو عدد ١٥ سنة ١٩٧١ انظر هامش ٢ ص ٤٨ .

يشعر بفقدان الزمان الموضوعى وضياعه ولا يستطيع استرجاعه مرة أخرى، أما الزمان الذاتى فإنه مختزن فى الذاكرة يستطيع الإنسان أن يسترجعه ويستعيده بكل تفاصيله فى معظم الأحيان. إنه يمكن أن يعود بالذاكرة إلى زمان الطفولة، وزمان الصبا والشباب، وكما يستطيع أن يعيش الماضى بكل تفاصيله التى مرت به، ويمكن أن يعيش المستقبل أيضا ويستشرفه بالعمل والجهد من أجل تحقيق أهدافه وآماله التى يسعى إليها، ويضع الخطط والترتيبات الموقوتة باليوم والشهر والسنة.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن الفرق بين الزمان الموضوعى والزمان الذاتى أن الأول هو نتاج حركات الكواكب ويشترك فيه جميع الأفراد، أما الثانى فهو نتاج حركات أو تجارب الأفراد وهم فيه مختلفون، حتى إننا يمكن أن نقول إن لكل منا زمانا خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية، فهناك من يعيش الماضى وذكرياته، وهناك من يعيش المستقبل ومتطلباته، ويمكن أن نشبه الأول بالشخص الذى يختار مقعده فى القطار بحيث يرى المشاهد الماضية التى مر بها القطار، ويمكن أن نشبه الثانى بالشخص الذى يختار مقعده فى القطار بحيث يرى المشاهد الآتية التى سيمر بها القطار، فالشخص الأول متفرج ساكن، والشخص الثانى مترقب متحرك، وهكذا حياة الأفراد بل الجمادات أيضا، فمنهم من يركن إلى الماضى كل يوم مفتخرا أو متأسفا، أو كما يقول ابن الرومى [1] :

شعار الفتى ذم الزمان الذى أتى ... ومن شأنه حمد الزمان الذى مضى

ولم لا وفى الآتى أخو العيش يجتوى ... وفى الزمن الماضى أخو العيش يرتضى

ومنهم من يتطلع إلى المستقبل يدبر له ويخطط من أجل عيش أفضل، يسير مع الزمان وقد يسابقه، كما يقول الشاعر [2] :

أخُطُ مع الدهر إذا ما خطا ... واجرِ مع الدهر كما يجرى

(١) الديوان ٤ / ١٣٨٣ وانظر الأكم ٢/ ١٠٤.
(٢) اعتادت بعض المجتمعات الحديثة والقديمة حفظ ماضيها والإبقاء عليه بإنشاء المتاحف وإقامة النصب التذكارية لتخليد ما مر بها من أحداث وتخليد موتاها بعمل التماثيل.

إننا إذا تصفحنا كتب اللغة والأدب والتاريخ عرفنا أن الزمان الماضى كان زمانا مهما فى حياة الجماعة العربية الأولى لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات[1]. وليس من قبيل المصادفة أن يسمى التاريخ عندهم بالأيام، كما نجد هذا الاهتمام بالماضى فى ظاهرة بكاء الأطلال والوقوف عليها فى الشعر العربى. وعلى ما يبدو أن هذا الاهتمام بالماضى والانكفاء عليه، والتردد فى التعامل مع المستقبل والنفور بالتالى من التغيير أصبح سمة ملحوظة من سمات مجتمعاتنا العربية مما جعلها فى حالة من البيات الزمانى أو الحضارى.



★ ★ ★

(١) نلاحظ أن الإنسان الغربى عكس الإنسان العربى يتكلم عن المستقبل أكثر مما يتكلم عن الماضى، ولعل من نتاج هذا الاهتمام ظهور ما يسمى باسم علم المستقبل Futurism لدى الأوربيين، انظر على سبيل المثال :
Alvin Tottler : future shock 10 th printing Bantambook N . Y . 1917 .
Joseph Coast & Jenefar Jarrat : What futurists Believe, Lommand & world future society N . Y . 1989 .

الفصل الثانى

الزمان والبيئة

١ - ١ يعتبر مفهوم الزمان كما سبق أن أشرنا من أهم المفاهيم التى ترتبط بحياة الإنسان ارتباطا وثيقا، ونجد هذا المفهوم يتحدد بعاملين : عامل مادى يتمثل فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها، وعامل معنوى يتمثل فى ثقافة المجتمع الذى ينتمى إليه.

إن الإنسان والبيئة والمجتمع ثلاث دوائر متشابكة تكون ثقافة أى جماعة إنسانية ونعنى بالبيئة الظواهر المادية التى يعايشها الإنسان، وتتمثل فى الأرض التى يعيش عليها صحراوية مترامية، أم زراعية سهلة، أم جبلية وعرة، والمناخ الحار أم البارد أم المعتدل، وما تعرفه الأرض من نباتات وحيوانات تتكيف مع المناخ.

إن البيئة بناء على ذلك بقعة من الأرض يتخذها الإنسان ويكيف حياته عليها، ويعيش فيها بالطريقة التى تلائمه، أما المجتمع فهو مجموع الأفراد الذين ينشأ بينهم ويلتقى معهم الإنسان بعادات وأعراف وعقائد وأفكار يتفق معهم عليها.

إن ثقافة أى جماعة هى نتاج التفاعل بين الإنسان والبيئة حيث تتولد عن هذا التفاعل عناصر الثقافة المختلفة مثل أنظمة اللغة والدين والقرابة والزمان والمأكل والمشرب والمسكن والملبس وغير ذلك، لقد تعلم الإنسان نتيجة لهذا التفاعل كيف يبنى لنفسه المسكن الذى يحقق له الحماية، وكيف يصنع لنفسه الملبس ليحفظ جسمه، وكيف يشبع جوعه باستخدام ألوان الطعام المتاحة له فى البيئة من النباتات والحيوانات، ويتعلم كيف ينظم نشاطه وعمله بتقسيم الزمان إلى أوقات من خلال الظواهر الطبيعية الموجودة فى البيئة، بمراعاة نجوم السماء التى تعتبر أول ساعة

عرفها الإنسان، ومتابعة الشمس والقمر وما ينتج عنهما من ظواهر طبيعية مثل الشروق والغروب والفئ والظل والجزر والمد.

إن مفهوم الزمان لدى المجتمعات الإنسانية يرجع فى المقام الأول إلى إدراك هذه المجتمعات للظواهر الطبيعية التى تكرر نفسها فى دورات زمانية، ولعل هذا الارتباط الوثيق بين الزمان وظواهر الطبيعة جعل اللغة الفرنسية تستعمل لفظ Le temps الزمان فى قول أحدهم : ليس لدى وقت Je n' ai pas le temps أو بدلالة الطقس فى قول أحدهم : الطقس بارد Le temps est froid، ومن هذا القبيل ما يذكره المبشر مونجوبيتى mongo Beti الذى عاش بين قبائل البهوان فى أفريقيا من أن أفرادها يحسبون أعمارهم بتعاقب الفصول كان يقول أحدهم إنه شهد مائة فصل، ويحدد المبشر دلالة الفصل بأنه الزمن ما بين بذر الحبوب والحصاد، ولما كان فى السنة فصلان - لأنه فى كل مرة توجد دورة حصاد ودورة بذر - فعلى ذلك يكون عمر هذا الشخص الذى شهد مائة فصل خمسين عاما [(١)].

وإلى جانب هذه الظواهر الطبيعية التى تلعب دورًا مهما فى تحديد أوقات الزمان تعرف المجتمعات الإنسانية من خلال تفاعلها مع البيئة التى تعيش فيها مقاييس أخرى لتحديد أوقات الزمان، وتذكر لنا بعض الدراسات الأنثروبولوجية أن بعض القبائل الأفريقية مثل قبائل النوير تعلق أهمية كبيرة فى تحديد الأوقات على حركات الأجرام السماوية واتجاه الرياح وهجرة الطيور، هذا إلى جانب ما يقومون به من أعمال ومناشط عادية رتيبة فى حياتهم اليومية فنجد عندهم تعبيرات زمانية مثل سأعود عند حلب اللبن، أو سأرحل عندما تعود العجول من المراعى[(٢)]، كما نجد أن الزمان لدى قبائل الهوبى من الهنود الحمر ليس مجرد تعاقب أو ديمومة متماثلة ولكنه تعدد أشياء مختلفة متعايشة، فهذا يحدث حينما «تنضج الذرة»، أو حينما «تكبر الماشية»[(٣)] [(٤)].

(١) جوزيف مارى أوما « أسطورة السن » ص ١٣ مجلة ديوجين عدد ٢١ - ١٩٧٣.
(٢) د. أحمد أبو زيد البناء الاجتماعى ١/ ٥٠ الكتاب العربى ١٩٦٧.
(٣) ما كلوهان كيف نفهم وسائل الاتصال ص ١٦١. ط دار النهضة ١٩٧٥.
(٤) عرف الصينيون واليابانيون قبل استعمالهم للساعات الآلية فى القرن ١٧ قياس الوقت بواسطة البخور، فقد كانت مجموعة من الروائح المتدرجة بدقة تعين فى آن واحد ليس فقط الساعات والأيام بل الفصول وصور =
البروج، انظر ماكلوهان : كيف نفهم وسائل الاتصال ص ١٦٠.

تعرف كثير من اللغات الأفريقية مثل اللغة اللوغندية التى يتكلم بها الأوغنديون تعبيرات زمانية نابعة من البيئة لتقسيم أوقات اليوم، فوقت السحر يحدد بقولهم matan - sejjere يعنى التعبير حرفيا وقت إمساك النمل، ويحدد وقت الشروق بقولهم Kiny - Wambogo يعنى التعبير حرفيا وقت شرب الجاموس، ويحدد وقت الضحى بقولهم Kalasa - mayanz يعنى التعبير حرفيا وقت انتشار الجراد، ويحدد وقت الظهر أو القيلولة بقولهم Gandalo ويعنى التعبير حرفيا وقت تمديد الأعضاء أى الاسترخاء [(١)] وهو ما تعبر عنه العربية بالقيلولة.

وقد عرفت العربية مثل هذه التعبيرات فى قولهم « فواق ناقة » بمعنى القليل من الوقت، وهو قدر من الزمان اعتادت الجماعة العربية الأولى أن تريح فيه الناقة بعد الحلب، وقد جاء فى الحديث: « عيادة المريض قدر فواق ناقة [(٢)] »، كما نجد استعمال لفظ الغب بمعنى شرب الإبل يوما بعد يوم، وقد جاء فى الحديث « أغبوا فى عيادة المريض [(٣)] ».

يشير المرزوقى فى كتاب الأزمنة والأمكنة إلى ما اهتم به الأنثروبولوجيون المحدثون فى دراستهم لثقافات المجتمعات الإنسانية قائلا « .. اعلم أن العرب أحفظ الأمم لما أدت إليه تجاربهم من أحوال الزمان وتعاقب الشهور والأيام واختلاف الفصول والأيام والأعوام، وبما يتجدد فيها من الأحداث، فهم على اختلاف ديارهم وتباين أوطانهم وتفاوت هممهم يراعون من هبوب الرياح وطلوع الكواكب وتبدل الأوقات ما لا يراعيه غيرهم من سكان المدر والوبر وقطان البدو، وليس ذلك مستحدثا فيهم وإنما هو عادة منهم يتوارثونه الخلف عن السلف، والغابر عن الماضى ومقياسهم طول الدربة ودوام التفقد » [(٤)].

= كما نجد وسائل أخرى عرفتها المجتمعات الإنسانية لقياس الوقت مثل الشموع Candles والساعة الشمسية Sundial والساعة الرملية Sandial انظر . International Encyclopedia , p. 23 . Vol . 16
(١) حدثنى بذلك أحد الطلاب الأوغنديين بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى مكة المكرمة.
(٢) النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٤٧٩ وص ٧٩، ٨٠ من الدراسة.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٣٣٦.
(٤) المرزوقى ٢/ ١٧٩.

كما يشير أبو حيان التوحيدى مثل المرزوقى إلى علاقة الزمان بالبيئة عند العرب قائلا « .. إن العرب نظروا إلى الزمان واختلافه فجعلوه ربيعيا وصيفيا وقيظيا وشتويا، ثم علموا أن شربهم من السماء فوضعوا لذلك الأنواء، وعرفوا تغير الزمان فجعلوا منازله فى السنة، واحتاجوا إلى الانتشار فى الأرض فجعلوا نجوم السماء أدلة على أطراف الأرض وأقطارها فسلكوا بها البلاد .. » [1].

لقد ارتبط الزمان عند الجماعة العربية ببيئتهم الصحراوية ارتباطا وثيقا، وقد يظن البعض أن العربية نشأت فى صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها، ولهذا فإنها تخلو من التوقيت الدقيق فى تميز الأفعال والأحداث، ولكن معجمها اللغوى يرد على ما يظن ظنه، ويقدم الدليل على أنه كان لكل لحظة من لحظاتهم شأنها فى حياتهم فى حلهم وترحالهم وسكونهم وحركتهم فى وقت سيرهم ووقت راحتهم وفى اختلاف أوقات النهار والليل وفى فصول الشتاء والصيف وفى أوقات سقوط الأمطار و هبوب الرياح، وغير ذلك من عوارض الطبيعة التى تعرض فى أوقات معينة، لأن كل هذه العوارض كانت مرتبطة بنشاطهم وحركاتهم.

١ - ٢ لقد سبق أن أشرنا فى بداية هذه الدراسة إلى أن الإنسان قد أدرك الزمان من خلال ملاحظاته ومشاهداته للمتغيرات والحوادث التى تدور فى بيئته، عندما صعد نظره إلى السماء بكواكبها ونجومها وسحبها ومطرها، وعندما صوب بصره إلى الأرض بحيواناتها ونباتاتها، بل عندما نظر إلى حياته هو نفسه من ميلاد ومعاش وموت » [2].

كما سبق أن أشرنا أيضا إلى أن الزمان هو نتاج حركة الكواكب، الأرض والشمس والقمر، وأن هذه الحركة تتميز بالإيقاع والتناسب، وقد تأمل الإنسان منذ القدم هذه الكواكب والنجوم التى فى السماء وربط بينها وبين ما يحدث أمامه من تغيرات مثل تعاقب الليل والنهار والشروق والغروب وتعاقب الفصول من شتاء وربيع

(١) أبو حيان الإمتاع والمؤانسة ١/ ٧٢.

(٢) انظر ص (١٨٠) من الدراسة.

وصيف وخريف، وتعاقب مواسم البذر والحصاد للنباتات، وأوقات تزاوج وتوالد الحيوانات، بل إنه قد و جد علاقة بينه وبين هذه النجوم والكواكب [1]، انظر على سبيل المثال قول رؤبة مادحا بنى العباس بعد انقراض دولة بنى أمية [2]:

مـــروان لما أن تهـــاوت أنجـــمـــه ... وخـــانه فى حكمـــه منجّـــمـــه

مـــا زال يبنى خندقـــا ويهـدمـــه ... ويســتــجــيش عــسكرا ويهـزمــه

وقول الهذلى [3] :

لو نال نجم السـعـد أكرم من مشى ... لنال يكفـيــه نجــوم الأســاعــد

ولا يزال الإنسان إلى اليوم يؤمن بعلاقة هذه الكواكب والنجوم بمولده وتأثرها فى حياته ومصيره، كما نجد كثيرا من اللغات تعرف تعبيرات مثل علا نجمه وأفل نجمه فى العربية، وتعبير Star - crossed فى الإنجليزية بمعنى سيئ الطالع، وكذا فى الفرنسية une mauvaise etoile كما نجد لفظ النجم Star يطلق على المشاهير من الرجال والنساء [4].

والنجم كما ينص المعجم [5] الوقت المضروب ومن ذلك قولهم : نجمت المال إذا أديته نجوما أى فى مواعيد محددة، والنجم المقدار من الشىء يرتبط بوقت وهو يرادف القسط، تقول جعل وفاء دينه نجوما، ومن ذلك حديث سعـد : « والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة » أى مدفوعة فى أوقات معلومة متتابعة [6].

(١) لاحظ حرص كثير من المجلات والصحف على باب حظك هذا اليوم أو حظك هذا الأسبوع وما نقرأه فى كتب اللغة والأدب والتاريخ عن دور التنجيم والمنجمين فى حياة الملوك والخلفاء، ومن هذا ما تذكره بعض المصادر من أن عمر بن عبد العزيز قال لمن حذره من السفر بسبب نزول القمر فى الدبران إننا نسير بالواحد القهار، انظر أيضا مناسبة قصيدة أبى تمام :

السـيف أصـدق أنبـاء من الكتب ... فى حـده الحـد بين الجـد واللعب

(٢) الأغانى ٢٣ / ٨٠٥٢ ط الشعب.

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٩٦٧.

(٤) International Encyclopedia 35 .

(٥) اللفظ مشتق من قولهم نجم الشىء نجوما ظهر وطلع ويقال للكوكب والنبات والسن، والنجم فى الأصل اسم لكل واحد من كواكب السماء وجمعه نجوم وهو بالثريا أخص، جعلوه علما لها، فإذا أطلق فهو يعنيه. انظر اللسان نجم.

(٦) النهاية فى غريب الحديث ٥/ ٢٤.

وتعود هذه الدلالة إلى أن الجماعة العربية الأولى كانت تؤقت أداء ديونها ودياتها بطلوع بعض النجوم فأطلق النجم على الوقت المضروب لدفع بعض الدية أو الدين، فقالت جعل فلان ماله على فلان نجوما معدودة تؤدى عند انقضاء كل شهر منها نجما، كما قالت : قد نجمها عليه تنجيما، والنجوم أيضا نزول القرآن نجما بعد نجم أى آية بعد آية، قالوا نزل القرآن نجوما أو منجما أى على فترات زمانية استغرقت عشرين عاما.

لقد ميزت الجماعة العربية الأولى بين الأجرام السماوية وقسمتها إلى نجوم وكواكب وفرقوا بينها، كما أطلقت أسماء مختلفة على عدد كبير من النجوم التى كانت تظهر كنقاط لامعة فى السماء، حددت بها أوقاتها، وشبهت وضربت بها الأمثال، ومن هذه النجوم :

بنات نعش الكبرى : وهى سبعة نجوم على القرب من القطب الشمالى منها أربعة فى صورة نعش، وثلاثة أمامه مستطيلة وهى المعبر عنها بالبنات، ويسمى الأول منها بالقائد.

بنات نعش الصغرى : وهى سبعة نجوم تشبه نبات نعش الكبرى، أربعة منها نعش وثلاث بنات ومن الأربعة الفرقدان.

الفرقدان : هما نجمان متقاربان من بنات نعش كما ذكرنا، قال الهذلى [1]:

ومجدا يناصى الفرقدين ولم تكن ... كمن زخرف الأموال والمخ لاعب

الشِّعريان : وهما نجمتان إحداهما : شعرى العبور التى فتنت بها الجماعة العربية فعبدتها وجاء ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿وأنَّه هو ربُّ الشِّعرى﴾ (النجم : ٤٩) ، والأخرى الشعرى الغميصاء.

الثُّريا : ستة نجوم ظاهرة تصير فى الشتاء فى كبد السماء، الاسم مشتق من الثروة وهى كثرة العدد، وتردد ذكرها كثيرا فى شعرهم، ومن ذلك قول الهذلى [2]:

(١) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٩٤٨.

(٢) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٩٦٧.

لو كان حوض الموت لا شىء دونه ... مكان الثريا كنت أول وارد

العيوق : نجم من نجوم الثريا، وموضعه وراءها، جاء فى الشعر فى قول الهذلى [1]:

باطيب من مقبلها إذا ما ... دنا العيوق واكتتم النبوح

الدَّبران : نجم أحمر منير سمى بذلك لاستدباره الثريا.

الجدى : نجم صغير يقال له جدى بنات نعش الصغرى تعرف به القبلة.

السُّها : نجم من بنات نعش الكبرى امتحنت به الجماعة العربية أبصارها لخفائه فقالت : أريها القمر وترينى السها [2].

سُهَيل : نجم أحمر منفرد من النجوم اليمانية يُرى فى جميع أرض العرب، يقول عمر بن أبى ربيعة هاجيا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الذى تزوج الثريا [3] [4].

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان

وكما عرفت الجماعة العربية الأولى هذه النجوم المختلفة عرفت أيضا الكواكب السيارة : المريخ والمشترى والزهرة وزحل وعطارد، التى سميت بالدرارى الخمسة [5] أو الجوارى الخنس التى أقسم بها الله تعالى فى قوله : ﴿فلا أُقسم بالخُنَّس * الجَوَار الكُنَّس﴾ (التكوير : ١٥)، وقيل أنها سميت بذلك لأنها تسير فى الفلك من المغرب إلى المشرق ثم تتقهقر راجعة فى طريقها فتسير من المشرق إلى المغرب.

(١) المصدر نفسه ١/ ١٧٢ (٢) الميدانى ٢/ ٣١.

(٣) الديوان ١٥٦ تحقيق محيى الدين عبد الحميد.

(٤) انظر المزيد عن هذه النجوم ابن قتيبة الأنواء ٢٤ - ١٥، ١٤٠، ١٥٥ القلقشندى ٢/ ١٧٢ - ١٧٣.

(٥) أطلق اليابانيون القدماء أسماء هذه الكواكب على أيام الأسبوع التى كانت خمسة أيام ثم أضاف إليها الأوربيون القدماء يوم الشمس Sunday ويوم القمر Monday ليكون الأسبوع سبعة أيام.
انظر الفصل الثانى من الباب الثانى أيام الأسبوع.

وكل من استمر فى طريق ثم رجع فقد خنس، وبذلك سمى الشيطان خناسا فى قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (الناس : ٤)، لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى خنس أى أدبر وتقهقر راجعا [١]، وقيل أنها سميت بذلك لأنها تخنس أحيانا فى مجراها حتى تختفى تحت ضوء الشمس بينما نراها فى آخر البرج تكر راجعة، وسميت بالكنس لأنها تكنس أى تستر كما تكنس الظباء فى كناسها، كما سميت هذه الكواكب أيضا بالمتحيرة لأنها تشبه فى رجوعها بمن تحير فى سيره فلا يدرى أى جهة يقصد إليها، فهو يقبل فى طريقه ويدبر.

يذكر الطبرى أن هذه الكواكب الخمسة طالعات جاريات مثل الشمس والقمر عاديات معهما، أما سائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق القناديل فى المساجد [٢]، كما يقول ابن قتيبة « إن هذه الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر، غير أن بعضها أبطأ سيرا من بعض، فما كان منها فوق الشمس يكون أبطأ منها، وما كان دون الشمس فهو أسرع، ويقال إن زحل أعلاها ثم المشترى ثم المريخ ثم الشمس، ودون الشمس الزهرة ثم عطارد ثم القمر فالشمس متوسطة لها ثلاثة فوقها وثلاثة تحتها» [٣].

جعل القلقشندى الشمس والقمر مع هذه الخمسة سبعة كواكب سيارة، ويذكرها بترتيبها مشيرا إلى اشتقاق أسمائها قائلا : « .. فأما القمر فمأخوذ من القمرة وهى البياض وفلكه أقرب إلى الأرض وهو المعبر عنه بالسماء الدنيا، وأما عُطارد فمعناه النافذ فى الأمور، ولذلك سمى الكاتب وهو فى الفلك الثانى بعد فلك القمر، والزهرة مأخوذة من الزاهر وهو الأبيض وهى الفلك الثالث من القمر، أما الشمس فهى الفلك الرابع سميت لذلك لشبهها بالشمسية وهى الواسطة التى فى المخنقة لأن الشمس واسطة بين ثلاثة كواب سفلية هى القمر وعطارد والزهرة وبين ثلاثة علوية هى المريخ والمشترى وزحل، وأما المريخ فمأخوذ من المرخ وهو شجر

(١) النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٨٣.

(٢) تاريخ الطبرى ١/ ٣٥ ط دار القلم بيروت.

(٣) ابن قتيبة الأنواء ص ١٢٦.

تحتك أغصانه فتورى النار فسمى بذلك لشبهه بالنار فى احمراره، وهو الفلك الخامس بعد القمر، وأما المشترى فسمى بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه، وقيل لأنه نجم الشراء والبيع عندهم وهو الفلك السادس من القمر، وأما زحل فمأخوذ من زحل إذا أبطأ سمى بذلك لبطئه فى سيره .. » [١].

ويشير المرزوقى فى باب قسمة الأزمنة إلى حركتى الشمس والقمر وارتباطهما بالشهور والفصول والسنتين الشمسية والقمرية قائلا : « ... اعلم أن الشمس تدور فى الفلك [٢] دورًا طبيعيا وهى لازمة له، وربما كانت على هذا الفلك وربما مالت إلى الشمال أو الجنوب ويسمى هذا الميل عرض الكواكب ويسمى هذا الفلك فلك البروج وهى اثنا عشر برجا [٣] : الجدى، الدلو، الحوت، الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، وإنما انقسم هذا الأنقسام لأن الشمس متى انتقلت فى دورانها نقطة معينة عادت إلى تلك النقطة بعد ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم، وفى دورها تستوفى فصول السنة التى فى الشتاء والربيع والصيف والخريف، ولهذه العلة سميت هذه الأيام سنة الشمس، والقمر يجتمع مع الشمس فى مدة هذه الأيام اثنتى عشرة مرة فجعلت السنة اثنى عشر شهرا سميت بالشهور القمرية كما جعل الفلك اثنى عشر برجا ليكون لكل شهر برج، كما اعتمد العرب على الأهلة فكل اثنى عشر هلالا عندهم سنة فيكون عدد أيامها ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما » [٤].

(١) القلقشندى ٢/ ١٥٦ - ١٥٨.

(٢) اللفظ مأخوذ من الفلك بمعنى الاستدارة، ومن ذلك الفلكة بسكون اللام القطعة المستديرة من الأرض التى ترتفع عما حولها، وفلكة المغزل التى سميت بذلك لاستدارتها وكل مستدير فلكه، ومن ذلك أيضا قولهم فلك ثدى الجارية تفليكا أى استدار وأصبح كالفلكة.
وفلك السماء القطب الذى تدور عليه الأفلاك شبه بقطب الرحى، وقيل الفلك استدارة السماء، كما قالت العرب الفلك هو الموج إذا ماج، والبحر إذا ما اضطرب وجاء وذهب، يقول الطبرى فى تفسير قوله تعالى : «كل فى فلك يسبحون» خلق الله بحرا دون السماء وهو موج قائم فى الهواء بأمر الله لا يقطر منه قطرة، وذلك البحر جار فى سرعة السهم، وتجرى الشمس والقمر والخنس فى غمر ذلك البحر، والفلك دوران العجلة فى لجة غمر ذلك البحر » تاريخ الطبرى ١/ ٢٤، القلقشندى ٢/ ١٥٤.

(٣) قارن ذلك بما تقرأه فى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية باب حظك اليوم أو هذا الأسبوع.
انظر تسمية هذه الأبراج ومراتبها القلقشندى ٢/ ١٦٠.

(٤) انظر المرزوقى الأزمنة والأمكنة ١/ ١٧٠ - ١٧١.

١ - ٣ لقد كانت الجماعة العربية الأولى على معرفة دقيقة بحركات النجوم والكواكب والأنواء وعلاقتها بالظواهر الطبيعية كالرياح والأمطار وتعيين الأوقات وضبط الأزمنة على مدار اليوم والشهر والسنة، وقد سجلت لنا كتب الأدب واللغة الكثير من المعلومات الفلكية والمعتقدات الجاهلية والتعبيرات اللغوية التى تصور لنا عمق هذه المعرفة من جهة، ومدى تأثيرها فى حياتهم من جهة أخرى [١]، يقول ابن قتيبة فى مقدمة كتابه الذى يعد أول كتاب كامل يصلنا فى هذا المجال: «...هذا كتاب أخبرت فيه بمذاهب العرب فى علم النجوم مطالعها ومساقطها وصفاتها وصورها، وأسماء منازل القمر وأنوائها، والأزمنة وفصولها، والأمطار وأوقاتها، واختلاف أسمائها فى الفصول، وأوقات التبدى لتتبع مساقط الغيث وارتياد الكلأ، وأوقات حضور المياه، وما أودعته العرب أسجاعها فى طلوع كل نجم من الدلالات على الحوادث عند طلوعه.. » [٢].

١ - ٤ لقد عرفت الجماعة العربية ما يسمى بالأنواء وهى نجوم معروفة الطلوع والسقوط وعددها ثمانية وعشرون بعدد منازل القمر، وتعرف كل منزلة منها طلوعا وسقوطا للنجم، كما لاحظت أن هذه النجوم تتقارن اثنين اثنين، يطلع أحدها فى المشرق غداة يسقط أخوه فى المغرب، وقد سمت الطالع رقيبا [٣] وكأنه يرقب سقوط الآخر، وسموا الساقط نوءا [٤] من قولهم ناء الشىء سقط ومال، واهتمت الجماعة العربية بمراقبة هذه النجوم ورصد مواضعها وسمت بها الأوقات، وراقبت

(١) انظر على سبيل المثال ابن سيده المخصص المجلد الثانى السفر التاسع كتاب الأنواء.
النويرى نهاية الأرب الجزء الأول الفن الأول فى السماء والآثار العلوية.

(٢) ابن قتيبة الأنواء فى مواسم العرب ص ١.

(٣) اللفظ مأخوذ من قولهم رقب الشىء يرقبه وراقبه مراقبة حرسه أو حفظه أو بمعنى انتظره ورصده، وما المرقبة المنظرة فى رأس الجبل أو الحصن والجمع مراتب، ومن ذلك الرقيب النجم الذى فى المشرق يراق النجم الذى فى المغرب انظر اللسان رقب.

(٤) النوء فى اللغة النهوض ولكن العرب قلبت ذلك فجعلت النوء للسقوط وهو من الأضداد، فإذا قيل ناء نج كذا يعنى سقط بالغداة، وقد اصطلحت العرب على ذلك فالساقط من النجوم هو الذى مال وسفل، والن النجم إذا سقط أو مال للمغيب والجمع أنواء وقد سمى بذلك من باب التفاؤل كما قالوا للديغ سا وللمفازة مهلكة.

ما يحدث خلالها طلوعها وسقوطها مما يمس حياتهم من برد وحر ومطر ورياح [١] ونتاج الحيوانات والنبات [٢]، يقول ابن الأجدابى « والنوء هو سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابل من ساعته، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والبحر والبرد إلى ما سقط منها، فتقول: سقينا أو مطرنا بنوء كذا أى من ماء السحابة التى نشأت وقت نوء ذلك النجم، وإذا مضت مدة سقوط النجم ولم يكن فيها مطر، قيل: خوى نجم كذا إذا لم يكن فى نوئه مطر [٣].

لقد كانت الجماعة العربية تعتقد أن المطر الساقط إنما كان من فعل النوء أو النجم الذى ينسب إليه، جاء فى حديث الأنواء « إن الله ينزل الغيث فيصبح قوم به كافرين، يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، أى كافرين بذلك دون غيره، حيث ينسبون المطر إلى النوء دون الله [٤] » وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه استسقى بالمصلين ثم نادى العباس قائلا: يا عم رسول الله كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض بالأفق سبعا بعد وقوعها، فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس » لقد أراد عمر رضى الله عنه أن يستفسر: كم بقى من الوقت الذى جرت به العادة إذا تم جاء المطر ؟ وكان هذا هو المعنى الإسلامى للنوء تمييزا له عن المعنى الجاهلى الذى ينسب الفعل للنجوم [٥]، كما كانت الجماعة العربية تعتقد بأن بعض هذه النجوم أحمد وأغزر مطرا ويجعلونها إناثا وذوات نتاج، ويجعلون ما لا نواء [٦] له ذكرا منحوسا، ومن ذلك قول الشاعر [٧]:

(١) انظر ابن قتيبة الأنواء ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه ٩٤ - ٩٥.

(٣) ابن الأجدابى الأزمنة والأنواء ١٢٣ ابن قتيبة الأنواء ٦ - ٧.

(٤) ابن قتيبة الأنواء ص ١٣.

(٥) النهاية فى غريب الحديث ٤ / ٨٦.

(٦) ربما من المفيد أن نشير هنا لمحاولة طريفة لأحد الباحثين الذى تتبع لفظ النوء ودلالته فى العربية وبعض اللغات الأخرى قائلا « إنه نظرا لارتباط النوء بالمطر وبعض التغيرات الجوية كالرياح فقد صار البحارة العرب يطلقون كلمة « النو » بالتشديد على أحوالهم الجوية ومما يدل على أصالة هذا المفهوم لديهم أن كلمة النو تعنى فى الفارسية السفينة ناو وهى فى اللاتينية Navi والفرنسية القديمة Navie والفرنسية =

(٧) ابن قتيبة الأنواء ص ١٦ .

فإنك قد بعثت عليك نحسا   شقيت كواكبه ذكور

لقد كانت السماء بما فيها من نجوم وكواكب كما سبق أن أشرنا أول ساعة يعرفها الإنسان لتحديد أوقات الزمان، وقد اعتمدت عليها الجماعة العربية كغيرها من الجماعات الإنسانية لمعرفة الزمان والمكان أيضا، انظر قوله تعالى: ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحل : ١٦)، ومن ذلك قول الشاعر الذى يتحدث عن قوم ضلوا فى الصحراء :

يهل بالفرقد ركبانها   كما يهل الراكب المعتمر

يقول الشاعر إن المسافرين فى الصحراء قد ضلوا الطريق وخافوا الهلاك ثم لاح لهم الفرقد فعرفوا سمت وجهتهم ورفعوا أصواتهم بالتكبير كما يفعل المعتمر [١]، كما نجد الهذلى يذكر قافلة سارت ليلا إلى آخر الليل مهتدية بالنجوم قائلا : [٢]

فلما تقضى الليل إلا صبابة   من الليل تهديها النجوم الأوافل

ويذكر ابن قتيبة أن أعلم العرب بالنجوم بنو كلب وبنو شيبان، وأن الرجل من هؤلاء كان يقول لمن يسأله الطريق ول وجهك نجم كذا أى اجعل سيرك بين نجم كذا فكانت النجوم تقودهم إلى موضع حاجاتهم [٣].

٢ - ١ تشير مصادر اللغة والأدب إلى أن الجماعة العربية قد عرفت كما سبق أن أشرنا مجموعة النجوم التى يقطعها القمر فى كل دورة تامة له فى فلكه حول

= والإنجليزية Navi بمعنى اسطول ومن معنى السفينة ناو اشتق لفظ النوتى فى العربية بمعنى الملاح الذى يدير السفينة فى البحر ! كما يرى الباحث أيضا أنه لارتباط النوء بدلالة الجذر أو التغير عرفت العربية وبعض اللغات الأخرى لفظ النوع بمعنى الصنف الذى يحمل دلالة التنوع والمغايرة والتجديد، ونجد لفظ NOW نو فى الفارسية فى تعبير نوروز Now Rose أى اليوم الجديد أو بداية السنة، ونجد لفظ New فى الانجليزية Neu فى الألمانية و Nouveau فى الفرنسية !

انظر عبد الحق فاضل تاريخهم من لغتهم ٣٨ - ٣٩.

(١) ابن قتيبة الأنواء ص ٣ .

(٢) أشعار الهذليين ٣/ ١٠٥٨.

(٣) ابن قتيبة الأنواء ٣.

الأرض كل ثمانية وعشرين يوما وتسمى **منازل القمر** [١] حيث ينزل كل ليلة فى منزلة منها ثم يعود عند تمام هذه الدورة إلى النجم نفسه الذى اتخذ أصلا للحركة، وتسمى هذه المنازل نجوم الأخذ لأخذ القمر كل ليلة منها فى منزل، يقال أخذ القمر نجم كذا أو نزل به، والنزول الحلول والمنزل والمنزلة موضع النزول، انظر قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ (يونس : ٥) وقوله تعالى ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (يس : ٣٩)، يقول ابن قتيبة تشير الآية إلى أن القمر ينزل كل ليلة منزلا حتى يصير فى آخر ليلة من الثمانى والعشرين كالعذق القديم، وإذا قدم دق واستقوس واصفر، فشبه القمر به عند استسراره، وإذا كان الشهر تسعا وعشرين استسر ليلة ثمان وعشرين، وإذا كان ثلاثين ليلة استسر التاسع والعشرين.

لقد عرفت الجماعة العربية حركتين للقمر [٢] سريعة وهى حركة الفلك به من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق فى اليوم والليلة، وبطيئة وهى حركته من جهة الشمال إلى جهة الجنوب، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال، وتنقله فى المنازل الثمانية والعشرين فى ثمانية وعشرين يوما بلياليها كالشمس فى البروج، كما كانت كغيرها من الجماعات السامية المجاورة على علم بمنازل القمر التى أفادت منها لمعرفة أحوال المطر والرياح والطقس، ولما كانت السنة أربعة أجزاء أو فصول فقد صار لكل ربع منها سبعة منازل، ورتبوها كما يلى : [٣].

---

(١) يذهب البعض إلى أن العرب قد عرفوا منازل القمر من اتصالهم بالفرس والهنود قبل الإسلام، انظر جواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ / ٣٤٨.

(٢) القمر كما هو معروف جرم مظلم يستمد نوره من الشمس، وهو أقرب الأجرام إلى الأرض وأقل حجما منها، يدور حول الأرض مرة كل شهر وإذا تصادف وقوعه أثناء دورته على خط مستقيم مع الشمس وكانت الأرض فى الوسط فإنها تحجب عنه نور الشمس ويبدو مخنوقا إذ يخفت الضوء الذى يعكسه من الشمس شيئا فشيئا حتى يعتم وجهه تماما ومن المعروف أن المد والجزر يحدثان نتيجة لجذب القمر للأرض ومياهها، فتعلو المياه فى ربع الأرض المواجه للقمر وبدرجة أقل من الربع البعيد عنه بينما تهبط المياه فى الربعين الآخرين ويحدث ذلك نتيجة دوران الأرض حول نفسها ، ومن ثم دخول نقطة ما فى منطقة المد ثم انتقالها بعد ست ساعات إلى منطقة الجذر ثم بعد ست ساعات أخرى إلى منطقة المد الثانية.

(٣) انظر هذه المنازل ابن قتيبة ١٣٤ ابن سيده، سفر ٩ / ١٤، ابن الأجدابى ٦٠، المرزوقى ١/ ١٨٥ القلقشندى ٢/ ١٨٠.

أولا : منازل الربيــــع: ١- الشـرطان ٢- البطين ٣- الثـريا ٤- الدبران ٥- الهقعة ٦- الهنعة ٧- الذراع.

ثانيا : منازل الصـيف: ٨- النثـرة ٩- الطرف ١٠- الجبهـة ١١- الزُّبرة ١٢- الصرفة ١٣- العواء ١٤- السماك الأعزل.

ثالثا : منازل الخريف: ١٥- الغـفـر ١٦- الزبانى ١٧- الإكليل ١٨- القلب ١٩- الشولة ٢٠- النعائم ٢١ - البلدة.

رابعا : منازل الشتـاء: ٢٢- سعد الذابح ٢٣- سعد بلع ٢٤ - سعد السعود ٢٥- سعد الأخبية ٢٦- الفرغ الأول ٢٧- الفرغ الثانى ٢٨- بطن الحوت.

وقد قسمت الجماعة العربية هذه المنازل أو الأنواء إلى قسمين شمالى وجنوبى وشمل كل قسم منها أربع عشرة منزلة، فالشمالى منها ما كان طلوعه من ناحية الشام وتشمل منازل الربيع والصيف، والجنوبى منها ما كان طلوعه من ناحية اليمن وتشمل منازل الخريف والشتاء.

٢ - ٢ كما راقبت الجماعة العربية القمر وحالاته خلال الشهر ووضعت له ألفاظا واصفة تصور ضوءه وشكله، فأول ما يرى منه الهلال ليلة يهل أى عندما يخرج من تحت شعاع الشمس ويظهر فى الغرب، ويسمى **هلالا** لثلاث ليال والجمع أهلة [1]، ثم يسمى قمرا إذا ظهر و قارب الكمال وبه يسمى الشهر المعروف والجمع أشهر وشهور، والقمر كما سبق أن أشرنا مشتق من القمرة بمعنى البياض الذى فيه كُدْرة، ثم يسمى بدرا فى الليلة الرابعة عشرة، سمى بذلك لامتلائه، يقال غلام بدر إذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم، ويقال سمى بذلك لتمامه، ومن ذلك قولهم : عين بدرة إذا كانت عظيمة ومنه يقال للعشرة آلاف درهم بدرة لأنها تمام العدد، وقيل

(١) كانت العرب تعتمد على هذه الأهلة فى المواقيت والآجال التى تجرى بين الناس، وقد أثبت الإسلام ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة :١٨٩)، فقد كانوا يبداون الشهر إذا رأوا الهلال، ويجعلون ابتداءه من أول الليلة التى يظهر فيها الهلال وكانوا يسمون تلك الليلة غرة الشهر لكون الهلال فى أولها كالغرة فى وجه الفرس .

سمى بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع، ثم يسمى **محاقا** وقت ينمحى نوره فى آخر الشهر لأن الشمس تمحق نوره ولا تبينه، ويكون مثل الهلال فى أول الشهر لاستتاره بشعاع الشمس [1]. وقد سمت العرب القمر بالزبرقان وبه سُمُى الرجل، ويقال له أيضا الساهور، والهالة الدائرة التى تحيط بالقمر، والفخت ضوؤه الواقع على الأرض، تقول جلسنا فى الفخت إذا جلست فى ضوء القمر [2] .

٢ - ٣ وقد اصطلحت الجماعة العربية على تسمية ليالى الشهر القمرى فقسَّمت كل ثلاث ليال باسم حسب حالة القمر فيها كما يلى [3] :

الغـــرر : سميت بذلك لأن ضوء الهلال يكون كالغرة فى أوائلها.

الشهب : سميت بذلك لأن ضوء القمر يكون غير باهر للظلمة.

الزهـــر : سميت بذلك لبياضها بضوء القمر.

البـــهـــر : سميت بذلك لأن القمر يبهر فيهن ظلمة الليل.

البــيض : سميت بذلك لبياضهن من أولهن إلى آخرهن.

الـــدرع : سميت بذلك لطلوع القمر فيها لوجه الصبح وسائرها مظلم.

الظـلـم : سميت بذلك لسوادها.

الحنادس : سميت بذلك لشدة ظلمتهن، والحندس الأسود الحالك.

الـدآدئ : سميت بذلك لأن القمر يدأدئ فيها أى يسرع.

المحـاق : سميت بذلك لأن الشمس تمحق فيها نور القمر.

كما سمَّت الجماعة العربية بعض ليالى الشهر القمرى الأخرى، فسمت الليلة الثالثة عشرة بليلة السواء لاستواء القمر فيها، وقيل لاستواء ليلها ونهارها فى

(١) انظر ابن قتيبة ١٣٥ ابن سيده ٩/ ٣٠ القلقشندى ٢/ ٣٦٩.

(٢) انظر هذه الألفاظ فى مواضعها من اللسان.

(٣) انظر ابن قتيبة ١٣٥، والفراء ٥٨، ابن سيده ٩/ ٣٠ القلقشندى ٢/ ٣٧٠ .
انظر أيضا هذه التسميات ودلالاتها فى مواضعها بلسان العرب.

الضياء وقيل هى ليلة التمام، وسمت الليلة الرابعة عشرة ليلة البدر أو ليلة النصف، وسمت ليلة العشرين بالدعجاء، وسمت الليلة التاسعة والعشرين الدهماء، وسمت الليلة الموفية للثلاثين الليلاء إذ لا هلال فيها، كما سموها ليلة البراء لأن القمر يتبرأ من الشمس، وقيل إن أول ليلة من الشهر هى البراء، وآخر ليلة سميت بالفلتة لأنها تكون كالشىء المنفلت بعد وثاق [1]. كما سمّت الليلة التى يستتر فيها القمر بالسرار من ذلك قول الشاعر :

رأتْ مرَّ السنين أخذن منّى ... كما أخذ السِّرار من الهلال

كانت الجماعة العربية الأولى تنظر إلى النيرين الشمس والقمر نظرتها للكائن الحى وهى نظرة لم تنفرد بها بل شاركتهم فيها كثير من الجماعات السامية قديما [2]، وهى التى أوحت لهم وإلى غيرهم بعبادة الشمس والقمر واتخاذهما إلهين يتقربان إليهما، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (فصلت: ٣٧)، وقوله تعالى : ﴿ فلمّا رأى القمر بازغا قال هذا ربي ﴾ (الأنعام : ٧٧)، وقوله تعالى : ﴿ فلمّا رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ﴾ (الأنعام : ٧٨).

لقد لعب القمر دورًا هاما فى حياة الجماعة العربية عندما اعتمدت عليه فى تحديد المواقيت، فراقبت ظهوره ونموه وغيابه ولياليه ووضعت لكل ذلك ألفاظا واصفة كما رأينا، بل وتخيلته كائنا حيا يسمع ويرى، وتنقل لنا مصادر اللغة والأدب

(١) قيل إن الفلتة هى آخر ليلة من شهر شوال وهى التى يأتى بعدها الأشهر الحرم حيث لا يستطيع أحد إدراك ثأره فيها، وربما رأى القوم الهلال ولا يراه آخرون فيغير هؤلاء على أولئك للأخذ بثار لهم، والفلتة هنا بمعنى الفجأة قال أبو الهيثم : كان للعرب فى الجاهلية ساعة يقال لها الفلتة يغيرون فيها وهى آخر ساعة من آخر يوم فى الشهر قبل الأشهر الحرم اللسان فلت.
انظر شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٦ تحقيق محمد أبو الفضل.

(٢) وذهب بعض الباحثين إلى رأى طريف قائلا إن إحدى الجماعات السامية قد عبدت القمر وسمته سن Sen ومنه اشتق اسم سيناء التى عبدت القمر، وأن لفظ سنة كان يعنى دورة القمر فى شهر وعندما عرف الإنسان دورة الشمس Sun تحول معنى السنة من شهر إلى اثنى عشر شهرا ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة Senate بمعنى مجلس المسنين أو الشيوخ وكلمة Senior بمعنى الأكبر سنا أو الأسبق !
د. سليمان أبو غوش عشرة الاف كلمة إنجليزية من اصل عربى ص ٣٦٤ ط الكويت ١٩٧٧.

حوارًا مأثورا عنها يجرى بين أحدهم وبين القمر الذى يسأله قائلا « ما أنت ابن ليلة؟ فيقول القمر : رضاع سخيلة حل أهلها برميلة. أى أنه يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون. فبقاؤه فى الأفق كمقدار رضاع السخلة الصغيرة، ويسأله السائل مرة ثانية: ما أنت لليلتين ؟ فيقول القمر : حديث أمتين بكذب ومين. يريد أن بقاءه قليل كمقدار ما تلقى الأمة الأخرى فتحدثها تكذب لها حديثا ثم تفترقان، ويسأله السائل ثالثة : ما أنت لثلاث ؟ فيقول : حديث فتيات غير مؤتلفات. يريد أنه يبقى بقاء فتيات أبكار اجتمعن على غير ميعاد فيتحدثن ساعة ثم ينصرفن غير مؤتلفات [1].

استعملت الجماعة العربية لفظ القمر فى تعبيراتها وتشبيهاتها اللغوية، فقالت : «أضيع من قمر الشتاء» للوقت القصير الذى يمر سريعا، وقالت : أقمر التمر أى أدركه البرد فلم يكن له حلاوة، وقالت : وجه أقمر : أى يحاكيه فى بياضه، وقالت : استرعى القمر ماله : أى تركه هملا بلا راع يحفظه، والمال هنا الإبل، كما قالت أيضا : استرعى الشمس ماله : أى تركه هملا نهارا بلا راع [2].

٢ - ٤ عرفت الجماعة العربية الأولى الشمس ثانى النيرين، آله هامة من آلات الزمان بل هى واهبة الزمان [3]، وكما كانت تراعى القمر وترصد منازله كانت تراعى أيضا الشمس وترصد بروجها التى كانت تقطعها فى دورتها السنوية، وكما سبق أن أشرنا أن البروج للشمس كالمنازل للقمر وهى اثنا عشر برجا على قدر شهور السنة موزعة على فصول السنة أيضا كما يلى [4] :

(١) انظر الحوار بالمخصص ٩ / ٢ - ٣، ابن قتيبة الأنواء ١٢٠ - ١٢٤. الأمثال لمؤرخ السدوسى ١٠٧.

(٢) انظر اللسان قمر.

(٣) كما هو معروف أن الشمس كرة هائلة من الغازات الملتهبة، ولا تزال تشع بنفس القدر من الحرارة منذ ملايين السنين مما يجعل الحياة على الأرض ممكنة، تغير الشمس ميل أشعتها على مدار السنة بما يوازى ٤٧° وتكون أقرب إلى العمودية فى فصل الصيف ثم تأخذ فى الميل درجة درجة حتى ينتهى الصيف ويعتدل المناخ ويبلغ هنا الميل أقصاه عندما يحل الشتاء. وهى تقطع السماء مرة فى السنة وتقيم فى كل برج من الأبراج الاثنى عشر شهرا، وفى كل منزلة من منازل القمر ثلاثة عشر يوما، بينما يقطع القمر السماء مرة كل شهر، ويقيم فى كل برج من الأبراج الاثنى عشر ليلتين وثلث الليلة ويمكن أن نمثل لذلك بهذه المعادلة ١٢ + ٢ = ٢٤ + ٤ = ٢٨ يوما، كما يقيم فى كل منزل ليلة كما عرفنا ويستتر فى ليلة ثمان وعشرين، وقد سبق أن عرفنا أن السنة الشمسية تزيد على القمرية بأحد عشر يوما انظر هامش ١ ص ٣٦ من الدراسة.

(٤) المخصص ١/ ١٢.

بروج الشتاء : الجدى والدلو والحوت.

بروج الربيع : الحمل والثور والجوزاء.

بروج الصيف : السرطان والأسد والسنبلة.

بروج الخريف : الميزان والعقرب والقوس.

وقد قسمت هذه البروج إلى ثلاثة أقسام أخرى [1] :

البروج الثابتة : وهى أواسط بروج الفصول : الدلو والثور والأسد والعقرب، سميت بذلك لأن فى أواسط الفصول تثبت طبائع الزمان على حدها.

البروج المنقلبة : وهى أوائل بروج الفصول : الجدى والحمل والسرطان والميزان سميت بذلك لأن فى أوائل هذه الفصول ينقلب الزمان من طبيعة إلى طبيعة.

بروج ذوات جسدين : وهى أواخر بروج الفصول : الحوت والجوزاء والسنبلة والقوس سميت بذلك لامتزاج طبيعة كل فصل بطبيعة الفصل الذى يليه.

كما قسمت هذه البروج أيضا مثل المنازل إلى ستة شمال خط الاستواء وهى بروج الربيع والصيف، وستة جنوب خط الاستواء هى بروج الخريف والشتاء.

وتذكر بعض المصادر أن الجماعة العربية قد سمت هذه البروج بأسماء أخرى، فسمت الحمل بالكبش، والجوزاء بالتوأمين، والسنبلة بالعذراء والعقرب بالصورة، والقوس بالرامى، والحوت بالسمكة، كما لاحظت أن بعض هذه البروج يشاكل اسمه صورته، ومنها ما لا يشاكل اسمه صورته.

يذهب المستشرق الإيطالى إلى أن لفظ البرج لدى الجماعة العربية الأولى لم يكن يعنى فى دلالته البروج الاثنى عشر المعروفة عند اليونانيين، وإنما اكتسب اللفظ هذه الدلالة فى أواخر القرن الأول للهجرة عندما ارتقى لديهم علم الفلك [2]، وربما

(١) المرزوقى ١/ ١٦٤.

(٢) نالينو علم الفلك عند العرب ١١٠ - ١١١ ط ١٩١١، يذهب باحث آخر إلى أن اليونانيين قسموا السماء إلى بروج، عرف كل برج منها باسم Burgus وقد دخل اللفظ من اليونانية للعربية بهذه الدلالة.
جواد على، تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ / ٣٤٨.

يؤكد هذا الرأى ما جاء فى تحديد اللفظ بالمعجم من أن البرج كل ظاهر مرتفع، ومنه قولهم تبرجت المرأة أظهرت محاسنها، والبروج هى النجوم والكواكب فى السماء لظهورها وارتفاعها [1]، ويذكر المرزوقى أن أصل لفظ البرج فى اللغة الحصن، فاستعير على التشبيه وأطلق على بروج الفلك [2]، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (الحجر : ١٦) « .. قال الحسن وقتادة البروج هى النجوم وقيل: هى الكواكب السيارة » [3].

لقد عرفت الجماعة العربية أن الشمس كوكب ثابت ومتحرك فى آن واحد، فهى ثابتة على محورها ومتحركة حول هذا المحور، أى حول نفسها مثل المروحة السقفية الكهربائية التى نراها ثابتة فى سقفها ومتحركة حول نفسها، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (الرحمن: ٥)، « ... قال مجاهد : « الحسبان الفلك المستدير يشبه حسبان الرحى وهو العود المستدير الذى باستدارته تستدير المطحنة » [4]، ونجد أن هذا القول الذى ذهب إليه مجاهد وتبعه فيه بعض المفسرين والعلماء يتفق مع معلوماتنا الحديثة عن كوكب الشمس الذى يشبه فى حركته المروحة الكهربائية أو الرحى على حد قول مجاهد التابعى المشهور، الذى ذكره البخارى أيضا فى كتاب بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر بحسبان: قال مجاهد : كحسبان الرحى، وقال غيره : بحساب ومنازل لا يعدوانها، حسبان جماعة حساب مثل شهاب وشهبان [5] .

٢ - ٥ كما عرفت الجماعة العربية أيضا أن للشمس حركتين، إحداهما من المغرب إلى المشرق بحسب ذاتها وذلك يتم فى سنة كاملة وبسبب ذلك تحصل السنة، والأخرى حركتها من المشرق إلى المغرب بحسب حركة الفلك الأعظم [6] وتتم فى

(١) اللسان برج. (٢) الأزمنة والأمكنة ١/ ٤٨.

(٣) البحر المحيط ٥ / ٤٤٩.

(٤) البحر المحيط ٨ / ١٨٨. (٥) البخارى ٤/ ١٣١ ط الشعب.

(٦) يعنى الفلك الأعظم العرش جاء فى الحديث قال الرسول ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس: أتدرى أين تذهب؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حين تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها .
انظر الحديث كتاب بدء الخلق، البخارى ٤/١٣١ ط الشعب، يقول ابن حيان فى تفسير قوله تعالى: =

اليوم بليلته وينتج عنها الليل والنهار، لقد كانت الشمس تبسط سلطانها بأشعتها كمصدر للحياة والنماء على الجماعة العربية الأولى، فسمتها إلهة لتعظيمهم وعبادتهم لها، قال الشاعر [1]:

تروحنا من اللعباء قَصْرًا ... فأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

ولهذا نهاهم الإسلام عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ (فصلت: ٣٧).

وكما عرفت الجماعة العربية تسميات متباينة وصفت بها القمر مثل الهلال البدر والمحاق، عرفت أيضا تسميات وصفت بها الشمس منها [2].

ذكاء: سميت بذلك لأنها تذكو كما تذكو النار.

الضح: سميت بذلك لشدة ظهورها وبروزها، والضحوة والضحى ارتفاع النهار.

الغزالة: من أسماء الشمس إذا ارتفع النهار، وقيل إن اللفظ اسم للشمس.

الجونة: سميت بذلك لبياضها واللفظ من الأضداد بمعنى الأبيض والأسود.

الجارية: سميت بذلك لأنها تجرى من الشرق إلى الغرب كل يوم.

كما سمت الجماعة العربية ضوء الشمس **شعاعا** وهو الذى تراه كأنه الحبال مقبلة عليك إذا نظرت إليها، **ولعاب الشمس** وهو الذى تراه فى شدة الحر يبرق مثل نسج العنكبوت أو السراب، **وعلاط الشمس** والجمع أعلاط وهو ما تراه من الشمس أشبه بالخيوط، كما قالت لوجه الشمس **عين الشمس**، ونواحيها **قرون الشمس وحواجبها** بمعنى أول ما يبدو منها فى الطلوع. وقرن الشمس أعلاها وأول ما يبدو منها.

= ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨)، «مستقر الشمس بين يدى العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها كما جاء فى حديث أبى ذر، قال الزمخشرى بمستقر لها حد لها مؤقت تنتهى إليه من فلكها.. شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، قال الرازى: «المستقر من جهة الزمان الليل أو السنة، ومن جهة المكان غاية ارتفاعها فى الصيف وانخفاضها فى الشتاء» البحر المحيط ٧/٣٣٦.

(١) اللسان لعب، المخصص ٩/ ١٩.

(٢) ابن قتيبة ١٣٤ وابن سيده ٩/ ٢٠ انظر هذه التسميات فى مواضعها باللسان.

كما عبرت عن شروقها وغروبها بقولهم: طلعت وبزغت وذرت فى شروقها، وتضيفت ودلكت وغابت إذا غربت، ويقولون تضيفت إذا ذهب ضوؤها ودلكت إذا زالت عن كبد السماء، كما يقولون آتيته والشمس دنف أى عندما اصفرت وقاربت المغيب كأنها شبهت بالمريض لصفرته وضعفه، ووضعت أيضا بعض الألفاظ الواصفة لحركة الشمس اليومية لتكون علامات على ساعات أو أوقات اليوم مثل: السحر، والإشراق، والضحى، والظهيرة، والزوال، والأصيل، والدلوك، والشفق [1].

وقد اختار التشريع الإسلامى حركة الشمس اليومية لتحديد مواقيت الصلاة ثلاث صلوات أثناء غيابها ليلا، واثنتان أثناء حضورها نهارا، وكما سنعرف فيما بعد أن اليوم الجديد كان يبدأ لدى الجماعة العربية من لحظة غروب شمس اليوم السابق وينتهى بشروقها فى اليوم التالى، وعلى ذلك تكون أولى صلوات اليوم صلاة المغرب التى تكون مع مغيب قرص الشمس، وتكون العشاء الصلاة الثانية مع مغيب الشفق أو حلول الظلام أو العتمة، وتكون صلاة الفجر الصلاة الثالثة وتبدأ مع الإصباح أى ظهور البياض المنبسط على الأفق وقبل شروق الشمس وهذه هى صلوات الليل الثلاث، أما صلاتا النهار فهما الظهر والعصر، وتكون صلاة الظهر عندما تميل أو تزول الشمس عن وسط السماء، ويكون ظل كل شىء مثله، وتكون صلاة العصر عندما تصفر الشمس فى الأرض والجدران، ليس باصفرار عينها لأنها لا تصفر حتى تغرب [2]، وحينئذ يزيد ظل كل شىء عن مثله، وعندما يزيد عن ذلك يخرج وقت العصر [3]. وقد جاء فى الموطأ أن عبد الله بن أبى رافع مولى أم سلمة

---

(١) انظر هذه الأوقات بالتفصيل الفصل الثالث الباب الثانى أوقات النهار والليل.

(٢) ذهب بعض الفقهاء إلى أن الأفق الغربى يعتريه بعد الغروب أحوال ثلاثة متعاقبة احمرار فبياض ثم سواد، والشفق عند أبى حنيفة البياض وغيبته ظهور السواد بعده، ومتى ظهر وقت السواد خرج وقت المغرب وجاء وقت العشاء، وعند غيره ينتهى وقت المغرب بمغيب الشفق الأحمر وقدر ذلك ساعة وأربع دقائق من مغيب قرص الشمس.

(٣) يمكن معرفة ذلك بغرز عود أو نحوه فى أرض مستوية قبل الظهر تحت الشمس وحينئذ يكون له ظل ثم يأخذ فى النقص حتى يقف ويكون ذلك وقت الاستواء، وإذا أخذ الظل فى الزيادة فيعنى هذا زوال الشمس وسط السماء ويكون ظل العود مثله وهذا وقت الظهر، وعندما يزيد على ذلك يكون فى وقت العصر، لقد كان الظل أول جهاز لقياس الوقت اخترعه الإنسان وعرفه القدماء المصريون الذى عرف فيما بعد باسم =

زوج النبى ﷺ سأل أبا هريرة عن أوقات الصلاة فقال له : صل الظهر إذا كان ظلك مثلك، والعصر إذا كان ظلك مثليك، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء ما بينك وبين ثلث الليل، فإن نمت إلى نصف الليل فلا نامت عينك، وصل الصبح بغلس [1].

٢ - ٦ ارتبطت حركة الشمس اليومية بظواهر طبيعية ساهمت فى تحديد أوقات الزمان وقد وضعت الجماعة العربية ألفاظا واصفة مثل : الظل والفىء والسراب والآل.

الظـــل : هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة لا ظل، وظل كل شىء شخصه ومكان سواده أو ما وارى الشمس منه. والجمع ظلال وأظلال وظلول، وعكس الظل الضح، والظلة كل ما أظلك والجمع ظلل، والمظلة من بيوت الأعراب كالخيمة.

لقد كانت ظاهرة الظل شيئا هاما فى حياتهم وقد جعلها الله سبحانه آية من آيات قدرته التى ذكرهم بها فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ (الفرقان : ٤٥) وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ﴾ (النحل : ٨١)، أى جعل لكم من الأشجار وغيرها مما تستظلون به من شدة الحر، لقد كان الظل شيئا محببا لدى الجماعة العربية التى كانت تعيش حر الشمس، انظر قول الهذلى متغزلا فى محبوبته [2] :

ولم تر ظلا يشتـــهى الناس برده ـــــ سوى ظلهـــا أو جـــمـــالا لمنزل

ولهذا نجد الله سبحانه يعد المتقين من المؤمنين جنات ذات ظلال فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ (المرسلات: ٤١)، وقوله تعالى : ﴿ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ

= المزولة الشمسية يعود الفضل إلى العرب الذين طوروا هذا الجهاز الذى يكون استعماله أثناء ساعات النهار فقط مما دفع الإنسان المصرى القديم أيضا إلى اختراع الساعة المائية وهى عبارة عن وعاء يتسرب منه الماء نقطة نقطة إلا أنه لا يمكن استخدامها عندما يتجمد الماء فى فصل الشتاء، وتشبه هذه الساعة أيضا فى فكرتها الساعة الرملية التى تسجل نفوذ الرمل من فتحات صغيرة.

(١) انظر الموطا باب فوت الصلاة ص ٣٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولفظ غلس ص ١٧٦ من الدراسة.

(٢) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٢٥٧.

مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء : ٥٧)، وجاء فى الحديث: « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام » أى فى ذراها وناحيتها [1].

استعملت الجماعة العربية لفظ الظل فى تعبيراتها وتشبيهاتها اللغوية فقالت: ظل يفعل كذا لكل عمل بالنهار، كما قالت بات يفعل كذا لكل عمل بالليل، وقالت : عاش فلان فى ظل فلان أى فى كنفه وحمايته كأنه ألقى عليه ظله. واستعملت الإظلال أيضا بمعنى الدنو فقالت أظلك الشىء : أى دنا منك حتى ألقى عليك ظله من قربه، جاء فى الحديث أنه ﷺ خطب آخر يوم من شعبان فقال: « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم » يعنى شهر رمضان أى أقبل عليكم ودنا منكم كأنه ألقى عليكم ظله » [2] وقد تكرر ذكر الظل كثيرا فى الحديث مثل قوله ﷺ: « الجنة تحت ظلال السيوف » و « سبعة يظلهم الله بظله يوم القيامة ».

لا يزال المعجم العربى يمدنا بتعبيرات تتصل بالظل وتصور مدى ارتباطه بالجماعة العربية فى بيئتها الصحراوية مثل : الظل طباق الخف بمعنى انتصاف النهار، ومن هذا القبيل أيضا قولهم : انتعلت المطايا ظلالها، وانتعل الظل فصار جوربا، وقالت أيضا : أتيته حين ينشد الظبى ظله أى حين يشتد الحر ويطلب الظبى كناسا يكتن فيه من شدة الحر ويكون ذلك وقت الظهيرة أو الهاجرة، كما عبرت عن قصر الوقت ومروره بسرعة بقولهم: يوم كظل الذئب : أى مر سريعا، وقالوا لليوم الطويل : يوم كظل النعامة، وقالوا : يوم كظل الرمح، ويوم أضيق من ظل الرمح إذا كان قصيرا [3].

الفــىء : كما استعملت الجماعة العربية لفظ الظل للتعبير عن حركة الشمس بالغداة وقبل الزوال، استعملت لفظ الفىء للتعبير عن حركة الشمس

(١) النهاية فى غريب الحديث ٣/ ١٦٠.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ١٦٠. انظر اللسان ظلل.

(٣) لسان العرب ظلل.

انظر رسائل البيرونى الرسالة الثانية إفراد المقال فى أمر الظلال ص ١٢ وما بعدها.

بالعشى [1] من هذا القبيل قول الهذلى [2] :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعد فى أفيائه بالأصائل

وقد جاء اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ (النحل : ٤٨)، واللفظ مشتق من قولهم فاء يفىء فيئا بمعنى رجع وهو اسم لما يفىء من جانب إلى جانب، وأصل الفىء الرجوع، ومنه قيل للظل الذى يكون بعد الزوال فيىء لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق، والفىء على ذلك كل ما كانت عليه الشمس فزالت والجمع أفياء وفيوء، وقيل كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فىء وظل، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل لهذا قالوا ظل الجنة ولم يقولوا فيؤها، انظر قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ (الرعد: ٣٥)، قال سبحانه دائم ظلها لأنه لا شمس فيها » [3].

السراب: هو ما يراه الناظر خلال ضوء الشمس كأنه ماء جار على وجه الأرض فى منتصف النهار إلى سائر اليوم ويكون بعد الزوال إلى صلاة العصر، سمى بذلك لأنه يسرب سروبا أى يجرى جريا من قولهم سرب الماء يسرب سروبا [4].

الآل : السراب الذى يكون بالضحى أو من الضحى إلى زوال الشمس وقد فرقوا بينه وبين السراب، لأن الآل يرفع كل شىء حتى يصير آلا، أى شخصا، والسراب يخفض كل شىء حتى يصير لازقا بالأرض لا شخص له [5].

---

(١) جاء اللفظ فى القرآن بدلالات أخرى فالفىء الغنيمة والخراج وهو ما أفاء الله على المسلمين من أموال الكفار كأنها كانت فى الأصل لهم ثم رجعت ﴿ مما أفاء الله عليك ﴾ (الأحزاب :٥٠) والفىء رجوع الرجل إلى جماع المرأة بعد الإيلاء أى بعد حلفه ألا يجامعها ﴿ فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم ﴾ (البقرة: ١٢٦).

(٢) شرح أشعار الهذليين ١/ ١٤٢.

(٣) انظر اللسان فيأ، البحر المحيط ٥/ ٧٥.

(٤) اللسان سرب، ابن قتيبة ١٣٦.

(٥) اللسان أول، ابن قتيبة ١٣٦.

٣ - ١ إلى جانب النجوم والكواكب وما ارتبط بها من ظواهر طبيعية اعتمدت عليها الجماعة العربية لتحديد أوقات الزمان، نجد جانبا آخر من جوانب البيئة كان له صلة كبيرة فى تحديد أوقات الزمان أيضا ونعنى بذلك الحيوانات التى عرفتها بيئة الجماعة العربية ولعبت دورا هاما فى تعيين وقياس أوقاتها.

كانت الإبل كما هو معروف من أهم الحيوانات فى البيئة العربية الصحراوية وقد اتخذتها الجماعة العربية آلة للتعبير عن أوقات الزمان، وقد سبق أن أشرنا إلى تعبيرات تشير إلى وقت الظهيرة أو انتصاف النهار مثل انتعلت المطايا ظلالها، والظل كطباق الخف، من ذلك قول الأعشى عن ناقته :

إذا لاوذ الظل القصير بنحرها ... فكان طباق الظل أو قل زائدا

ومن هذه التعبيرات الزمانية التى ترددت كثيرا فى كلام الجماعة العربية نثرا ونظما قولهم فواق ناقة، كان يقول الرجل للآخر : أمهلنى فواق ناقة أى قدر ذلك الوقت، وهو ما بين الحلبتين من الراحة [1] ، جاء في الحديث : عيادة المريض قدر فواق ناقة » [2] وما جاء فى حديث على رضي الله عنه عندما قال له الأشتر يوم حنين : انظرنى فواق ناقة [3] ، وقد جاء هذا التعبير فى الشعر أيضا فى قول أبى تمام [4]:

لوشك النوى إلا فواقا كلا ولا ... قبيل وأهل لم الآق مشوقهم

يصف أبو تمام خفة مكث عشيرته وسرعة ارتحالهم وأنه لم يجمعهم وإياه إلا وقت قصير ولم يرض بلفظ الفواق للتعبير عن قصر الوقت وسرعته، فجعله مقدار ما يلفظ القائل كلمة لا [5]، ومن ذلك قول أبى نواس متغزلا [6] :

---

(١) كان من عادتهم أنهم يحلبون الناقة ثم يتركونها ساعة لتفيق ويقولون فاقت الناقة فاحلبها، وقد حدثنى بعض الطلاب الصوماليين بمعهد اللغة العربية جامعة أم القرى أن اللغة الصومالية تعرف تعبير Heskinta geele بمعنى وقت الضحى ويعنى التعبير حرفيا حلب الإبل .

(٢) النهاية ٣/ ٢٥١. (٣) المصدر نفسه ٣/ ٤٨٠.

(٤) المرزوقى شرح شعر أبى تمام ص ٧٦.

(٥) يقول المرزوقى: شاع تعبير لا للدلالة على قصر المدة الزمانية ومن ذلك قول جرير :

يكون نزول الركب فيه كلا ولا ... عشاشا ولا يدنون رحلا إلى رحل

(٦) الديوان ٣٧٢.

فـــراجـــعـى الوصل فـــإن زرتكم   قـــدر فـــواق فـــاقـــة فـــأحلقى رأسى

وكما استعملت الجماعة العربية لفظ الفواق الذى يعنى قدر الوقت ما بين الحلبتين للناقة، معادلا دلاليا للتعبير عن قصر الوقت أو سرعته استعملت أيضا لفظ العتمة اسما للثلث الأول من الليل واللفظ مأخوذ من العتم بمعنى الحبس وهو المكث أو الإبطاء والتأخير لأنه كان من عادتهم حبس الإبل والغنم بعد المغرب وتأخيرها فى مراحها ثم يستفيقونها بعد ساعة من الليل للحلب، وقد سميت تلك الساعة بالعتمة ومن ذلك العواتم أى الإبل التى تحلب فى ذلك الوقت [1]، ونجد ألفاظا أخرى تتصل بشرب الإبل [2] للتعبير عن أوقات الزمان.

الـورد : يعنى اللفظ الماء الذى ترده الإبل والطير، كما يعنى ذهاب الإبل والإنسان أيضا إلى الماء كل يوم، وهو خلاف الصدر بفتح الصاد والدال الذى يعنى رجوع الوارد من الورد انظر قوله تعالى : ﴿لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ (القصص : ٢٣) أى عندما يرجع الرعاة من سقيهم، ومن أمثالهم تركته على ليلة الصدر، أى لا شىء عنده لأن هذه الليلة لا يبقى فيها حيوان وإنسان على الماء، ومن هذا القبيل أيضا قولهم للذى يبتدئ أمرا ولا يتمه: فلان يورد ولا يصدر، وإن أتمه قالوا له : أورد وأصدر [3].

وقد استعملت الجماعة العربية لفظ الورد بمعنى الجزء من الليل يصليه الرجل، والورد الجزء من القرآن يقرأه الرجل كل ليلة، وكان الحسن وابن سيرين يقرآن القرآن من أوله إلى آخره ويكرهان الأوراد، جمع ورد أى الجزء، وكانوا قد جعلوا القرآن أجزاء كل جزء منها فيه سور مختلفة على غير تأليف حتى يعدلوا بين الأجزاء ويسووها وكانوا يسمونها الأوراد [4].

(١) اللسان عتم.

(٢) وضعت الجماعة العربية ألفاظا واصفة لأوقات شرب الإبل أو سيرها للماء، مثل : الطلق بمعنى سيرها للماء نهارا، والقرب سيرها للماء ليلا، والغب سيرها للماء يوما بعد يوم، والربع كل ثلاثة أيام، والخمس كل أربعة أيام، كما سمت الشرب الأول نهلا والثانى عللا. انظر هذه الألفاظ فى مواضعها باللسان.

(٣) اللسان ورد وصدر. انظر ص ١٩٥ من الدراسة.   (٤) النهاية ٥/ ١٧٣.

الغـب : من أوراد الإبل، وهو أن ترد الماء يوما وتدعه يوما، ومن ذلك قولهم أغبت الإبل لم تأت كل يوم بلبن، وغب فلان : إذا جاء زائرا يوما بعد يوم أو جاء يوما فى الأسبوع، جاء فى الحديث « أغبوا فى عيادة المريض» أى لا تعودوه في كل يوم لما يجده من ثقل العواد، وجاء فى الحديث أيضا : « أغبوا فى عيادة المريض وأربعوا» أى زوروا المريض يوما بعد يوم، وأربعوا أى دعوه ثلاثة وأتوا إليه فى اليوم الرابع [1]، ومن أمثالهم : « زُر غبا تزدد حبا » قال الشاعر [2] :

إذا شئت أن تقلى فزر متواترا   وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا

ومن كلامهم : أقصر من غب الحمار ويقولون أيضا أقصر من ظمأ الحمار لأن الحمار لا يصبر على الماء أكثر من غب ولا يربع، والربع بكسر الراء بعد الغب [3].

الظاهـرة : أن ترد الإبل أو الخيل الماء كل يوم ظهرا وتصدر عند العصر ومن ذلك قولهم أقصر من ظاهرة الفرس لأن الفرس لابد له أن يسقى كل يوم [4] :

كانت الإبل كما نعرف من أهم حيوانات الجماعة العربية التى اتخذتها وسيلة للحركة والسفر، وقد كان سفرها دائما ليلا لتتجنب شدة الحرارة ولهذا قالوا : «اتخذ الليل جملا [5] » لمن يعمل ليلا، وكأن الليل أشبه الجمل لأن كليهما يسهل أمر العمل أو السير.

٢-٢ ولا تزال الجماعة العربية الأولى تمدنا بتعبيرات زمانية ترتبط بالحيوانات التى عرفتها البيئة الصحراوية ومن هذه التعبيرات قولهم ذنب السرحان [6] بدلالة وقت الفجر الكاذب، قد شبهوا ذلك الوقت بذنب الذئب الأسود لأن باطن ذيله أبيض وبجانبيه سواد، كما عبروا عن انتصاف النهار أو وقت الظهيرة بقولهم: أتيته حين ينشد الظبى ظله [7] وذلك لأن الظبى يطلب كناسا يكتن فيه حين

(١) النهاية ٣/ ٢٣٦ واللسان.   (٢) الميدانى ٢/ ٨٧.

(٣) اللسان غبب الميدانى ٢ / ٨٧.   (٤) اللسان ظهر الميدانى ٢/ ٥٣.

(٥) الميدانى ١/ ٢٣٧.   (٦) اللسان ذنب.

(٧) اللسان ظبو.

يشتد الحر ظهرا، وقالوا أيضا : لقيته عن عفر : أى بعد فترة قصيرة، والتعبير مأخوذ من تعفير الظبية لولدها أى قطعه عن الرضاع يوما أو يومين فإن خافت عليه ردته للرضاع أياما ثم أعادته للفطام، وقيل إن التعبير مأخوذ من تعفير المرأة ثديها بشيء من التراب لتبعد طفلها أياما عن الرضاع تميهدًا للفطام [1].

ومن هذه التعبيرات قولهم سنة الحمار بمعنى السنة المائة فقد كانت العرب تسمى كل مائة عام بهذا الاسم، يقول الثعالبى [2] إن أصل هذا التعبير يعود إلى الحمار الذى مات مع صاحبه مائة سنة وأحياهما الله [3]، وقد سموا مروان بن محمد : مروان الحمار لأنه على رأسه استكمل ملك بنى مروان مائة سنة، فصارت سنة الحمار اسما لكل مائة، ويستطرد الثعالبى قائلا : وسمعت أبا نصر العتبى يقول : عرض على بعض الأدباء حمار أراد ابتياعه فوجده مسنا فقال : أرى هذا الحمار ولد قبل سنة الحمار.

كما تنقل لنا مصادر اللغة والأدب تعبيرات زمانية تنتمى إلى بعض الحيوانات التى عرفتها البيئة العربية مثل قولهم : بات بليلة أنقد، لمن يظل ساهرا لا ينام الليل، والأنقد هنا القنفد لأنه لا ينام الليل بل يجول طواله، كما قالت الجماعة العربية: « ليلة العقرب » لليلة الطويلة لأن الملدوغ لا يستطيع أن ينام فيها .. وقالوا للرجل الذى يداوم العمل ليلا أسرى من جندب [4]. وعبروا عن قصر الوقت بقولهم أسرع من تلمظ الورل [5]، وعبروا عن العمر المديد بقولهم : عمر الحسل، ومن ذلك قول رؤبة الرجاز لمن سألته عن سنه [6] :

تسألنى عن السنين كم لى ... فقلت لها عمَّرت عمر الحسل

(١) اللسان عفر.

(٢) الثعالبى ثمار القلوب ٣٧٢. انظر أيضا السير للذهبى ٦/ ٧٤.

(٣) انظر قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ... فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ﴾ (البقرة : ٢٥٩).

(٤) زهر الأكم ٣/ ١٦١.

(٥) المصدر نفسه ٣/ ١٦١.

الورل بفتح الواو والراء حيوان فى حجم الضب عرفته البيئة الصحراوية، واللمظ إخراج اللسان لمسح الشفتين يقال أيضا لمظ الماء ذاقه بطرف لسانه.

(٦) اللسان حسل والأمالى ١/ ٢٣٤.

كما قالوا : لا آتيك سن الحسل، أى أبدًا، لأن سن الحسل أى ولد الضب لا يسقط أبداً.

٣ - ٣ ساهمت الطيور مثل الحيوانات فى تحديد أوقات الزمان لدى الجماعة العربية التى استعملت الطير معادلا دلاليا للتعبير عن وقت البكور، من ذلك قول امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

أراد أنه يخرج راكبا فرسه فى الصباح الباكر، واستعمل تعبير والطير فى وكناتها بدلالة البكور.

ولعل الديك يعد من أكثر المعادلات الدلالية تعبيرًا عن وقت الصباح أو البكور فى اللغة العربية وفى غيرها من اللغات، فهو يعتبر فى كثير من المجتمعات الإنسانية من أهم آلات ضبط الوقت إذا صح التعبير [1]، يقول المرزوقى : « ... إن الزمان تقدير الحوادث بعضها ببعض، كقولك غرد الديك وقت طلوع الفجر، وطلع الفجر وقت تغريد الديك، فيصير كل واحد من طلوع الفجر وتغريد الديك وقتا للآخر » [2]، من ذلك قول الشاعر [3] :

شربتُ إذا ما الديك يدعو صباحه ... إذا بنو نعس دنوا فتصوبوا

ويبدو أن الجاحظ قد لاحظ الديك وراقبه لأننا نراه يتحدث عن دوره فى تحديد ساعات الليل وطلوع النهار فيقول « .. أنه يعرف أناء الليل وعدد الساعات وتقادير الأوقات ثم يقسط أصواته على ذلك تقسيطا موزونا لا يغادر منه شيئا، ثم

(١) حدثنى بعض الأفريقيين الذين يدرسون بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها جامعة أم القرى بمكة المكرمة بأن اللغة السواحلية تعرف تعبير خرج وصياح الديك أى قبل شروق الشمس، ورجع مع دخول الدجاج أى بعد غروب الشمس، كما تعرف لغة صنغاى فى مالى والأمهرية فى أثيوبيا نفس التعبيرين، كما تعرف اللغة المانيكية فى غينيا تعبير أمسكت بمنقار الديك أى استيقظت أو خرجت مبكرا، وجلست « قدر تغوط الديك» أى وقتا قصيرا، كما حدثنى بعض الطلاب الأسيويين أن اللغة التركية والمارناوية فى الفلبين تعرفان تعبير صياح الديك بمعنى البكور.

(٢) المرزوقى الأزمنة والأمكنة ١/ ١٣٩.

(٣) أبو عبيد مجاز القرآن ٢/ ٨٢.

قد علمنا أن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة فإنه يقسط أصواته المعروفة بالعدد عليها، كما يقسطها والليل تسع ساعات، ثم يضع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء الحصص على حساب ذلك، فليعلم الحكماء بأنه فوق الاسطرلاب، وفوق مقدار الجذر والمد على منازل القدر، حتى كأن طبعه فلك على حده.... ويستطرد الجاحظ قائلا : «.. كما أنه يدل على أن موضعه مأهول مأنوس، ولذلك قالوا : لا يكون البنيان قرية حتى يصقع فيها ديك، قال عبدة بن الطيب :

إذا صفق الديك يدعو بعض أسرته   إلى الصباح وهم قوم معازيل

كما ينقل لنا الجاحظ ما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه قال : صرخ ديك عند النبى ﷺ فسبه بعض الصحابة، فقال ﷺ : لا تسبه فإنه يدعو للصلاة. وفى رواية أخرى: إنه يؤذن للصلاة (١)(٢).

يذكر أبو حيان التوحيدى ما نعرفه عن الديك من أنه يوقظ النائم بصياحه ويبشر بإقبال الصباح وطلوع الشمس ويوقظ الفلاحين لعملهم والصناع، كما ينقل لنا قول أحد الأعراب : أتيت فلانا قبل أن ينطق الديك (٣).

لقد كان تعبير صياح الديك متداولا مشهورا لتعيين وقت الصباح الباكر يقول أبو حيان الأندلسى نقلا عن ابن الأنبارى : يجوز أن نقول خروجنا وصياح الديك أى وقت صياح الديك » (٤). كما نجد أيضا تعبير حسو الديك بدلالة قصر الوقت أو سرعته، ومن ذلك قول الشاعر (٥).

ونوم كحسو الديك قد بات صحبتى   ينالونه فوق القلاص العباهل

كما قالوا أيضا حسو الطير لأنها مثل الديك إذا شربت حطت رأسها فى الماء ثم رفعته بسرعة، ومن ذلك قول ذى الرمة (٦) :

---

(١) جاء فى الحديث قوله ﷺ : «إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانا» صحيح مسلم بشرح النووى ٦. ٥٧٤ ط الشعب.

(٢) الحيوان ٢/ ٢٤١، ٢/ ٢٥٨.

(٣) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٨٧.   (٤) البحر المحيط ٥/ ٣٢٥.

(٥) الميدانى ٣/ ٣٠١.   (٦) الديوان ٥١٠.

ونوم كحسو الطير نازعت صحبتى   على شعب الأكوار فوق الحوارك

ومن هذا القبيل قولهم أيضا « أقصر من إبهام القطا» أمارة لقصر الوقت أو سرعة انقضائه ومن ذلك قول جرير (١) :

ويوم كإبهام القطا محبب   إلىَّ هواه غالب لى باطلُهْ

وكما سبق أن رأينا تعبير « والطير فى وكناتها» عند امرئ القيس بدلالة البكور نجد تعبيرا آخر يدل على هذا الوقت وهو قبل العطاس يقول امرؤ القيس (٢) :

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكل   شديد مشك الجنب فعم المنطق

ومن ذلك قول المسيب بن علس (٣) :

أرحلت من سلمى بغير متاع   قبل العطاس ودعتها بوداع

نجد المعجم العربى للجماعة العربية يمدنا ببعض التعبيرات الزمانية الأخرى مثل لمح البصر وارتداد الطرف للتعبير عن قصر الوقت أو سرعته، ونجد التعبيرين فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (النحل: ٧٧) وفى قوله تعالى : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: ٤٠)، والطرف الجفن ويعبر به عن العين والبصر، ومثل هذين التعبيرين قولهم أيضا « قبل عير وما جرى » (٤) والعير هنا مثال العين وهو الطرف، وجريه حركته، فيكون معنى التعبير قبل أن يطرف الإنسان، قال الشماخ (٥) :

وتعدو القبصى قبل عير وما جرى   ولم تدر ما بالى ولم أدر ما لها

وبعد أن رأينا كيف ساهمت البيئة وظواهرها الطبيعية المختلفة فى تحديد أوقات الزمان، ننتقل إلى بيان صورة الزمان ومفهومه لدى الجماعة العربية.

---

(١) المستقصى ١/ ٢٧٣.   (٢) الديوان ١٧٢.

(٣) اللسان عطس.   (٤) الميدانى ٢/ ٤٨٢.

(٥) اللسان عير.

الفصـــل الثالث

الزمـــان والمجتمـع

سبق أن أشرنا إلى أن مفهوم الزمان يرتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان الذى يحدده بناء على معايشته للبيئة التى يعيش فيها من ناحية والمجتمع الذى ينتمى إليه من ناحية أخرى، وإذا كان الزمان البيئى زمانا طبيعيا يرتبط بحركات الكواكب والأرض والشمس والقمر، فإن الزمان الاجتماعى يواكب حركات هذه الكواكب التى تتولد عنه تقسيمات زمانية مثل السنة، والفصل، والشهر، واليوم، والصباح، والمساء، والليل، والنهار، والشروق، والغروب، وغير ذلك، كما يربط بين هذه التقسيمات وبين أحداث ووقائع اجتماعية يمارسها المجتمع فى كل وقت من هذه الأوقات مثل الاحتفاء بالمناسبات والمواسم والأعياد المختلفة، فالزمان بوصفه تجربة يتميز فى جوهره بالتواتر والتكرار فهو ينطوى على دورات متعاقبة لأحداث الميلاد والموت، والأزدهار والذبول، ودورات الأيام والشهور والفصول[١]، وإلى جانب هذا الارتباط بين الزمان الطبيعى وبين الأحداث والوقائع الاجتماعية التى تعيشها الجماعة وتمارسها وفقا لمعتقداتها وتصوراتها، فإننا نجد مفاهيم جمعية للزمان لدى كل مجتمع يعبر عنها لغويا بألفاظ وتعبيرات تعكس وتصور لنا هذه المفاهيم[٢].

---

(١) International Encyclopedia of social sciences, p. 36, vol. 16

(٢) تعرف بعض اللغات الأفريقية والآسيوية لفظى اليوم والنهار، فاللغة السواحلية تستعمل لفظ siky لليوم ولفظ machann للنهار، وتستعمل لغة اليوربا فى نيجيريا لفظ ojo لليوم ولفظ. osan للنهار، وتستعمل التركية لفظ gun لليوم ولفظ guanduz للنهار، وتستعمل اللغة المارناوية فى الفلبين لفظ Dawn Daw لليوم ولفظ salangan للنهار. حدثنى بذلك بعض الطلاب الذين يتكلمون هذه اللغات بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى مكة المكرمة.

١ - ١ إن المجتمعات الإنسانية تتفق فى معرفتها لأوقات الزمان مثل الفصول والشهور والأيام والليل والنهار التى تعتمد على الحركة اليومية للأرض والدورة الاعتيادية للقمر والشمس إلا أن بعض هذه الوحدات الزمانية لا تتفق جميعها ولا تأخذ مفهومًا واحدًا لدى هذه المجتمعات، فاللغة الفرنسية مثلا تستعمل لفظ Le temps بدلالة الزمان ودلالة الطقس أيضا، كما تفرق مثل العربية بين مفهوم اليوم والنهار بلفظى La journee, Le jour أما الإنجليزية وبعض اللغات الأخرى فلا تعرف إلا لفظا واحدًا لليوم Day فإذا أراد متكلم الإنجليزية أن يعبر عن النهار قال: day Light[١]. ومن هذا القبيل لفظ العام الموجود فى كثير من اللغات الذى لا نجده فى لغة قبائل الكنشواس Qanechuas فى بيرو، وإنما تستعيض عنه بالتعبير «توقفت الشمس»[٢]. وإذا كانت كثير من المجتمعات الإنسانية تعرف هذا التعبير «مضى يومان» من الشهر أو الأسبوع، فإن هنود الهوبى Hopi يقولون هذه هى المرة الثالثة التى تضىء فيها الشمس، كما يعرف هنود الهوبى أيضا ألفاظ الماضى والحاضر والمستقبل ولكنهم يعبرون عن ذلك بحالات مزاجية فقط، فهناك المزاج التوكيدى Assertive mood مثل عبارة أؤكد وصوله التى تشير إلى الأحداث التى تعبر عنها بالماضى والحاضر بمعنى وصل أو يصل، وهناك أيضا المزاج الافتراضى أو الظنى Susceptive mood مثل عبارة أظنه قادم وهذه تماثل قولنا سيحضر أو ربما يحضر»[٣].

لقد سبق أن أشرنا إلى أنه إذا كان الزمان النفسى يرتبط بالذات الواحدة أو الآحاد من الناس، فإن الزمان الاجتماعى يرتبط بذوات الناس أو مجموع الآحاد الذين يكونون العقل الجمعى الذى يشارك بدوره فى إعطاء الزمان تصورات مختلفة تتباين من مجتمع لآخر، فالزمان النفسى زمان خاص بالفرد، والزمان الاجتماعى زمان عام يشترك فيه كل أفراد المجتمع[٤].

---

(١) لا تفرق بعض اللغات الأخرى بين اليوم والنهار بلفظين مختلفين، وإنما تستعمل لفظا واحدا مثل لغة الهوسا فى نيجيريا التى تستعمل لفظ Rana لليوم والنهار.

(٢) انظر كندراتوف الأصوات والإشارات ١١٣.

(٣) المصدر نفسه ١٢٥.

(٤) انظر ص (٤٧) من الدراسة.

نجد الزمان الفردى يقترن بالزمان الاجتماعى فى الشكوى من الزمان لدى الشعراء فى مثل هذه الأبيات:

يقولون الزمان به فساد	فهم فسدوا وما فسد الزمان
نعيب الزمان والعيب فينا	ولو نطق الزمان إذن هجانا

وهذا تميم بن المعتز يشكو زمانه وقلة خلانه قائلا :[١]

لم يرضنى زمنى كما	أرضى سوى فأرتضيه
زمن يقل به السرور	كقلة الإخوان فيه

وابن الرومى يعاتب صديقا بقوله :[٢]

وكنت إليك أذمُّ الزمانا	فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات	فها أنا أطلب منك الأمانا

إن كلا منا يكون مفهومه عن الزمان وتصوره للماضى والحاضر والمستقبل من خلال لغته التى يكتسبها من مجتمعه، لأن اللغة تعبير صادق عن ثقافة المجتمع بل هى وعاء لهذه الثقافة التى تحمل تصوره ورؤيته لكل ما حوله، إنّ هذه الثقافة تجعل أهم سؤال يسأل للطفل بعد سؤاله عن اسمه: كم سنك ؟، كما أن هذه الثقافة أيضا قد تجد فى مثل هذا السؤال خروجا على آداب الحديث إذا وجه للمرأة، كما نجد الثقافة تساهم كذلك إلى حد كبير فى تحديد أوقات الزمان وقيمته، فوقت الفلاح فى القرية ليس كوقت العامل فى المدينة، فالأول يحدد لنفسه الوقت بحركة الشمس فى السماء، والثانى يحدده له صاحب العمل بدقات الساعة وحركات عقاربها، لهذا نجد زمان العامل سريعا قصير الوحدات يحدد بالساعة والثانية، وزمان الفلاح بطيئا طويل الوحدات مثل: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، ولهذا نجده يضيق عندما نطالبه بتوقيت يلتزم بالساعة والدقيقة[٣].

---

(١) الديوان ٢٧٤، ٢٦١.

(٢) البصائر والذخائر ١٢٩/٤.

(٣) د. زكى نجيب محمود أفكار ومواقف ٢٧١ ط دار الشروق ١٩٨٣.

١ - ٢ إنَّ البيئة التى يعيش فيها الإنسان، والأسلوب الذى يحيا به فى مجتمعه، إلى جانب نوع العمل الذى يقوم به ومعتقده الدينى ومستوى تعليمه يساهم كل ذلك بدور فعال فى تحديد مفهوم الزمان فى ذهن أفراد المجتمع، وإذا عرفنا هذه الحقيقة يجب أن نسأل كيف تصورت الجماعة العربية الأولى الزمان من خلال تجاربها ومعتقداتها، وكيف عبرت عنه بلغتها، إننا يمكن أن نجيب عن هذا السؤال باستعراض بعض الألفاظ الزمانية التى عرفها المعجم العربى وأعطتها العربية مفاهيم أخرى تكشف لنا تصورها عن الزمان.

الزمان: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للقليل من الوقت وكثيره، من ذلك قولهم أزمن الشىء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أى أقام به وقتا، وإلى جانب هذه الدلالة نجد اللفظ يشتجر فى أصله الاشتقاقى بدلالة أخرى هى المرض والعجز، فالزمانة المرض أو الآفة أو العاهة التى يصاب بها الإنسان ويدخل فيها كارها، ونجد الزمانة فى شعر الهذليين تعنى داء الحب الذى يعانى منه الرجل كما فى قول الشاعر :[١]

وقد خفتُ أن ألقى بليلى من الهوى ... زمانة وجد مثل وجد المُنَخَّلِ

فحُبك ليلى حين تدنو زَمَانةً ... ويلحاك فى ليلى العريفُ المصحصحُ

والزمِن بكسر الميم والزَّمِين الذى أصابه الزمن بمرض أو آفة أو عاهة[٢]، ونجد كتب اللغة ومصادر الأدب والتاريخ تستعمل اللفظ بهذه الدلالة، يقول أبو حيان فى معرض كلامه عن الهجرة أنها لا تستحب للشيخ الفانى والزمِن، كما يقول فى موضع آخر فى تفسير قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا وعَمِلوا الصَّالحات لَهم أجرٌ غير ممنون﴾ (فصلت: ٤)، قال السدى[٣] : نزلت الآية فى المرضى والزمنى إذا عجزوا عن إكمال الطاعات...»، ويذكر التوخى صاحب نشوار المحاضرة قصة لبيد العابد الذى

(١) شرح أشعار الهذليين. ٢/ ٥٢٢، ٣/ ١٠٣٩.
(٢) انظر اللسان زمن انظر ص (١١٩) من الدراسة
(٣) البحر المحيط ٧/٤٨٥، ٣/٢١٤.

نهشت يده حية فشلت، ثم زمنت رجلاه واحدة بعد الأخرى»[١] أى مرضت، ويذكر لنا الزبير بن بكار أن ملك الروم بعث رسولا لأمير المؤمنين أبى جعفر المنصور فدخل عليه فسأله عن أشياء وآتاه بهدايا كثيرة، فأمر عمارة بن حمزة أن يركب معه إلى المهدى بالرصافة فخرج حتى إذا كان على الجسر نظر الرسول الرومى إلى زمنى على الجسر يتصدقون فقال للترجمان: قل لهذا - يعنى عمارة - عندكم زمنى يتصدقون، وكان ينبغى لصاحبك أن يرحم هؤلاء من زمانتهم ويكفيهم مؤونة أنفسهم وعيالهم، ويحمل عنهم الفقر والحاجة مع الزَّمانة [٢]. لقد اشتقت الجماعة العربية الزمانة من الزمن لأنها أعتقدت انها حادثة عنه، ويصور لنا بعض الشعراء ذلك أيضا، يقول أبو الفتح السبتى[٣]:

ليس الأمان من الزمان بممكن ... ومن المحال وجود ما لا يمكن

معنى الزمان على الحقيقة كاسمه ... فعلام نرجو منه أن لا يزمن

وقال آخر[٤]:

يا زمانا ألبس الأحرار ... ذلا ومهانه

لست عندى بزمان ... إنما أنت زمانه

الدَّهر: نجد لفظ الدهر من أكثر الألفاظ دورانا فى كلام الجماعة العربية وهو اسم لوقت من الزمان، وقيل هو الزمان الطويل أو الأمد الممدود وإلى جانب هذه الدلالة نجد اللفظ يرتبط بدلالات أخرى، فالدهرى الرجل المسن، والدهر أيضا الرجل الملحد وكلاهما منسوب للدهر. والدهر النازلة، يقولون دهر بهم أمر أى أصابهم مكروه [٥]، ومن ذلك حديث موت على بن أبى طالب: «لولا قريش تقول دهره الجزع لفعلت»[٦]، والدهارير جمع الدهور تصاريف الدهر ونوائبه، مشتق من لفظ الدهر.

(١) نشوار المحاضرة ٢/٢٨٧. (٢) الأخبار الموفقيات ١٦٨.
(٣) يتيمة الدهر ٤/٣٣٤. (٤) شرح البلاغة ٣/٢٤٣.
(٥) اللسان دهر انظر ص (١٢٠) من الدراسة (٦) النهاية ٢/١٤٤.

يقول ابن الأثير فى النهاية «كان من شأن العرب أن تذم الدهر وتسبه عند النوازل والحوادث التى تنزل بهم من موت أو هرم فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وحوادثه، وأبادهم الدهر فيجعلون الدهر الذى يفعل ذلك فيذمونه»(١) ونقرأ كثيرًا من التعبيرات اللغوية التى تؤيد ذلك مثل: بوائق الدهر، نائبات الدهر، نكبات الدهر، حدثان الدهر، سهام الدهر، ريب الدهر، يد الدهر(٢)، ونجد من يجعل الدهر غولا يلتهم الرجال، يقول امرؤ القيس(٣):

لم يحزنك إن الدهر غـــول ... ختـور العـهـد يلتـهم الرجـالا

ولعل هذا التصور جعلهم يستعملون لفظ التدهور الذى يشتجر مع لفظ الدهر فى أصله الاشتقاقى بدلالة الفساد والتحلل، ومن هذا قولهم: دهور الشىء جمعه والقذف به فى مهواه(٤)، ولهذا قال الشاعر أيضا(٥):

ألم تر أن الدهر يهـدم مـا بنى ... ويسلب ما أعطى ويفسد ما أسدى

لقد نسبت الجماعة العربية للدهر كل شىء لأنه يسيطر على كل شىء وقد رد عليهم الشرع الإسلامى فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية: ٢٤)، وجاء فى الحديث قوله ﷺ: قال الله يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار»(٦).

لقد جرَّد الشرع الإسلامى لفظ الدهر من الإيحاءات الجاهلية، فالفاعلية الحقيقية التى نسبت للدهر أو الزمان هى لله سبحانه وتعالى، وإن ثمة ضربين من الوجود: الوجود المتزمن وجود المخلوقات، والوجود غير المتزمن وجود الخالق. الأول وجود فانٍ والثانى وجود سرمدى، كما أن هناك الزمان الماضى الذى يبدأ بخلق العالم ويتحرك نحو المستقبل الذى يتم فيه الحساب كما نرى فى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ

(١) النهاية ٢/١٤٤.
(٢) الألفاظ الكتابية ١٥٤.
(٣) الديوان ٣٠٩.
(٤) اللسان دهر.
(٥) يتيمة الدهر ٣/٢٤٣.
(٦) البخارى ٨/٥١ ط الشعب.

يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (الروم: ٨). كما أن كل ما تم من الأفعال فى الماضى له وجود ثابت محفوظ من كتاب الأعمال ليوم الحساب لقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩). وكما أن كل ما تم فى الماضى يتحرك نحو المستقبل، نجد حاضر الإنسان المسلم يتحرك نحو المستقبل الذى يتم فيه الحساب لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٥) (١).

وكما سبق أن ذكرنا فى الفصل السابق أن الجماعة العربية قد اتخذت الحيوان معادلا دلاليا للتعبير عن أوقات الزمان (٢) فقد استعملت تعبير الأزلم الجذع وهو صغير السن من الوعول بمعنى الدهر، كما قالت أيضا: فر الدهر جذعا، قالت ذلك لأنها كانت ترى أن الدهر باق على حال واحدة كأنه فتى لايسن ولا يتغير مثل الوعول والظباء التى لا يسقط لها سن فهى جذعان أبدا، وجاء التعبير فى قولهم: لا آتيه الأزلم أى لا آتيه أبد الدهر، وأودى به الأزلم الجذع أى أهلكه الدهر ومن ذلك قول الأخطل (٣):

يا بشـــر لولم أكن منكم بمنزلة ... ألقى علىَّ يديـه الأزلم الجـــذع

الأبـــد: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمن غير المحدد والجمع آباد وأبود، تقول أبديا، تقول أبد بالمكان أقام به ولم يبرحة، والمؤبد الخالد والدائم، والتأبيد التوحش، والأوابد الوحوش لأنها تعمر على الأبد، والآبدة الداهية يبقى ذكرها على الأبد، والآبدة الكلمة والفعلة الغريبة ومن ذلك قولهم: أبد الشاعر أتى

(١) د. عفت الشرقاوى فى فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٥٦ – ٢٥٨ ط ١ النهضة العربية بيروت ١٩٨١.
(٢) انظر ص (٨٢) من الدراسة.
(٣) اللسان زلم، جذع والميدانى ٢/٤٤٤. انظر ص ١٢٣ من الدراسة.

بالعويص الذى لا يعرف معناه (١).

الأزل: استعملت الجماعة العربية اللفظ بفتح الألف والزاى بدلالة الزمان الماضى القديم فى مقابل الأبد بدلالة الزمان المستقبل، فقالت: شىء أزلى أى قديم كما استعملت الجماعة العربية اللفظ بسكون الزاى بمعنى الضيق والشدة فالأزل: ضيق العيش والأزل الداهية أيضا، ومن ذلك قولهم أزل الرجل يأزل أزلا صار فى ضيق وشدة، وقولهم هم فى أزل من السنة أزلت السنة اشتدت وأجدبت (٢)، ومن ذلك قول طهفة للرسول ﷺ: أصابتنا سنة حمراء مؤزلة (٣)، أى آتيه بالأزل.

الحين: استعملت الجماعة العربية اللفظ بكسر الحاء بدلالة الوقت غير المحدد من الزمان قصر أم طال، كما استعملته بفتح الحاء بدلالة الهلاك ومن ذلك قولهم حان الرجل أى هلك وأحانه الله كذلك، والحائنة النازلة ذات الحين، والجمع حوائن ومن أمثالهم: أتتك بحائن رجلاه (٤)، قال النابغة:

ولكن الحوائن قد تحين ... بتبل غير مطلب لديها

الأجل: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة غاية الوقت أو مدة الشىء ومن ذلك وقت العمل فى مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (القصص: ٢٩)، ووقت حلول الدين فى مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، كما استعملته أيضا بدلالة وقت حلول موت الإنسان وكأنه قد استدان عمره لمدة محدودة وعليه أن برده مع حلول الوقت فى مثل قوله تعالى ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون: ١١) وقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤).

السَّنة: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة المدة الزمانية التى تتكون من اثنى عشر شهرا، كما استعملته بمعنى الجدب أو الشدة ومن ذلك قولهم: أصابتهم

(١) اللسان أبد.
(٢) اللسان أزل.
(٣) النهاية ٤٦/١.
(٤) الميدانى ٣٢/١ اللسان حين.

السنة أى أصابهم قحط أو شدة، كما قالوا أيضا: هذه أرض سنة أى مجدبة وهذه بلاد سنين أى جدبة (١). قال الطرماح:

بمنخرق تحن الريح فيه ... حنين الجلب فى البلد السنين

وقد جاء فى القرآن والحديث ما يتفق وقولهم أخذتهم السنة بمعنى الجدب أو الشدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (الأعراف: ١٣٠) وجاء فى حديث الدعاء على قريش (٢): «أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف» وهى التى ذكرها الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ﴾ (يوسف: ٤٨)، أى سبع سنين فيها قحط وجدب، كما جاء فى الحديث أيضا (٣) «اللهم أعنى على مضر بالسنة» أى بالجدب. وجاء فى حديث عمر رضي الله عنه: «أنه كان لا يجيز نكاحا عام سنة»، أى عام جدب لأنه ربما حملهم الضيق على أن ينكحوا غير الأكفاء، كما كان لا يقطع فى عام سنة (٤)» أى لا يقطع يد السارق.

وكما رأينا الجماعة العربية تسمى الدهر بالأزلم الجذع، نجدها تسمى السنة المجدبة وتقول: أفسد من الضبع وتقول أكلتنا الضبع، يقول الميدانى: ومن عبث الضبع وإسرافها فى الإفساد استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة (٥).

كما نجد اللفظ يشتجر فى أصله الاشتقاقى بالسنة بدلالة التغير والفساد ومن ذلك قولهم طعام سنه أتت عليه السنون ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ (البقرة: ٢٥٩) أى لم يتغير ولم يفسد، كما يشتجر أيضا بلفظ السِّن بكسر السين بمعنى النتن والتغير ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦) أى متغير. جاء فى حديث بروع بنت واشق، وكان زوجها سنٌّ فى بئر، أى تغير وأنتن (٦).

(١) اللسان سنو.
(٢) النهاية ٤١٣/٢.
(٣) المصدر نفسه ٤١٤/٢.
(٤) المصدر نفسه ٤١٤/٢.
(٥) الميدانى ٢٦٢/٢ انظر ص (١٣٢) من الدراسة.
(٦) اللسان سنن.

اليـوم: لم يكن هذا اللفظ مقتصرا كغيره من ألفاظ الزمان على مفهوم الوقت المحدد أو غير المحدد من الزمان، ولكنه ارتبط كغيره من الألفاظ التى رأيناها بالشدة والهلاك، يشير المعجم إلى أنهم قالوا يوم ذو أيام، ويوم ذو أيا يم لطول شره على أهله، وقالوا يوم لنا ويوم علينا أى يوم يسرنا ويوم يحزننا، واليوم يومك، يريدون التشنيع، ولكل قوم يوم، أى عقاب وجزاء، وقالوا فى الدعاء: لا أرانى الله يومك أى يوم موتك[1]، ومن ذلك قولهم: يوم عبيد أى يوم قتله، ويوم العنز أى يوم ذبحها[2]، ومن أمثالهم: من ير يومًا ير به، أى من أحل بغيره مكروها حل به مثله [3]، ونجد هذه الدلالة فى شعر الهذليين فى هذه الأبيات[4].

وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الموت صائرٌ ... قضاءً إذا ما حان يؤخذ بالكظم

وما أحدٌ حيٌّ تأخر يومه ... بأخلد ممَّن صار قبلُ إلى الرَّجم

لا تأمنن ولو أصبحت فى حَرَم ... إنَّ المنايا بجنبى كلِّ إنسان

ولا تهابن إن يممتَ مهلكة ... إنَّ المزحزحَ عنه يومه دانى

ومن هذا القبيل ما يذكره أبو حيان فى تفسير قوله تعالى ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (التوبة: ٩٨) :الدوائر المصائب التى لا مخلص منها، تحيط بهم كما تحيط الدائرة، وحقيقة الدائرة ما تدور به الأيام، وقيل ما يدور به الفلك فى سيره، والدوائر انقلاب النعمة إلى ضدها»، كما يذكر فى تفسير قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم:٥). قول الفراء إن معنى الآية خوفهم بما نزل بعاد وثمود وغيرهم من العذاب وبالعفو عن الآخرين، قال ابن عباس: أيام الله بلاؤه ونعماؤه»[5]، ولعل هذا التصور لدى الجماعة العربية جعل ابن سيده يفرد فى سفر الأنواء بابا بعنوان «نعوت الأيام فى شدتها[6]» ينقل فيه بعض هذه النعوت عن اللغويين كما يلى «عن

(١) اللسان يوم.
(٢) ثمار القلوب ٦٤١.
(٣) الميدانى ٣٠٤/٤.
(٤) شرح أشعار الهذليين، ٢/ ٧١٣، ٣/ ١٢٢٥
(٥) البحر المحيط ٩١/٥، ٤٠٦.
(٦) المخصص ٦٠/٩ - ٦١.

أبى عبيد: يوم قسى وهو الشديد من حرب أو شر، وعن ابن السكيت: يوم عمرس بتشديد الراء وفتحها شديد مظلم، قال أبو زيد: أغمَّ يومنا جاء بغم وليلة غمة وغم أيضا، قال أبو عبيد: يوم أرونا وليلة أرونانة إذا بلغ الغاية فى الشدة والكرب، قال ابن دريد: يوم نحس بكسر الحاء وسكونها أى شؤم ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: ١٩)، قال ابن دريد: الأيام الحسوم الدائمة الشرر والشؤم خاصة، واللفظ مأخوذ من الحسم أى القطع كأنها تقطع الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة: ٧).

وإذا كان مفهوم اليوم كما سجله لنا هؤلاء اللغويون ونص عليه المعجم العربى فلا غرابة أن تسمى الجماعة العربية وقائعها وحروبها بالأيام، يقول ابن السكيت: تقول العرب الأيام فى معنى الوقائع...»، ويجعل حاجى خليفة معرفة هذه الأيام علما يعرفه بأنه «علم يبحث الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب»، يقول أبو حيان فلان عالم بأيام العرب أى وقائعها وحروبها وملاحمها كيوم ذى قار ويوم الفجار ويوم فضة وغيرها، قال الشاعر: «وأيامنا مشهورة فى عدونا»، أى وقائعنا [1].

لقد كانت هذه الأيام غارات طارئة تقع فى يوم واحد وتنتهى بانتهائه وقد يطول بعضها ويمتد إلى شهور بل إلى سنين، يقول عمرو بن كلثوم فى معلقته المشهورة[2]:

وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا

يقول ابن السكيت أيضا: إنما خصوا الأيام دون ذكر الليالى لأن حروبهم كانت نهارا، أو كانت توقف عند حلول الظلام، ولهذا نجد لفظ الصباح أو التصبيح يأتى فى كلامهم بمعنى الإغارة، ويشير المعجم إلى أن العرب تقول إذا أنذرت بغارة من الخيل تفجؤهم صباحا: يا صباحاه !، ينذرون الحى أجمع بالنداء العالى[3]، وفى

(١) البحر المحيط ٤٠٦/٥.
(٢) الزوزنى شرح المعلقات ١٤٦.
(٣) اللسان صبح.

الحديث لما نزل قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (الشعراء: ٢١٤) صعد الرسول ﷺ على الصفا وقال: ياصباحاه![1]، وهذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح[2]، فكأن القائل يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو، وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال، فإذا عاد النهار عادوا، وقد ارتبط الموت والهلاك فى كلامهم بوقت الصباح انظر قوله تعالى: ﴿أنَّ دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين﴾ (الحجر: ٦٦) أى هلكوا فى ذلك الوقت، وفى حديث أبى بكر رضي الله عنه[3]:

كل أمرئ مصبح فى أهله   والموت أدنى من شراك نعله

أى مأتى بالموت صباحا لكونه فيهم وقتئذ.

كما تخبرنا كتب الأمثال أنَّ الرجل كان يقول لمن يتوعده: أرقب لك صبحا[4].

٢ - ١ لم يكن مفهوم الزمان الجمعى فى ذهن الجماعة العربية مقتصرا على معانى المرض والعجز، كما وجدنا فى لفظ الزمانة، والشدائد، والمصائب وكما وجدنا فى ألفاظ الدهر، واليوم، والأبد، والأزل، والموت، والهلاك فى لفظى الحين والأجل، والجدب، والفساد فى لفظ السنة، بل نجد معنى الخوف أو التشاؤم يرتبط أيضا بالزمان أيامه وشهوره مما يدخل بعض أوقات الزمان ضمن ما تعرفه المجتمعات الإنسانية من المحظورات Taboos ومنها الزمان المحظور أو الحرام[5] [6].

---

(١) النهاية ٦/٣.

(٢) اللسان صبح.

(٣) النهاية ٦/٣.

(٤) الميدانى ٣٨/١.

(٥) انظر كريم حسام الدين المحظورات اللغوية ص ١٤ - ١٨ ط الأنجلو المصرية.

(٦) لا يزال العوام فى مصر يعتقدون أن هناك ساعات من النهار بل أياما مخصوصة لا يحسن بالمرء أن يأتى فيها عملا لأنها منحوسة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الاعتقاد فى الأيام سعدها ونحسها يعود إلى الفراعنة القدماء، فقد كان اليوم الأول من أمشير ويوم ٢٧ هاتور من أيام السعد والبركة عندهم لأن الأول هو اليوم الذى رفعت فيه السماء والثانى هو اليوم الذى تم فيه الصلح بين الإلهين حورس وسيت، أما يوم ٢٤ طوبة فهو من أيام النحس لأنه اليوم الذى بكت فيه إيزيس على أوزوريس، كما كان الفراعنة يؤجلون أعمالهم مثل السفر والزواج والزرع إذا صادفوا مثل هذا اليوم!
انظر محرم كمال. آثار حضارة الفراعنة ١٦ - ١٧ سلسلة الألف كتاب القاهرة.

تخبرنا مصادر اللغة والأدب أن يوم الأربعاء ارتبط بالطيرة والتشاؤم ويصور لنا الثعالبى ذلك قائلا: «... قرأت فى أخبار مزيد أن رجلا جاءه فقال له: أحب أن تخرج معى وتصل جناحى فى حاجة لى؟ فقال: هذا يوم الأربعاء أستثقله ولست أبرح منزلى، فقال الرجل: وما تكره من يوم الأربعاء، وفيه ولد يونس بن متى؟ فقال: لا جرم وقد بانت بركته فى اتساع موضعه وحسن كسوته حتى وصل إلى ورق القرع[1]، قال: وفيه ولد يوسف، فقال: وما أحسن ما فعله إخوته حتى طال حبسه وغربته[2]، وقال: وفيه أوحى إلى إبراهيم عليه السلام، فقال: فما كان أبرد من الأتون الذى أوقدوه له حتى خلصه الله تعالى[3]، قال: وفيه نصر الله رسوله يوم الأحزاب، قال: أجل بأبى أنت وأمى، ولكن بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا»[4] [5].

كما ينقل لنا الثعالبى مفتتح قصيدة لابن الحجاج يرثى بها الفتح بن العميد قائلا[6]:

أقول ليوم الأربعاء وقد غدا   على بوجه أغبر اللون قاتم

بعثت على الأيام نحسا مؤيدا   بشؤمك يا يوم الندى والمكارم

وينقل لنا تشاؤم شاعر آخر فى قوله[7]:

الأربعاء يوم وحش   النحس فيه منكمش

الأخذ فيه والعطا   من ذى المودات خطا

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ (الصافات: ١٤٥: ١٤٦).

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف: ٣٥).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٨ - ٦٩).

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ١٠ - ١١).

(٥) ثمار القلوب ٦٤٩.

(٦) (٧) المصدر نفسه ٦٤٨.

ونقرأ فى الرسالة البغدادية لأبى حيان التوحيدى هجاءه لأحد أقرانه قائلا «.. يا يوم الأربعاء فى آخر صفر»[1]، ويبدو من هذا القول أن الجماعة العربية كانت تتشاءم أيضا من شهر صفر، فقد صورت لنا عبارة أبى حيان الهجائية تشاؤما مركبا إذا صح التعبير، وعلى ما يبدو أن الجماعة العربية لاتزال إلى اليوم تتشاءم من بعض الأيام والشهور وتتطير من العمل والزواج فيها، ويذكر لنا بعض الباحثين المحدثين فى دراسته لقبيلة حرب التى تعيش فى شبه الجزيرة العربية أن أفراد القبيلة لا يتزوجون فى شهرى جمادى لاعتقادهم بأن الزواج لا يحمد فيهما، ولا يتزوجون أيضا فى شهر شعبان ويسمونه قصير، لأنهم يعتقدون أن الزواج يقصر عمره فيه، كما يتشاءمون من يوم الأربعاء فلا يسافرون فيه ولا يعقدون فيه نكاحا ولا أمرا ذا بال، ويعتبر أفراد قبيلة حرب أن اليوم الحادى والعشرين من كل شهر كيوم الأربعاء، ويذكر الباحث لفظ الصريماء: الذى يعنى اتفاق يوم الأربعاء مع الحادى والعشرين من الشهر، واللفظ مشتق من الصرم وهو القطع، وهم يغلظون بذلك تحريم السفر أو الزواج أو عمل أى شىء[2].

لم يكن يوم الأربعاء وحده هو اليوم الذى تشاءمت منه الجماعة العربية، بل كان يوم الأحد أيضا من الأيام التى تطيروا منها، ويشير الثعالبى إلى هذا التشاؤم قائلا: كان قدار بن سالف ومن تابعه من ثمود قد عقروا ناقة الله يوم الأربعاء فصبحهم العذاب يوم الأحد فأهلكهم» وينقل لنا قول الشاعر المتشائم[3]:

تجنب جـــــدة الأحــــد ولا تـركـب إلـى أحـــــد

وكما سبق أن أشار بعض الباحثين إلى تحريم قبيلة حرب فى شبه الجزيرة العربية الزواج فى شهرى جمادى لأن الزواج يجمد فيهما !، تنقل لنا المصادر القديمة أن الجماعة العربية الأولى فى شبه الجزيرة كانت تحرم الزواج فى شهر شوال لما فيه من معنى الإشالة والرفع، وقد جاء الإسلام وهدم هذا المعتقد ومن

(١) الرسالة البغدادية ٣٤٢.
(٢) عاتق البلادى نسب قبيلة حرب ص ١٠٥ ط دمشق ١٩٧٧.
(٣) ثمار القلوب ٦٤٨.

ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: تزوجنى الرسول ﷺ فى شوال، وبنى على فى شوال، فأى نسائه كانت أحظى عنده منى[1]، يقول النويرى: كما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تستحب أن يدخل نساؤها فى شوال وقد كانت تقصد بذلك رد ما كانت الجاهلية عليه وما يتخيله عوام الناس[2].

ومن هذا القبيل أيضا ما تنقله لنا المصادر القديمة من أن الجماعة العربية الأولى كانت تحرم القتال فى شهور أربعة وهى: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وقد سموا هذا الشهر الأخير الأصم لأنهم كانوا لا يسمعون فيه قعقعة السلاح، ولا صوت مستغيث، ومن ذلك قول الشاعر[3]:

يلومنى العـــاذل فى حـــبــــه وما درى شعـبـان أنى رجب

يقول اليوسى: قال ذلك لأن شعبان عند العرب يسمى العاذل، ورجب يسمى الأصم، كما كانت الجماعة العربية تعبر به عن السنة فى مثلها المشهور: «عش رجبا تر عجبا»[4]، ويعنى المثل: من نظر فى سنة واحدة ورأى تغير فصولها قاس الدهر كله عليها، فكأنه قال عش دهرا تر عجبا.

٢ - ٢ تخبرنا المصادر أن بعض القبائل كانت لا تصبر على الأشهر الحرم جميعها وتخرج على هذا العرف فتحرم شهرى ذى القعدة وذى الحجة وينسئون أى يأخرون المحرم إلى صفر ويحلون القتال فى الأول ويحرمونه فى الثانى، كما كانوا ينسئون رجب إلى شعبان ويحلون القتال فى الأول ويحرمونه فى الثانى[5].

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٨٥٠ ط الشعب.
(٢) تشاءم العرب من معنى الإشالة من الشائل وهى الناقة التى ترفع ذيلها للقاح ولا لبن لها أصلا وقيل الشائلة: الناقة التى لم يبق فى ضرعها إلاشول من لبن أى بقية يكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها ومن أمثالهم: أنت شولة الناصحة، وشولة هذه أمة رعناء، كانت تنصح مواليها فتعود نصيحتها وبالا على مجتمعها.
(٣) زهر الأكم فى الأمثال والحكم ١/١٥٣.
(٤) انظر المثل وقصته الميدانى ٢/٢٤٠.
(٥) تذكر المصادر أن عمرو بن لحى الخزاعى كان أول من نسأ الشهور وأحل منها ما أحل وحرم ما حرم، كما تذكر أيضا أن أول من فعل ذلك القلمس وهو حذيفة بن فقيم بن عامر ثم جاء بعده ولده عباد، ثم ابنه قلع، ثم ابنه أمية، ثم ابنه عوف ثم ابنه أبو ثمامة وعليه ظهر الإسلام، فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت عليه بمنى فقام فيها على جمل وقال بأعلى صوته: اللهم إنى لا أخاف ولا أعاف ولا مرد لما نصب اللهم إنى أحلل شهر كذا وانسأته إلى العام المقبل أى أخرت تحريمه وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواقى انظر نهاية الأرب ١٠/ ١٦٦ .

وقد كان نسىء الجماعة العربية على ضربين:

أحدهما: ما ذكرناه لشن الغارات وطلب الثأر.

الثانى: تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما حتى يدور فى ثلاثة وثلاثين سنة فيعود إلى وقته.

ولما كانت السنة التاسعة من الهجرة حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس، فوافق حجه فى ذى الحجة، ثم حج الرسول ﷺ فى العام القابل فوافق عود الحج فى وقته فى ذى الحجة كما وضع أولا، فلما قضى الرسول ﷺ حجه خطب فكان مما قال فى خطبته: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» يعنى أن الحج قد عاد فى ذى الحجة[1].

لقد حرم الإسلام النسىء الذى اتبعته الجماعة العربية فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ (التوبة : ٣٧)، كما أقرها على تحريم الأشهر الحرم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (التوبة : ٣٦).

٢ - ٣ ونجد من قبيل الزمان المحظور[2] تسمية الجماعة العربية لوقت العشاء بالعتمة فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلك قائلا «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإنها فى كتاب الله العشاء، وإنها تعتم بحلاب الإبل»[3] يقول الأزهرى: كانت الأعراب يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة تسمية بالوقت لأنهم يريحون الإبل ثم ينيخونها فى مراحها حتى يعتموا أى يدخلوا فى عتمة الليل وهى ظلمته فنهاهم الرسول ﷺ عن الاقتداء بهم واستحب لهم التمسك بالاسم الناطق به الشريعة[4]. كما يذكر لنا النووى ا سُتعمل لفظ العتمة فى بعض الأحاديث لأنه

(١) انظر البحر المحيط ٣٧/٥ - ٤٠ نهاية الأرب ١٦٧/١.

(٢) يمكن أن نعتبر ايضا شهر رمضان بأيامه من قبيل الزمان المحظور أو الحرام حيث يحرم على المسلم الأكل والشرب والمعاشرة الجنسية ومقدماتها خلال النهار.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢٨٧/٢ ط الشعب.

(٤) انظر النهاية ١٨٠/٣ واللسان عتم.

مشهور عند العرب وكأن النهى هنا عن استعمال اللفظ للتنزيه لا للتحريم[1].

كما نجد من الفقهاء من يحرم قول أحدهم خمس أو ست بقين من شهر كذا، لأن الباقى من أسماء الله الحسنى والبقاء ضد الفناء، والله هو الذى لا ينتهى تقدير وجوده فى الاستقبال، ولهذا يستحسن أن يقول خمس أو ست خلون من شهر كذا.

ومن هذا القبيل ما قرره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر باستعمال لفظ يوم بدلا من لفظ عيد الذى يوافق ٢١ مارس للاحتفال بالأم وتكريمها، لأن لفظ العيد يستعمل فقط فى مناسبتين إسلاميتين هما عيد الفطر وعيد الأضحى، كما رأى المجمع تغيير يوم الاحتفال من ٢١ مارس إلى ٢٠ مارس من كل عام لأن التاريخ الأول يوافق اليوم الذى تحتفل فيه طائفة البهائية بعيد النيروز أو عيد البهاء.

٣ - ١ سبق أن أشرنا فى كلامنا عن ثنائية الزمان والمكان إلى أن الأشياء تستمد مفاهيمها وهويتها من الكينونة والصيرورة معا، الكينونة فى المكان والصيرورة فى الزمان، وقد فطن اللغويون والنحاة لذلك فدرسوا ظرفى الزمان والمكان فى قسم المفعولات لأن كلا منهما يشارك الآخر فى الوظيفة التى يؤديها وهى وعائية الحدث، ولعل اختيار النحاة مصطلح الظرف يصور مفهوم الجماعة العربية لوعائية الزمان للحدث، وارتباط أوقات الزمان بأفعال وأحداث بعينها.

وإذا كنا قد رأينا الزمان المحظور الذى حرمت فيه الجماعة العربية ممارسة أى فعل أو نشاط فإننا يمكن أن نرى أيضا أن بعض أوقات الزمان ترتبط فى ذهن الجماعة العربية بممارسة أفعال أو أنشطة معينة، ومن ذلك ما ينقله لنا القلقشندى تحت «عنوان صفاء الزمان» من وصية أبى تمام للبحترى فى اختيار الوقت المناسب لنظم الشعر قائلا «اعلم أن السعادة فى الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شىء أو حفظه أن يختار وقت السحر فإنَّ النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء.. »[2].

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٨٧/٢.

(٢) صبح الأعشى ٢٢٠/٢.

وإذا كان أبو تمام قد اختار وقت السحر للتأليف والنظم، فإنَّ البلاغى المصرى ابن أبى إصبع ت ٦٥٤، يختار وسط الليل محتجا بقول أبى تمام نفسه:

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى   والليل أسود رقعة الجلباب

لقد فهم ابن أبى الإصبع لفظ الدجى هنا بوسط الليل الذى اعتبره الوقت المناسب للإبداع لأن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة ونالت قسطها من النوم ويكون الذهن صحيحا والصدر منشرحا بخلاف وقت السحر، فإنه وإن كان فيه يرق النسيم ويهضم الغذاء إلا أنه يكون قد انتبه فيه أكثر الحيوانات الناطق وغيره، وترتفع معظم الأصوات وينقشع الظلام بطلائع الضوء»[1]. كما نجد بعضهم يشبه أوقات اليوم بفصول السنة قائلا: إنَّ الغدو بمنزلة الربيع، وانتصاف النهار بمنزلة الصيف، والمساء بمنزلة الخريف، وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء»[2].

كما نجد بعض المصادر تسجل لنا أيضا تصور الجماعة العربية عن توزيع الأعمال على الأيام، ومن ذلك ما ذكره أبو حيان التوحيدى نقلا عن بعض معاصريه من أن يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وعمارة، ويوم الإثنين يوم سعى وتجارة، ويوم الثلاثاء يوم حرب ومكافحة، ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحاجات، ويوم الجمعة يوم خلوة ونكاح»[3].

وقد نظم لنا ابن الرومى هذا التصور شعراً [4] فقال:

لنعم اليوم يوم السبت حقا   لصيد إن أردت بلا امتراء

وفى الأحد البناء فإن فيه   بدا الرحمن فى خلق السماء

وفى الإثنين إن سافرت فيه   تنبأ بالنجاح وبالنجاء

وإن رمت الحجامة فالثلاثا   فذاك اليوم مهراق الدماء

(١) المصدر نفسه ٢/٣٢٠.

(٢) القزوينى عجائب المخلوقات ١٠٦ ط بيروت ١٩٨١.

(٣) أبو حيان البصائر والذخائر ٤/٢٢٢، القلقشندى ٢/٣٦٦.

(٤) ديوان ابن الرومى ١/٣٦ تحقيق د. حسين نصار ط دار الكتب.

وإن رام امرؤ يوما دواءً   فنعم اليومُ يومُ الأربعاء

وفى يوم الخميس قضاءُ خير   ففيه الله يأذن بالقضاء

ويوم الجمعة التنعيم فيه   وتزويج الرجال مع النساء

ومن هذا القبيل ما يذكره لنا المقريزى أثناء حديثه عن أعياد القبط فى مصر. مثل خميس العدس الذى سمى بذلك لأن النصارى كانت تطبخ فيه العدس المصفى، ويقول أهل الشام له خميس الأرز أو خميس البيض ويقول أهل الأندلس له خميس أبريل... ويستطرد المقريزى واصفا لما كان يحدث فى القاهرة فى هذا اليوم قائلا «وأدركنا خميس العدس هذا فى القاهرة وهو من جملة المواسم العظيمة حيث يباع فى أسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبية والغوغاء ويهادى النصارى بعضهم بعضا، ويهدون المسلمين أنواع السمك مع العدس المصفى والعدس»[1].

٣ - ٢ إن أوقات الزمان ترتبط دائما فى أذهان المجتمعات الإنسانية بأحداث ومناسبات معينة، كما تميزت كل جماعة إنسانية بتصورات خاصة عن بعض أوقات الزمان، وترتبط هذه الأوقات بمناسبات اجتماعية ودينية وسياسية، وتنقل لنا المصادر العربية هذه الأوقات تحت عنوان «فضائل الأزمنة»[2] فالأشهر الفاضلة هى: رمضان، والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات[3]، وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة، وبعضها يوجد فى كل شهر، وبعضها كل أسبوع، أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء، والعشر الأول من ذى الحجة، والعشر الأول من المحرم[4]، وأما ما يتكرر فى الشهر: فأول الشهر ووسطه وآخره، ووسطه الأيام البيض، وهى

(١) المقريزى الخطط ١/٤٩٨ ط الشعب.

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب «كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال» باب فضائل الأزمنة ١٤/١٧٦ وما بعدها. علاء الدين، التقى بن حسام الدين الهندى ط دمشق.

(٣) الغزالى إحياء علوم الدين ٣/٤٣٢.

(٤) إحياء علوم الدين ٣/٤٣١.

الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما فى الأسبوع: فالاثنين والخميس والجمعة. فهذه هى الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وكثرة الخيرات لتتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات[1]. أما الليالى الفاضلة فهى خمس عشرة ليلة فى السنة ست منها فى شهر رمضان خمس فى أوتارها العشر وليلة سبع عشرة من رمضان حيث كانت وقعة بدر، أما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم، وليلةعاشوراء، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج، وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة وليلتا العيدين[2].

لقد عمل الإسلام على إعطاء الزمان مزيداً من الأهمية وجعل الإنسان المسلم مسئولا عن الزمان الذى يعيشه، فقد جاء فى الحديث: لا تزول قدما عبد يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به[3]، وإذا كانت بعض اللغات الأوربية مثل الإنجليزية والفرنسية تعرفان عبارة قتل الوقت Kill the time, Tuer le temps فإن اللغة العربية تعرف بفضل التصور الإسلامى عبارة إحياء الوقت، جاء فى الحديث: «أحيوا ما بين العشاءين» أى اشغلوه بالصلاة والعبادة والذكر ولا تعطلوه فتجعلوه كالميت بعطلته، وقيل لا تناموا فيه خوفا من فوات صلاة العشاء لأن النوم موت واليقظة حياة وإحياء الليل بالسهر فيه بالعبادة وترك النوم»[4]، وإذا كان لفظ العمارة يرتبط بالمكان فإنه يرتبط عند فقهاء المسلمين بالزمان، فنجدهم يتحدثون عن عمارة الأوقات بما هو نافع لأن هذا هو الصادق من الزمان، فى مقابل الزمان الكاذب الذى يضيع هباء، كما نراهم يقولون أيضا: إن من علامة المقت إضاعة الوقت، وقد ترجم هذا التصور الشاعر المسلم بقوله:

إذا مـــر بى يوم ولم أقـــتـــبس هـدى　　　ولم أستفد علما فما ذاك من عمرى

---

(١) المصدر نفسه ٣/٤٣٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/٦٤٦.

(٣) الترمذى ٤/٦١٢، الدارمى ١/١٤٤ رقم الحديث ٥٢٧ ، الطبرانى ٣/٣١٥ مع إختلاف اللفظ.

(٤) النهاية فى غريب الحديث ١/٤٧١.

٣ - ٢ وإذا كان هذا التصور الدينى فى الثقافة العربية الذى يرى كسب الوقت فضيلة من الفضائل، وإضاعة الوقت رذيلة من الرذائل، فإننا نجده يأخذ تصورا اقتصاديا فى الثقافة الغربية[1]، فالوقت مرادف للمادة بل مرادف للنقود، ولا غرابة أن نقرأ هذا التعبير فى الأنجليزية «الوقت من ذهب Tim is gold والذهب كما هو معروف أثمن المعادن التى يعرفها الإنسان لهذا جعلها غطاء للنظام النقدى، ونجد بعض اللغات الأوربية مثل الإنجليزية تعبر عن التصرف فى الوقت والنقود بفعل واحد هو To spend فتقول : To spend time, To spend money

وتقول : To save time. To save money. To waste money, To waste time.

كما تقول أيضا: To pay a visite, To pay money .

إن هذا التصور يعكس مدى القيمة الاقتصادية للوقت أو ما يمكن أن نسميه بشراء أو بيع الزمان، ألم يشتر شعيب من موسى عليهما السلام ذات يوم زمنا يقدر بثمانية أعوام مهرا لابنته؟ انظر إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ (القصص : ٢٧) إن كلا منا يبيع زمانا لمن يدفع له قيمة هذا الزمان الذى يتمثل فى انجاز عمل وإنتاج سلعة، وهكذا يتحول الزمان إلى طاقة تتحول بدورها إلى ثروة، ولهذا نجد القزوينى يقول منذ مئات السنين «الزمان أنفس رأس مال للإنسان، وبه يكتسب كل سعادة»[2] إننا إذا

---

(١) انظر على سبيل المثال: Ferner, Jack
successful time management, John Wiley & Sons, N.Y., 1980.
بين فرنر فى دراسته هذه كيف يشغل الفرد فى أمريكا أوقاته، ويشمل ذلك أوقات العمل والنوم والأكل والترفيه وغير ذلك، والعوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التى تؤثر فى توزيع الوقت. قارن ذلك بكيفية استغلال الفرد لوقته فى الثقافة العربية. انظر إدارة الوقت: فيلم تسجيلى علمى: المنظمة العربية للعلوم الإدارية إعداد د. لوى القاضى د. منير صوالحة.

(٢) انظر عجائب المخلوقات ص ١٠٥ ط بيروت ١٩٨١.

كنا نعجب بالآلة التى لها قدرة إنتاجية ضخمة فإننا نعجب كذلك بالشخص الذى يمتلك قدرة إنتاجية كبيرة، ومن هنا تتحدد القيمة الحقيقية للإنسان بما يصنعه.

٤ - ١ تخبرنا كتب اللغة والأمثال بأن الجماعة العربية الأولى قد تفاعلت مع الزمان حتى أصبح من المصادر الرئيسة لتجاربها التى ساهمت بشكل فعال فى تشكيل تصوراتها ومعتقداتها، وظهر ذلك واضحا فى أمثالها وأقوالها المأثورة.

لقد عاشت الجماعة العربية كغيرها الزمان بأبعاده الثلاثة الماضى المنصرم فقالت: ذهب أمس بما فيه[1]، والمستقبل المنتظر فقالت: يأتيك كل غد بما فيه[2]، والحاضر الذى يستشرف المستقبل فقالت: وإن مع اليوم غدا[3]، ولعل هذا القول جعل النحاة يعرفون الفعل المضارع بأنه ما دل على الحال والاستقبال، وقد عبر حاتم الطائى عن ثلاثية الزمان قائلا [4]:

هل الدهر إلاَّ اليوم أو أمس أو غد   كذاك الزمان بيننا يتردد

كما تخبرنا مصادر اللغة والأدب أن الجماعة العربية كانت ترى فيما يحدث فى الحاضر تكرارا لما حدث فى الماضى، فقالت: ما أشبه الليلة بالبارحة[5]، أى ما أشبه ما يحدث اليوم بالأمس، كما رأت فى الماضى أيضا رمزا للضياع والتأسى على ما فات، ولهذا نجد الحديث عنه يتحول لدى الشعراء إلى تقليد شعرى يتمثل فى الوقوف على الأطلال وبكاء الزمان الغابر.

وإذا كانت الجماعة العربية رأت فى الماضى مصدرا لليأس على ما فات فإنها رأت فى المستقبل رمزاً للغموض والمجهول،يقول زهير[6]:

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله   ولكننى عن علم ما فى غد عم

ونجد من يشبه الغد بالحبلى لأن أمر ما فى بطنها مبهم لا ندريه[7]، فيقول:

(١) الميدانى ٢/٢٢.   (٢) زهر الأكم ١/٣٦.
(٣) زهر الأكم ١/١٣٤.
(٤) الديوان ٢٦٢ تحقيق د. عادل سليمان.
(٥) الميدانى ٣/٣٦٣.   (٦) الديوان ٤٩.
(٧) ابن أبى عون التشبيهات ٢٨٣.

ترجو غدا وغد كحاملة   فى الحى لا يدرون ما تلد

كما أن هذا الغد المبهم دائما يأتى سريعا لمن ينتظره، فقالت: إن غدا لناظره لقريب، ولكن الجماعة العربية لا ترحب به لأنه قد يفرق شمل الأحبة كما يقول النابغة[1]:

لا مرحبا بغد ولا أهلا به   إن كان تفريق الأحبة فى غد

بل نجدها تخاف الغد والحديث عنه أحيانا كما يقول أبو نواس[2]:

خفت مأثور الحديث غدا   وغدا أدنى لمنتظره

وإلى جانب هذا التصور لثنائية الماضى والمستقبل نجد تصورا آخر لثنائية الليل والنهار، فالليل يرتبط بالغموض والخوف والخطر، أما النهار فيرتبط بالوضوح والاطمئنان والأمان، وقد ترجمت الجماعة العربية هذا التصور فى أمثالها وأقوالها المأثورة فقالت: الليل أعور لأنه لا يبصر فيه[3]، والمكثار كحاطب ليل، لأنه يخلط فى كلامه أو عمله مثل الذى يخرج للاحتطاب ليلاً فلا يتبين ما يفعل[4]، والليل أخفى للويل أى افعل ما تريد ليلا فإنه أستر لسرك[5]، كما قالت أيضاً: «أمر نهار قضى بليل. لكل أمر دبر فى الخفاء، وحذرت من الليل وظلمته فقالت: «أهلك والليل، وقالت كذلك. «الليل وأهضام الوادى»[6] أى احذر الليل ومخاطر الطريق.

وإذا كان هذا هو أمر الليل مع الجماعة العربية فأمر النهار أو الصباح يختلف، ففيهما تتضح الأشياء فقالت: «وهل يخفى عن الناس النهار[7]، وأشهر من فلق الصبح[8]» وبيَّن الصبح لذى عينين»[9] أى إذا جاء الصبح تبينت الأشياء لكل ذى بصر، كما قالت أيضا: «إنما هو الفجر أو البحر[10]» أى انتظر حتى يضىء لك

(١) الديوان ٩٠.   (٢) الديوان ٢٤٦.
(٣) الميدانى ٣/٩٧.   (٤) الميدانى ٣/٢١٧.
(٥) الميدانى ١/١١٥.   (٦) الميدانى ١/٨٦، ٣/١٧.
(٧) أبو عبيد الأمثال ٩٣.   (٨) الميدانى ٢/١٩٨.
(٩) زهر الأكم ١/٢١١.   (١٠) الميدانى ١/١٧٧.

الفجر الطريق، فتبصر قصدك وألا أخطأت الطريق، وشبهت الشيء الجميل بنوم ساعة الفجر، فقالت ألذ من إغفاءة الفجر، ومن ذلك قول المجنون[1]:

ولو كنت لهـوًا كنت تعليل سـاعـة ... ولو كنت نومًا كنت إغفـاءة الفجر

وضربت المثل لكل ما يسر به الإنسان بهلال شوال، واختارت هلال شوال لأنه يأتى بالعيد[2]، وضربت المثل أيضًا لمن يطلب شيئا ثم يضيعه على نفسه، أو من يطلب شيئا فى غير وقته فقالت: الصيف ضيعت اللبن، واختارت الصيف لأن الألبان تكثر فيه[3].

٤ - ٢ ولا تزال الجماعة العربية تتفاعل مع الزمان الذى ارتبط فى أذهان أفرادها . لحكايات ومأثورات حقيقية أو خيالية حملتها لنا تعابير اصطلاحية مثل قول أحدهم: كان ذلك «زمن الفطحل» بكسر الفاء وفتح الطاء، أى كان فى قديم الزمان، يقول الميدانى: قالوا هذا زمن لم يخلق فيه الناس، وقال الجرمى: سألت أبا عبيدة عنه فقال: الأعراب تقول ذلك زمن كانت الحجارة فيه رطبة، وقيل من الفطحل زمن نوح عليه السلام. ومن ذلك قول رؤبة لمن سألته عن سنه[4]:

تسـاءلـن عن السنين كم لى ... فقلت لو عمرت عمر الحسل

أو عمر نوح زمن الفطحل ... والصخر مبتل كطين الوحل

وقالوا أيضا «زمن السلام» بكسر السين وهى الحجارة، قال أبو عمرو: تقول إذا قدم عهدك بالرجل ثم رأيته: متى عهدك بأسفل فيك ؟، أى متى أثغرت، فيقول المجيب «زمن السِلام رطاب» وربما قال «زمن الفِطحل» يريدون به قدم العهد.

ومن هذه التعابير الاصطلاحية قولهم: جاء أو لقيته «صكةَ عُمَىٍّ» بضم العين وفتح الميم وتشديد الياء بدلالة وقت الظهيرة وهو أشد أوقات النهار حرًا، جاء فى

---

(١) زهر الأكم ٢٨٤/١.

(٢) ثمار القلوب ٦٤٨.

(٣) الميدانى ٤٣٤/٢.

(٤) المصدر نفسه ٣٠٩/٣ اللسان حسل أيضا.

انظر المزيد من التعابير الاصطلاحية المرتبطة بالزمان ص (١٧٩) من الدراسة وما بعدها.

الحديث «أنه ﷺ كان يستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى» أى فى الهاجرة، يقول ابن الأثير «قيل أن عميا اسم رجل من عدوان كان يفيض بالحاج عند الهاجرة وشدة الحر، وقيل أنه أغار على قومه فى حر الظهيرة فضرب به المثل فيمن خرج فى شدة الحر، وقيل إن «عمى» تصغير أعمى، ويكون التعبير على ذلك عندما تُعمى شدةُ الحر من يخرج أو يأتى فى ذلك الوقت، وقيل إن «عمى» الحر بعينه[1].

ومن هذه التعابير الاصطلاحية الزمانية «أيام العجوز» وهى خمسة أو سبعة أيام شديدة البرودة ينقل لنا المرزوقى تفسيرا لهذا التعبير قائلا « ..إن قوما قد جزوا ذات يوم الأصواف والأوبار مؤذنين بالصيف وقالت عجوز منهم: لا أجز حتى تنقضى هذه الأيام فإنى لا آمنها، فاشتد البرد وأضر بمن قد جز وسلمت العجوز بغنمها، وقيل إن العجوز هى التى عجلت بجز أصوافها لحاجتها إليه وثقتها بالحر فجاء البرد وبدأ الموت يدب فى الغنم فكانت تموت واحدة كل يوم حتى بلغت سبعة أو خمسة، ولهذا سميت أيام العجوز وهى أيام شديدة البرودة[2][3]، وقد استعمل بعض الشعراء هذا التعبير، ومن هؤلاء ابن الرومى الذى يهجو مغنية قائلا[4]:

كنت عند الأمـيـر عـيـسى بن هـا ... رون وفـيـهم وذاك فـى تـمـوز

فـتـغنت فـهـزنى القـر حـتى ... خلت أنى فى وسط برد العـجـوز

٤ - ٣ نجد إلى جانب الأمثال والتعابير الاصطلاحية التى تصور تفاعل الجماعة العربية مع الزمان، مظهرا آخر من مظاهر هذا التفاعل لدى الجماعات

---

(١) النهاية فى غريب الحديث ٤٣/٢ انظر التعبير أيضا المخصص ٥٤/٩ واللسان صكك.

(٢) الأزمنة والأمكنة ٤٧٤/١ انظر اللسان عجز.

(٣) يذكر المرزوقى رواية أخرى عن الكسائى فى تفسير التعبير بأن امرأة عجوزا كان لها سبعة أولاد وطلبت منهم أن يزوجوها وأرادوا التخلص منها فقالوا لها بيتى لنا سبع ليال على ثنية هذا الجبل وكل واحد منهم ليلة لنزوجك ثم ذهبوا إليها بعد الليلة السابعة وقد ماتت ٩٧٣/١، يذكر كراع النمل أن هذه الأيام سبعة تكون فى دبر الشتاء لأربعة أيام تبقى من شباط وثلاثة تخلو من آذار من شهور العجم. كما يذكر أسماءها انظر المنتخب ٧٦٥/٢ تحقيق د. محمد العمرى ط جامعة القرى.

(٤) الديوان ١١٥٤/٣ تحقيق د. حسين نصار ط دار الكتب.

الإنسانية ويتمثل ذلك فى تسمى أفرادها بألفاظ الزمان ووصفهم بها، ومن هذا القبيل ما نجده لدى بعض المجتمعات الأفريقية التى تتحدث لغة الهوسا وسمت أبناءها الفصول والمناسبات والأيام، فالذى يولد فى فصل الربيع وهو فصل سقوط الأمطار يسمى Damina والذى يولد فى فصل الصيف وهو فصل الحصاد يسمى Kaka ومن يولد فى رمضان يسمى Danzumi، ومن يولد يوم العيد يسمى Bisalla ومن يولد يوم عرفات يسمى Al Hajii، والذى يولد يوم السبت يسمى Dan Asabe، والذى يولد يوم الأحد يسمى Dan Ladi[1].

لقد عرفت الجماعة العربية أيضا ظاهرة التسمية بأسماء الزمان[2] مثل: الصيف ومن هؤلاء الذين تسموا بهذا الاسم صيفى بن أكثم، وصيفى بن أسود، وصيفى بن أمية، والربيع وقد سمت العرب أبناءها بهذا الاسم كثيرا، من هؤلاء: الربيع بن أنس، الربيع بن إياس، الربيع بن طفيل[3]، وسمت الجماعة العربية أبناءها شهرا أو شهيرا ومشهورا واستعملت المثنى منه فقالوا: شهران وهو أبو قبيلة من خثعم[4].

كما تسمت العرب بأسماء أخرى تتصل بالزمان مثل الهلال، ومن هؤلاء: هلال ابن أمية، هلال بن الحارث، هلال بن عامر، هلال بن يزيد[5] وتسمت بالقمر، ومن هؤلاء: قمر بن علقمة، وبنو قمير بطن من مهرة بن حيدان، وتسمت بالزبرقان وهو اسم من أسماء القمر، ومن هؤلاء الزبرقان بن بدر[6]، كما سمت العرب أبناءها بالبراء وهى أول ليلة من الشهر القمرى سميت بذلك لتبرؤ القمر فيها من الشمس.

---

(١) حدثنى بذلك بعض الطلاب النيجيريين بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أم القرى لاحظ أيضا هذه الأسماء فى المجتمع المصرى عيد وعرفة ورمضان وشعبان ورجب ومحرم وربيع، وجمعة وخميس، شمس، قمر، نجم، وأسماء العائلات شتاء، الصيفى.

(٢) راجع فهارس أسماء الأعلام فى كتب اللغة والأدب والتاريخ المعروفة.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/٢٩٠، ٢٨٠، ٥٥٢، ١٢٧، ٤٠٥، ٣٨٩، ٣٦٣.

(٤) اللسان شهر.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/٢٨٠، ٣٣٠، ٧/٤٧، ٢١٩.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/٧٩، ٧/٤٤ ١/٢٩٤.

ومن هؤلاء: البراء بن أوس، البراء بن نوفل، البراء بن مالك[1]، وسمى بعضهم بالشمس وما اشتق منها مثل بنو عبد شمس من تميم، وشماس بن عثمان، شموس بنت حق، وشموس بنت عامر، وشمسة بنت معن[2].

وكما سمت الجماعة العربية الرجل عمرا تفاؤلا بطول العمر سمت المرأة أيضا هنيدة تفاؤلا أيضا بطول العمر ويعنى اللفظ مائة سنة، ومن هؤلاء: هنيدة بنت خباب، وتسمى بعضهم بالدهر ومن هؤلاء دهر بن الأحزم [3] وسميت المرأة بعائشة تفاؤلا بطول عيشها.

سمت الجماعة العربية أبناءها أيضا بأوقات اليوم مثل النهار، ومن هؤلاء: نهار العبدى، وأبو نهار عقبة بن عامر[4]، والصبح والصباح وصبيح، ومن هؤلاء: صباح بن الهذيل، وأبو الصباح موسى بن كثير، وبنو صبح بطن من سلمة وبنو صبيح فطن بن فزارة[5]، والليل اسم لكل ليلة، وقد قالوا ليلة ليلاء وليلى أى طويلة، وبه سميت المرأة وهو أكثر مما نمثل له، وسبرة بدلالة الغداة الباردة أو الوقت ما بين السحر إلى الصباح، ومن هؤلاء سبرة بن يزيد، أو سبرة يزيد بن مالك، أبو سبرة الهذلى[6].

٤ – ٤ وكما استعملت الجماعة العربية ألفاظ الزمان لأبنائها واستعملتها أسماء للأعلام استعارتها أيضا لتصف بها الإنسان فقالت: أصاف الرجل أى ترك النساء شابا ثم تزوج كبيراً وهو وصيف وولده صيفى والجمع صيفيون[7]، وقالت أربع الرجل فهو مربع ولد له فى شبابه وولده ربعى والجمع ربعيون وهم الذين ولدوا وآباؤهم شباب، ومن ذلك قول الشاعر[8]:

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٤٣٦، ٢٢٦، ٧/١٧، ٣٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٥٦٧، ٤٦٢، ٢/٤٣، ٥/٢٨٤.

(٣) الإصابة ١/٤٧٦ انظر ص (١٢٩) من الدراسة.

(٤) طبقات ابن سعد ١/٢٢٥ والإصابة ٣/٥٧٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/٢٨٨ واللسان صبح.

(٦) طبقات ابن سعد ١/٢٢٥، ١/٤٤٦.

(٧) اللسان صيف.

(٨) اللسان ربع.

إن بنيّ صبيـــة صيـــفيـــون — أفلح من كـــان له ربعـــيون

ومن الصباح وصفت الجماعة العربية الإنسان بأنه صبيح وصباح بضم الصاد للثانية. أى أنه جميل وضيء الوجه[1] وعكس ذلك مظلم الوجه، ومن القمر قالت: أقمر وقمراء والقمرة البياض ومن ذلك رجل أقمر الوجه، وامرأة قمراء الوجه[2]، ومن شروق الشمس قالوا: وجه مشرق والتشريق الجمال وإشراق الوجه، قال الشاعر[3]:

يزينهن مع الجمـــال مـــلاحـــة — والدل والتـــشـــريق والفـــخـــر

ومن الشمس قالت الجماعة العربية: امرأة شموس أى عفيفة لا تطمع فيها، ورجل شموس أى عسير الخلق، والشموس من الدواب الجامح والنافر منها[4]، ومن الضحى قالت: حصان أضحى والأنثى ضحياء إذا كان أبيض اللون[5].

★ ★ ★

---

(١) اللسان صبح.
(٢) اللسان قمر.
(٣) اللسان شرق.
(٤) اللسان شمس.
(٥) اللسان ضحو.

البـــاب الثانى

الزَّمـــان واللغـــة

الفصـــل الأول

ألفــاظ الزمــان المبهــم

/ يرتبط اكتساب المرء للغته الأم منذ طفولته بإدراك العالم حوله من خلالها، ومهما كان العالم حوله غنيا فهو لن يدرك إلا الظواهر التى لها مسميات فى هذه اللغة التى تصنف له ما يبصره ويسمعه وفقا لطريقتها الخاصة، وتفرض عليه تصورات معينة لما حوله من أنواع النباتات والحيوانات والظواهر الطبيعية مثل شروق وغروب الشمس، وسقوط الأمطار والثلوج، وتصنيف ألوان الطيف وتقسيم أوقات الزمان.//

، إن دور اللغة لا يقتصر فقط على اختزال وتصنيف ما نبصره أو نسمعه ووصف تجاربنا وخبراتنا المادية والمعنوية، بل إنها تقوم بتشكيل تفكيرنا أو الطريقة التى ننظر بها إلى ما حولنا، إننا حين نكتسب اللغة الأم نكتسب معها وبطريقة لا شعورية أسلوبا متميزا فى التفكير والسلوك، فاللغة الإنجليزية تستعمل الأفعال To pay , To save To spend فى سياقات تتصل بقضاء الوقت وإنفاق النقود مثل To save money, To save tim To spend money, To spend time, To pay money, To pay a visite كما نجد متكلم الإنجليزية يقيس الوقت بمقياس اقتصادى فبدلا من أن يقول ساعتى تقدم أو تؤخر يقول : my watch agains or loses أى تربح أو تخسر .

فالوقت لدى الجماعة الإنجليزية يتخذ مفهوما اقتصاديا فلا فرق بين التصرف فى الوقت والنقود فكلاهما له نفس القيمة، ومن هذا القبيل ما سبق أن أشرنا إليه من ارتباط ألفاظ الزمان العربية مثل السنة واليوم والأجل بدلالات

الجدب والشدة والموت [1]، وارتباط لفظ Le temps فى الفرنسية بدلالة الزمان والطقس أيضا.

إن عين الإنسان تبصر نفس الألوان، بيد أن اللغات تلعب دورًا هاما فى تحديد هذه الرؤية ومفهومها، فإذا كانت اللغة الروسية على سبيل المثال تميز بين درجتين من اللون الأزرق وتستعمل لكل منهما لفظا مستقلا فإن الإنجليزية والألمانية تعبر عن هذين اللونين بكلمات مركبة هكذا: أزرق غامق [2] وأزرق فاتح. ومن هذا القبيل تمييز اللغة العربية والفرنسية بين اليوم Le jour والنهار Le journee بينما لا تميز لغات أخرى بينهما بلفظين مستقلين، مثل الإنجليزية التى تستعمل لفظ Day لليوم وتعبيرا مركبا هو Day light للنهار.

إن اللغات كما تتباين وتختلف فى أصواتها وتراكيبها تختلف أيضا فى مفرداتها ومعانيها التى تتطابق مع ثقافة الجماعة اللغوية، فثقافة أبناء الصحراء تعرف مفردات كثيرة للنخيل والإبل ولكنها لا تعرف إلا مفردات قليلة للإشارة إلى الثلج الذى تعرف له لغة الإسكيمو عشرات الأسماء، كما أن خبرة الجماعة اللغوية بما حولها تقودها نحو المزيد من الدقة والتمييز فى إطلاق المسميات طبقا لخبراتها التى تتراكم على مر الأجيال، فالظاهرة الواحدة من الظواهر التى نجدها فى ثقافة ما قد تتخذ مسميات قليلة محدودة فى لغة وتتخذ تسميات كثيرة ومتنوعة فى لغة أخرى.

إننا إذا تتبعنا ظاهرة الزمان فى العربية وكيف اصطلحت الجماعة العربية على تقسيم أوقاته فإننا سنجد المعجم العربى زاخرًا بعشرات الألفاظ التى تدل على أنها قد أحست بالزمان إحساسا دقيقا لأنه كان منظما لحركتها فى الصحراء الواسعة فى السفر والإقامة، والحل والترحال، وتتبع أوقات اليوم والشهر والسنة لارتباطها بالحر والبرد وهبوب الرياح وسقوط الأمطار، وتبدل مواسم الخصب والجدب.

---

(١) انظر ص (٩٤) من الدراسة وما بعدها.

(٢) كندراتوف الأصوات والإشارات ص ٦٢.

سنحاول فى هذا الجزء الثانى من الدراسة استعراض هذه الألفاظ التى عرفتها الجماعة العربية الأولى وسجلها لنا المعجم، وسنلاحظ أن بعضها يشير إلى المبهم من الزمان، وبعضها الآخر يشير إلى المحدد منه، كما سنلاحظ أيضا أن هذه الألفاظ تتسع وتضيق دلالتها على أوقات الزمان المختلفة القصيرة والطويلة ونلاحظ كذلك أن بعض الألفاظ يشتجر بمفاهيم متباينة فى أذهان الجماعة العربية من ناحية، كما يتداخل بعضها فى علاقات الترادف من ناحية أخرى.

نستعرض فى هذا الفصل ألفاظ الزمان المبهم فى أربع مجموعات دلالية كما يلى :

المجموعة الأولى: الزمان، الدهر، الأبد، الأزل، السرمد، المسند.

المجموعة الثانية: الوقت، الحين، الأوان، العهد، الحقبة، العصر.

المجموعة الثالثة: المدة، الملاوة، البرهة، الفترة، الطور، التارة.

المجموعة الرابعة: العمر، الأمد، الأجل، القرن، الأمة، الطبقة.

١-١ الزَّمان : ينص المعجم على أن الزمان والزمن اسم للقليل من الوقت وكثيره، والجمع أزمن وأزمنة وأزمان، ومن قولهم : أزمن الشىء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمانا، وقولهم أيضا : لقيته ذات الزمين بضم الزاى أى فى ساعة لها أعداد، يريدون بذلك تراخى الوقت كقولهم: لقيته ذات العُويم أى من الأعوام [1].

كما ينص المعجم أيضا على أن الزمان يقع على الفصل من فصول السنة ومن ذلك قولهم زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد، كما يقع لفظ الزمان على المدة وولاية الرجل وما أشبه، يقولون زمان أبى بكر أو زمان عمر، جاء فى الحديث أنه ﷺ قال لعجوز تحفى بها فى السؤال : كانت تأتينا أزمان خديجة « أى مدة حياتها » [2] وفى حديث آخر: « إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب » [3] أراد ﷺ قرب انتهاء أمد الدنيا.

---

(١) اللسان زمن انظر ص (٩٠) من الدراسة .

(٢) (٣) النهاية ٣١٤/٢ .

الجدب والشدة والموت [1]، وارتباط لفظ Le temps فى الفرنسية بدلالة الزمان والطقس أيضا.

إن عين الإنسان تبصر نفس الألوان، بيد أن اللغات تلعب دورًا هاما فى تحديد هذه الرؤية ومفهومها، فإذا كانت اللغة الروسية على سبيل المثال تميز بين درجتين من اللون الأزرق وتستعمل لكل منهما لفظا مستقلا فإن الإنجليزية والألمانية تعبر عن هذين اللونين بكلمات مركبة هكذا: أزرق غامق [2] وأزرق فاتح. ومن هذا القبيل تمييز اللغة العربية والفرنسية بين اليوم Le jour والنهار Le journee بينما لا تميز لغات أخرى بينهما بلفظين مستقلين، مثل الإنجليزية التى تستعمل لفظ Day لليوم وتعبيرا مركبا هو Day light للنهار.

إن اللغات كما تتباين وتختلف فى أصواتها وتراكيبها تختلف أيضا فى مفرداتها ومعانيها التى تتطابق مع ثقافة الجماعة اللغوية، فثقافة أبناء الصحراء تعرف مفردات كثيرة للنخيل والإبل ولكنها لا تعرف إلا مفردات قليلة للإشارة إلى الثلج الذى تعرف له لغة الإسكيمو عشرات الأسماء. كما أن خبرة الجماعة اللغوية بما حولها تقودها نحو المزيد من الدقة والتمييز فى إطلاق المسميات طبقا لخبراتها التى تتراكم على مر الأجيال، فالظاهرة الواحدة من الظواهر التى نجدها فى ثقافة ما قد تتخذ مسميات قليلة محدودة فى لغة وتتخذ تسميات كثيرة ومتنوعة فى لغة أخرى.

إننا إذا تتبعنا ظاهرة الزمان فى العربية وكيف اصطلحت الجماعة العربية على تقسيم أوقاته فإننا سنجد المعجم العربى زاخرًا بعشرات الألفاظ التى تدل على أنها قد أحست بالزمان إحساسا دقيقا لأنه كان منظما لحركتها فى الصحراء الواسعة فى السفر والإقامة، والحل والترحال، وتتبع أوقات اليوم والشهر والسنة لارتباطها بالحر والبرد وهبوب الرياح وسقوط الأمطار، وتبدل مواسم الخصب والجدب.

---

(١) انظر ص (٩٤) من الدراسة وما بعدها.

(٢) كندراتوف الأصوات والإشارات ص ٦٢.

سنحاول فى هذا الجزء الثانى من الدراسة استعراض هذه الألفاظ التى عرفتها الجماعة العربية الأولى وسجلها لنا المعجم، وسنلاحظ أن بعضها يشير إلى المبهم من الزمان، وبعضها الآخر يشير إلى المحدد منه، كما سنلاحظ أيضا أن هذه الألفاظ تتسع وتضيق دلالتها على أوقات الزمان المختلفة القصيرة والطويلة ونلاحظ كذلك أن بعض الألفاظ يشتجر بمفاهيم متباينة فى أذهان الجماعة العربية من ناحية، كما يتداخل بعضها فى علاقات الترادف من ناحية أخرى.

نستعرض فى هذا الفصل ألفاظ الزمان المبهم فى أربع مجموعات دلالية كما يلى:

المجموعة الأولى: الزمان، الدهر، الأبد، الأزل، السرمد، المسند.

المجموعة الثانية: الوقت، الحين، الأوان، العهد، الحقبة، العصر.

المجموعة الثالثة: المدة، الملاوة، البرهة، الفترة، الطور، التارة.

المجموعة الرابعة: العمر، الأمد، الأجل، القرن، الأمة، الطبقة.

١-١ الزمان: ينص المعجم على أن الزمان والزمن اسم للقليل من الوقت وكثيره، والجمع أزمن وأزمنة وأزمان، ومن قولهم: أزمن الشىء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمانا، وقولهم أيضا: لقيته ذات الزمين بضم الزاى أى فى ساعة لها أعداد، يريدون بذلك تراخى الوقت كقولهم: لقيته ذات العُويم أى من الأعوام [1].

كما ينص المعجم أيضا على أن الزمان يقع على الفصل من فصول السنة ومن ذلك قولهم زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد، كما يقع لفظ الزمان على المدة وولاية الرجل وما أشبه، يقولون زمان أبى بكر أو زمان عمر، جاء فى الحديث أنه ﷺ قال لعجوز تحفى بها فى السؤال: كانت تأتينا أزمان خديجة « أى مدة حياتها » [2] وفى حديث آخر: « إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب » [3] أراد ﷺ قرب انتهاء أمد الدنيا.

---

(١) اللسان زمن انظر ص (٩٠) من الدراسة.

(٢) (٣) النهاية ٢/٣١٤.

وقد ضربت الجماعة العربية المثل لكل شيء قديم طال عليه العهد فقالت: «طال الأبد على لبد»[1]، واستعملت العرب لفظ أبدًا ظرفا للزمان لاستغراق النفى أو الإثبات فى المستقبل واستمراره، تقول: لا أكلمه أبدًا أى من لدن تكلمت إلى آخر عمرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ (المائدة/٢٤)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: ٣٥).

١ - ٤ **الأزل**: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمان غير المحدد فى الماضى فى مقابل الأبد[2] فالأزل هو ما لا بداية له فى أوله كالقدم، والأبد ما لا نهاية له فى آخره كالبقاء، والأزلى أعم من القديم.

١ - ٥ **السرمد**: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمان المتعاقب أو دوام الزمان من ليل أو نهار، واللفظ مشتق من السرد بمعنى التوالى والمتابعة والاطراد، وزادوا الميم للمبالغة، ومن ذلك قولهم: ليل سرمد ونهار سرمد أى متوال[3] أو دائم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (القصص: ٧١)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٧٢).

١ - ٦ **المُسند**: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الدهر، فقالت لا آتيه يد الدهر ويد المسند أى لا آتيه أبدا[4].

١ - ٧ **الحرس**: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الدهر، فقالت أحرس بالمكان أى أقام به حرسا بسكون الراء، والمحروس من أتى عليه الحرس أى الدهر والجمع أحرس[5]، ومن ذلك قول امرئ القيس:

(١) الميدانى ٢/٢٨٠.
(٢) اللسان أزل.
(٣) اللسان سرمد.
(٤) اللسان سند المخصص ٩/٦٤.
(٥) اللسان حرس المخصص ٩/٦٤.

لمن طلل داثر آيه ... تقادم فى سالف الأحرس

وإلى جانب هذه الألفاظ التى تشير إلى الزمان المبهم أو الدهر نجد تعبيرات اصطلاحية تشير إلى هذه الدلالة ومن ذلك «الأزلم الجذع»[1] فى قولهم: لا آتيه الأزلم الجذع أى لا آتيه أبدا، وقولهم: أودى به الأزلم الجذع أى أهلكه، وقد قالوا أن تعبير الأزلم الجذع يعنى الصغير من الوعول والظباء لأنه لا يسقط لها سن فهى جذعان أبدا، وقد سموا به الدهر لأنه باق على حالة واحدة لا يتغير على طول أناة فهو جذع لا يسن، قال الأخطل:

يا بشر لو لم أكن منكم بمنزلة ... ألقى علىَّ يديه الأزلم الجذع

ومن هذه التعبيرات «سجيس عجيس»[2] فى قولهم: لا آتيه سجيس عجيس أى لا آتيه أبدا، والسجيس الماء الراكد لأنه آخر ما يبقى، وعجيس مأخوذ من قولهم: عجس بتشديد الجيم أى أبطأ ومن ذلك المعجوس بمعنى الناقة بطيئة المشى وقد قالوا ذلك لأن الدهر يتعجس أى يبطئ ولا ينفد أبدًا ومن ذلك قول الشاعر:

فأقسمت لا آتى ابن ضمرة طائعا ... سجيس عجيس ما أبان لسانى

كما قالوا أيضا: «سجيس الأوجس» والوجس الفزع الذى يقع فى القلب.

٢ - ١ **الوقت**: مقدار من الزمان محدد فى ذاته والجمع أوقات، والتوقيت تحديد الأوقات، تقول وقت الشيء يوقته جعل له زمنا يقع فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣)، أى مفروضات فى أوقات محددة، وكل ما قدرت له غاية فهو موقوت، تقول وقته ليوم كذا مثل أجلته[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر: ٣٧) والوقت المعلوم هنا يوم البعث، وقد ذكر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: ١٧)،

(١) اللسان جذع - زلم . انظر ص (٨٢، ٩٣، ٩٥) من الدراسة .
(٢) اللسان سجس ، عجس ، وحبس ، الأمثال لأبى عبيد ٣٨٢، المخصص ٩/٦٥ .
انظر أيضا المرزوقى الأزمنة والأمكنة فصل أسماء الدهر ٢٨٨/١ .
(٣) اللسان وقت، المرزوقى ١٣٩/١ .

يقول أبو هلال العسكرى فى تحديد دلالة اللفظ: « الوقت يدل على نقط معينة أو مواضع ثابتة فى خط الزمان الممتد، تقول: وقت انتصاف الليل، أو وقت انتصاف النهار، فالوقت واحد، وهو المقدر بالحركة الواحدة من حركات الفلك، وهو يجرى من الزمان مجرى الجزء من الجسم، فالزمان يساوى أوقاتا متوالية مختلفة وغير مختلفة لهذا يوصف الزمان بالقصر والطول ولا يوصف الوقت بذلك، فتبين من ذلك أن الوقت أو الأوقات فى علم الفلك عبارة عن نقط معينة من الزمان [1].

والميقات بمعنى الوقت كالميعاد بمعنى الوعد، قال بعضهم إن الميقات ما قدر فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشىء والجمع مواقيت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الشعراء: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

وقد استعمل اللفظ أيضا بدلالة المكان، فالميقات الموضع الذى يحرم منه المسلمون للحج والعمرة، ومن ذلك قولهم رابغ ميقات أهل مصر وذو الحليفة ميقات أهل المدينة [2].

٢ - ٢ **الحين**: يعنى قدرا مبهما من الزمان طويله وقصيره، تقول أحين بالمكان أقام به حينا، وحيَّن الشىء جعل له حينا، وجاء فى حديث الأذان: « كانوا يتحينون وقت الصلاة » أى يطلبون حينها [3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (الصافات: ١٧٤)، أى حتى تنقضى المدة التى أمهلوا فيها، الجمع أحيان وأحايين. يقول الأزهرى: الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان لقوله تعالى: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ (ابراهيم: ٢٥)، أى ينتفع بها فى كل وقت ولا ينقطع نفعها ألبتة، ويقول الفراء: الحين حينان: حين لا يوقف على حده وهو الأكثر، وحين محدود [4]، ويفصل لنا أبو

(١) أبو هلال العسكرى ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(٢) البحر المحيط ٥٩/٢ ، ٣٨٨/٤ . انظر ص (٤٢) من الدراسة .
(٣) اللسان حين النهاية ٤٧/١ .
(٤) اللسان حين .

حيان التوحيدى قول الفراء قائلا: « الوقت قدر من الزمان مفروض مميز من جملته، مشار إليه بعينه، وكذلك الحين هو مدة أطول من الوقت وأفسح وأبعد، وإنما تقترن أبدا هاتان اللفظتان بما يميزهما ويفصلهما من جملة الزمان الذى هو كل لهما، فيقال: وقت كذا أو حين كذا، فينسب إلى حال أو شخص أو ما أشبه ذلك، فإذا أريد بهما الإبهام لا الإفهام قيل: كان كذا أو يكون كذا فى حين أو وقت: فيعلم السامع أن المتكلم لم يؤثر تعيين الوقت والحين وهما لا محالة معنيان محصلان » [1].

وينقل لنا أبو حيان الأندلسى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ (إبراهيم: ٢٥)، بعض الأقوال التى تحدد الحين بقدر معين من الزمان فيقول: « ... الحين فى اللغة قطعة من الزمان، والمعنى تعطى جناها كل وقت وقته الله، قال ابن عباس: كل سنة، وقال جماعة من الفقهاء: من حلف أن لا يفعل شيئا حينا فإنه لا يفعله سنة، واستشهدوا بهذه الآية، وقيل ستة أشهر وهى مدة بقاء الثمر. قال ابن المسيب: شهران لأن النخلة تدوم مثمرة شهرين [2]، كما نجده يقول فى تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (يوسف: ٣٥) « الحين يدل على مطلق الزمان، والمعنى إلى زمان، ومن عيّن له منا زمانا مقداره سبع سنين فإنما كان باعتبار مدة سجن يوسف [3]، وهكذا نجد أن لفظ الحين كما يقول المرزوقى يدل على ما يتطاول من الزمان ويتقاصر، ويكون محدودا أو غير محدود أيضا [4] ».

٢ - ٣ **الأوان**: مثل الحين والزمان والجمع آونة مثل زمان وأزمنة ومن ذلك قولهم أوان البرد أى وقته، وجاء أوان التمر أى زمانه المختص به [5]، وقد قالت العرب: طلب أمرا ولات أوان »، يضرب المثل لمن طلب شيئا ثم فاته وذهب وقته [6]،

(١) الهوامل والشوامل ص ٣١ .
(٢) البحر المحيط ٤٤٢/٥ .
(٣) البحر المحيط ٥/ ٣٠٧ .
(٤) الأزمنة والأمكنة ٢٢٥/١ .
(٥) اللسان أون .
(٦) الميدانى ٢٨٨/٢ .

وجاء اللفظ في الحديث في قوله ﷺ: « ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري »[1].

وقد قالوا أيضا : فعل كذا آونة أي وقتا بعد وقت، أي يصنعه مرارا ويدعه مرارا، جاء في الحديث: « مر الرسول ﷺ برجل يحتلب شاة آونة، فقال دع داعي اللبن، يعني أنه يحتلبها مرة بعد مرة، وداعي اللبن ما يتركه الحالب منه في الضرع لا يستقصيه »[2].

٢ - ٤ العهد : يعني اللفظ الزمان غير المحدد، وقد يتحدد بالاقتران بصفة أو شخص وقيل إن العهد ما ذهب من الزمان، والمعهود ما كان بالأمس، والموعود ما يكون في الغد، ومن ذلك قولهم : طال عهده : أي طال زمانه [3]، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴾ (طه : ٨٦).

والعهيد القديم الذي أتى عليه زمن طويل، ومن أمثالهم : متى عهدك بأسفل فيك ؟! أي متى أثغرت ؟ يقولون ذلك إذا سأل أحدهم عن أمر قديم لا عهد به، ويضرب للأمر الذي فات ولا يطمع فيه [4].. ومثال ذلك أيضا قولهم : عهدك بالفاليات قديم، يضرب للأمر الذي فات وتعذر إدراكه، وأصله في الرأس لبعد عهده بالدهن والفلي [5][6].

٢ - ٥ الحقبة : يعني اللفظ مدة من الزمان مبهمة والجمع أحقاب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ (النبأ: ٢٣) أي أزمانا، والحقب بضم الحاء والقاف وضم الحاء وسكون القاف الدهر والأحقاب الدهور [7].

وقيل إن الحقب ثمانون سنة أو أكثر، قيل أيضا الحقبة السنة والجمع حقب،

(١) (٢) النهاية ٢٨٢/٢ ، ٢٨٢/١ .
(٣) اللسان عهد .
(٤) الميداني ٣٠٩/٣ ، ٣٨٢/٢ .
(٥) (٦) نلاحظ أن أكثر ما يستعمل لفظ العهد بدلالة الميثاق أو الاتفاق الذي يجب مراعاته .
(٧) اللسان حقب .

يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾ (الكهف: ٦٠) « .. الحقب السنون واحدها حقبة، قال الشاعر :

فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقيها   فإنك مما أحدثت بالمجرب

قال الفراء الحقب سنة.... قال ابن عباس : الحقب الدهر، وقال عبد الله ابن عمر وأبو هريرة: ثمانون سنة، وقال الحسن: سبعون، وقيل: سنة بلغة قريش، وقيل: وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة، والمعنى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين إلى أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات مجمع البحرين »[1] .

٢ - ٦ العصر : ينص المعجم على أن اللفظ يعني الدهر أو الزمان والجمع عصور وأعصر [2]، تقول أهل هذا العصر كما تقول أهل هذا الزمان، وتقول عاصرت فلانا أي كنت في عصره أي في زمان حياته، جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر ﴾ (العصر: ١، ٢) يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية: « العصر : قال ابن عباس : هو الدهر أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب، وقال قتادة : العصر العشي أقسم به كما بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة وقيل العصر اليوم والليلة، ومنه قول حميد بن ثور [3] :

ولن يلبث العصران يوم وليلة   إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقد جاء في الحديث: « حافظوا على صلاة العصرين، أي صلاتي الفجر والعصر، سميا بالعصرين لأنهما يقعان في طرفي العصرين وهما الليل والنهار [4].

٣ - ١ المُدَّة : قدر من الزمان طال أو قصر والجمع مدد، واللفظ مأخوذ من المد، وهو الطول، تقول مدَّ الله في عمره أي جعل حياته طويلة، ومن ذلك أيضا

(١) البحر المحيط ١٤١/٦ ، ١٤٤ .
(٢) اللسان عصر .
(٣) البحر المحيط ٥٠٩/٨ .
(٤) النهاية ٢٤٦/٣ .

قولهم رجل مديد أى طويل، والمد أيضا البسط والزيادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ (الرعد: ٣)، والمد أيضا الإمهال [١] ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٥).

٣ – ٢ **الملاوة** : قدر من الزمان طال أو قصر مثل المدة والبرهة بكسر وفتح وضم الميم ويقولون أيضا ملوة بكسر وفتح وضم الميم بمعنى مدة من العيش أو حين من الدهر، ويقولون كذلك مليٌّ فى مثل : مَـر مليٌّ من الدهر ومليٌّ من النهار ومليٌّ من الليل أى أطول ما فيه، الملوان : الليل والنهار، قال الشاعر [٢] :

نهـــار وليل دائم ملواهمــا ... على كل حـال المرء يخـتلفـان

ويقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤٦) انتصب مليا على الظرف أى دهرا طويلا، قاله الجمهور والحسن ومجاهد وغيرهما ومنه الملوان وهما الليل والنهار، والملاوة، الدهر الطويل يقولون أمليت لفلان فى الأمر: إذا أطلت له. قال سيبويه: سير عليه مليٌّ من الدهر أى زمان طويل » [٣]. يقول تملى العيش أى عاش واستمتع طويلا بالحياة، ومن أمثالهم، البس جديدًا وتمل حبيبا أى لتطل أيامك معه، أملى عليه الزمان أى طال عليه مأخوذ من الإملاء أى الإهمال والتأخير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٣)، وجاء فى الحديث: « إن الله ليملى للظالم » أى يمهله [٤].

٣ – ٣ **البُرهة** : ينص المعجم على أن اللفظ يعنى الزمان المبهم والطويل بضم الباء وفتحها، تقول أقمت عنده بُرهة أى مدة طويلة من الزمان [٥].

٣ – ٤ **الفترة** : ينص المعجم على أن اللفظ يعنى الزمان المعترض بين وقتين، وقيل إن الفترة هى الزمان بين كل نبيين، واللفظ مأخوذ من الفتر بمعنى السكون [٦]

(١) اللسان مدد .
(٢) اللسان ملو .
(٣) البحر المحيط ٦/١٩٥ .
(٤) النهاية ٤/٣٦٣ .
(٥) اللسان برد .
(٦) اللسان فتر .

يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ ﴾ (المائدة: ١٩)، الفترة هى الانقطاع، تقول فتر الوحى أى انقطع والفترة السكون بعد الحركة [١].

٣ – ٥ **الطَّوْر** : ينص المعجم على أن اللفظ يعنى الحال أو الحد بين الشيئين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (نوح: ١٤)، وقال الأخفش : طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة، وطورا عظما، والطور أيضا التارة، ومن ذلك قول النابغة [٢] :

تناذرها الراقون من سوء سمّها ... تطلقه طورًا وطورا تراجع

أى تارة بعد تارة أو وقتا بعد وقت.

٣ – ٦ **التَّارة** : يعنى اللفظ كما ينص المعجم المرة أو الكرة والجمع تارات، تقول أترث الشىء أى جئت به مرة بعد مرة، أو وقتا بعد وقت [٣]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (طه: ٥٥).

٤ – ١ **العُمر** : استعملت الجماعة العربية اللفظ للتعبير عن مدة عمارة البدن بالحياة، تقول عمر الرجل يعمر عمرًا وعمارة عاش وبقى زمنا طويلا [٤]، انظر قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ (الأنبياء: ٤٤)، وتقول أيضا عمَّره الله بالتشديد أى أبقاه زمنا طويلا انظر قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ ﴾ (فاطر: ١١) والتعمير إطالة العمر انظر قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس: ٦٨).

والمعمَّر الذى عاش طويلا، وقد سمت الجماعة العربية الرجل عَمْرا ومعمرا تفاؤلا ليبقى عمرا طويلا، كما أقسمت فقالت لعمرى ولعمرك بفتح العين أى وحياتى

(١) البحر المحيط ٣/٤٤٤ .
(٢) اللسان طور .
(٣) اللسان ثور .
(٤) اللسان عمر .

وحياتك ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ (الحجر: ٧٢) ودعت للرجل فقالت: عمَّرك الله أى أطال الله عمرك أو نشدتك بالله والعُمْرى بضم العين وسكون الميم ما يجعله الرجل للآخر طول عمره تقول أعمره الدار أى جعلها له يسكنها مدة عمره، فإن مات عادت إليه وقد أبطل الإسلام ذلك جاء فى الحديث: «لا تعمروا ولا ترقبوا فمن أعمر شيئا أو أرقبه فهو له ولورثته من بعده» [1].

٤ - ٢ الأمـد : يعنى اللفظ غاية الزمان كالمدى ومن ذلك قوله تعالى ﴿ تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾ (آل عمران: ٣٠) ، أى زمنا طويلا أو قديما، وقوله تعالى: ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ (الكهف: ١٢) كما يعنى اللفظ أيضا عمر الإنسان ومن ذلك قولهم للرجل : ما أمدك ؟ أى كم عمرك، ومن ذلك سؤال الحجاج للحسن البصرى: ما أمدك ؟ قال : سنتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه [2]، وقالوا أيضا: إن للإنسان أمدين : أحدهما ابتداء خلقه الذى يظهر عند مولده، والثانى منتهى أجله.

٤ - ٣ الأجـل : يعنى اللفظ غاية الزمان كالأمد والجمع آجال تقول أجل الشيء تأجيلا حدد له وقتا أو غاية أو آخره أيضا، فالأجل مدة الشيء انظر قوله تعالى: ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ (البقرة: ٢٣٥) أى حتى تنقضى مدة عدة المرأة، وقوله تعالى: ﴿ ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ (الحج: ٥) مدة ما يمكثه الطفل فى بطن أمه [3].

والأجل أيضا غاية الوقت ووقت العمل فى قوله تعالى: ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ﴾ (القصص: ٢٩)، ووقت الدين فى قوله تعالى: ﴿ إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، ووقت منتهى عمر الإنسان فى قوله تعالى: ﴿ هو

(١) اللسان عمر النهاية ٢٩٨/٣ .
(٢) اللسان أمد والنهاية ٦٥/١ .
(٣) اللسان أجل .

الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ﴾ (الأنعام: ٢)، يقول أبو حيان فى تفسير هذه الآية: للإنسان أجلان : طبيعى أو مسمى وهو الذى يبعد فيه الإنسان عن العوارض التى تقتله كالحرق والغرق حتى يستنفد مدة حياته، وأجل اخترامى : وهو الذى يتعرض فيه الإنسان لواحد من هذه العوارض فيقتل [1].

٤ - ٤ القـرن : يعنى اللفظ مقدارا من الزمان وقد اختلفوا فى هذا القدر، فقيل مدته عشر سنوات، وقيل عشرون سنة وقيل ثلاثون، وقيل ستون وقيل سبعون، وقيل ثمانون، وقيل القرن أربعون سنة بدليل قول الجعدى [2] :

ثلاثة أهلين أفنيتهم ... وكان الإله هو المستآسا

قال ذلك وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل القرن مائة سنة، وجمعه قرون جاء فى الحديث [3] : «أنه مسح على رأس غلام وقال: عش قرنا، فعاش مائة سنة» كما يعنى اللفظ أيضا أهل الزمان الواحد الذين يقترنون فى أعمارهم وأحوالهم. يقول الأزهرى : « إن القرن أهل كل مدة كان فيها نبى أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلت السنون أو كثرت. جاء فى الحديث: « خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم » [4] أى الصحابة ثم التابعين، ومن ذلك قول الشاعر [5] :

إذا ذهب القرن الذى أنت فيهم ... وخلفت فى قرن فأنت غريب

يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ (الأنعام: ٦): « القرن الأمة المقترنة فى مدة من الزمان ومنه خير القرون قرنى وأصله الارتفاع عن الشيء ومنه

(١) البحر المحيط ٧١/٤ .
(٢) اللسان قرن .
(٣) (٤) النهاية ٥١/٤ .
(٥) اللسان قرن .

قرن الجبل سموا بذلك لارتفاع السن وقيل هو من قرنت الشيء بالشيء جعلته بجانبه أو مواجها له فسموا بذلك لكون بعضهم يقترن ببعض، وقيل سموا بذلك لأنه جمعهم زمان له مقدار هو أكثر ما يقرن فيه أهل ذلك الزمان، ومدة القرن مائة سنة، قاله الجمهور، وقد احتجوا بقول الرسول ﷺ لعبد الله بن شبر: « عش قرنا، فعاش مائة سنة » [1].

٤ – ٥ الأمـة : يعنى اللفظ مقدارا من الزمان وينص المعجم على أن الأمة حين من الدهر قاله الفراء فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ (يوسف:٤٥) وقوله تعالى: ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ﴾ (هود: ٨)، يقول أبو حيان فى تفسير الآية الأولى: « ادكر أى تذكر ما سبق له مع يوسف، بعد أمة أى بعد مدة طويلة ويقول فى تفسير الآية الثانية: « الأمة الثانية هنا المدة من الزمان قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد والجمهور ومعناه إلى حين وقت معلوم ما يحبسه استفهام، قالوه وهو على سبيل التكذيب [2].

وكما رأينا القرن يعنى مقدارا من الزمان وأهل الزمان الواحد، نجد أيضا لفظ الأمة يعنى مقدارا من الزمان كما يعنى أيضا كل جيل من الناس، وينص المعجم على أننا يمكن أن نقول مضت أمة أو أمم من الناس كما تقول مضى قرن ومضت قرون [3]، وأمة كل نبى من أرسل إليهم ومن ذلك قولنا : أمة محمد ﷺ ومنه قوله تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم ﴾ (يونس: ٤٧) وقوله تعالى: ﴿ كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم ﴾ (الرعد:٣٠).

٤ – ٦ الطبقـة : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة جماعة من الناس المقترنين فى زمان معين، وقيل إن أمدها عشرون سنة [4] قال العباس فى مدح الرسول ﷺ :

(١) البحر المحيط ٢١٤/٥ .

(٢) البحر المحيط ٢٠٥/٥ .

(٣) اللسان أمم .

(٤) اللسان طبق .

تنقل من صلب إلى رحم   إذا مضى عالم بدا طبق

يقول ابن الأثير: « أراد إذا مضى قرن ظهر قرن آخر، وإنما قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتى طبق للأرض آخر، وكذلك طبقات الناس كل طبقة طبقت زمانها [1] [2].

كما استعملت الجماعة اللغوية اللفظ أيضا بدلالة جزء من الليل والنهار فقالت مضى طبق من النهار وطبق من الليل أى ساعة.

★ ★ ★

(١) النهاية ١١٣/٣

(٢) لاحظ أيضا أن هذا اللفظ أصبح مصطلحا لنوع معين من المصنفات التراثية تعرف باسم كتب الطبقات ومثال ذلك طبقات ابن سعد ، وطبقات الشعراء ، وطبقات الفقهاء وغير ذلك من المصنفات المعروفة للباحثين .

الفصـــل الثاني

ألفــاظ الزمـــان المحـــدد

استعرضنا في الفصل السابق الألفاظ الدالة على الزمان المبهم، ورأينا كيف تعددت هذه الألفاظ وتميزت بعلاقة الترادف فيما بينها كما نرى في ألفاظ الزمان والدهر، والأوان والحين، والمدة والملاوة، كما تميز بعضها باتساع وضيق الدلالة للتعبير عن الزمان طويله وقصيره، كما نرى في ألفاظ مثل العصر بمعنى الزمان المبهم أو الجزء من اليوم، والحقبة بمعنى الزمان المبهم أو السنة، والحين بمعنى الزمان المبهم أو الفصل.

وإذا كان الزمان قد تصوره الإنسان كما يشير إلى ذلك الفخر الرازي - متصلا واحدا، فإن هذا المتصل الواحد لا يمكن تحديده إلا بعد أن يتجزأ، وإنما تحصل التجزئة بأحداث فصول في ذلك المتصل [(١)]. إننا نجد المعجم العربي للجماعة العربية يمدنا بألفاظ مختلفة للتعبير عن أجزاء الزمان، وسنحاول في هذا الفصل استعراض الألفاظ التي عبرت بها الجماعة العربية عن أوقات الزمان المختلفة وتعكس مدى إحساسها بها.

يقول المرزوقي: « إن الأمم على اختلافها أولعت بالتوقيت بذي الليالي والأيام والشهور والأعوام لما يتعلق به من وجوه المعاملات والآجال المضروبة في التجارات والزراعات وآماد العمارات وتوجيه المعاش ومن اشتغال أرباب النحل بما افترض عليه عندهم من تقرب وعبادة » [(٢)]. لقد كانت الجماعة العربية من أكثر الأمم ولوعا بالزمان وإحساسا به، فقد كان لكل لحظة عندهم شأن في الحركة والإقامة وفي المرعى والتجارة وفي الحرب والأمان، إن مثل هذا الإحساس بالزمان لا تصوره

---

(١) المباحث الشرقية ٢/ ٦٧٥ .   (٢) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٤٣ .

كلمات فى لغة من اللغات التى نعرفها ولا نجده على صورة أدق من هذه الصورة التى سنراها.

يمكن أن نعرض لألفاظ الزمان المحدد فى خمس مجموعات دلالية كما يلى :

المجموعة الأولى: وتشتمل على ألفاظ السنة والعام والحول والحجة والحقبة ودلالتها.

المجموعة الثانية: وتشمل ألفاظ الفصل وأسماء الفصول ودلالاتها.

المجموعة الثالثة: وتشمل ألفاظ الشهر وأسماء الشهور ودلالتها.

المجموعة الرابعة: وتشمل الأسبوع وأسماء الأيام ودلالتها.

المجموعة الخامسة: وتشمل ألفاظ اليوم والنهار وأوقات الليل والنهار.

١ - ١ **السَّنة** : يعنى اللفظ مدة الزمان التى تقطع فيها الشمس الفلك ومقدارها اثنا عشر شهرا، وأصله سنة بوزن جبهة فحذفت لامها ونقلت حركتها إلى النون فبقيت سنة لأنها من قولهم سنهت النخلة وتسنهت إذا أتت عليها السنون[1]، وجاء فى الحديث أنه ﷺ نهى عن بيع السنين، وهو أن يبيع ثمر نخلة لأكثر من سنة[2]، نهى عنه لأنه غرر وبيع ما لم يخلق وفى رواية أخرى أنه نهى عن المعاومة، وجمع السنة سنون وسنوات وسنهات، ويقولون سانهه مسانهة ومساناة أى عامله بالسنة أو استأجره قدر سنة، ويقولون أيضا سانهت النخلة أى حملت سنة ولم تحمل الأخرى وهى سنهاء.

كما سبق أن عرفنا أن السنة تعنى الجدب فى معجم الجماعة العربية، وقد جاء فى الحديث: « اللهم أعنى على مضر بالسنة »[3] أى بالجدب يقولون أخذتهم السنة إذا أجدبوا وقحطوا، وفى حديث حليمة السعدية : خرجنا نلتمس الرضعاء بمكة فى سنة سنهاء[4]، أى لا نبات بها ولا مطر، وهى لفظة مبنية من السنة كما

(١) اللسان سنه .
(٢) النهاية ٢/ ٤١٤ .
(٣) النهاية ٢/ ٤١٤ .
(٤) النهاية ٢/ ٤١٤ .

يقال ليلة ليلاء، ويوم أيوم، ونجد المعجم ينص على أن العرب تقول سنة جديبة، وعام خصب لقوله تعالى: « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات » (الأعراف:١٣٠) وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يوسف: ٤٩). ولكن قد وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضا فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ (يوسف : ٤٧) .

يذهب بعض اللغويين مثل المرزوقى إلى أن العام أقل أياما من السنة[1]، لأن العرب تقول فى طول الزمان جرت عليه سنون، لأن السنين أطول من الأعوام، فتقول مثلا بلغ فلان أربعين سنة فتذكر السنين بدلا من الأعوام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ (الأحقاف : ١٥)، وقوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت:١٤)، ولكننا نجد أيضا استعمال لفظ العام للتعبير عن السنين الطويلة[2]، فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ (البقرة : ٢٥٩) كما يقول المرزوقى أيضا إذا أردنا أن نخبر عن اكتمال الإنسان وتمام قوته واستوائه، فإن لفظ سنة أولى بهذا، فنقول سن فلان كذا وأصل ذلك السن فى الحيوان الذى يرتبط بالسنة الشمسية[3] لأن النتاج والحمل له يكونان فى الربيع والصيف حتى قيل ربعى للبكر وصيفى للمتأخر »[4].

يرى أبو هلال العسكرى مثل المرزوقى أن السنة أطول من العام، فالعام جمع أيام والسنة جمع شهور فيقول : « ألا ترى أنه لما كان يقال أيام الزنج قيل عام الزنج ولم يقل شهور الزنج، ولم يقل سنة الزنج ويجوز أن يقال: العام يفيد كونه وقتا لشئ والسنة لا تفيد ذلك، لهذا يقال عام الفيل ولا يقال سنة الفيل، ويقال فى التاريخ سنة مائة وسنة خمسين، ولا يقال عام مائة وعام خمسين لأنه ليس وقتا لشئ مما ذكره هذا العدد... » ورغم ذلك يقرر أبو هلال أن العام هو السنة، والسنة هى العام وإن اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر »[5]، كما يقول المرزوقى والصحيح

(١) ربما قالوا ذلك لارتباط السنة بدورة الشمس ومدتها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات وارتباط العام بدورة القمر ومدتها ٣٥٤ يوما و٨ ساعات .
(٢) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٦٣ .
(٣) انظر هامش ٢ ص ٧٠ من الدراسة .
(٤) انظر ص (١١٣) من الدراسة .
(٥) الفروق فى اللغة ٢٦٤ .

أنهما اسمان موضوعان على مسمى واحد» [١].

١ - ٢ العـــام : اللفظ مصدر كالعوم وقد سمت به الجماعة العربية هذا المقدار من الزمان لأنه عومة من الشمس فى الفلك والعوم كالسبح لأن الأفلاك تجرى وتسبح فى برجها [٢]، انظر قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٣)، وألفه منقلبة عن واو لقولهم العويم والأعوام، والعام على هذا كالقول والقال [٣] قالت العرب عاومه معاومة وعواما عاملة بالعام أو استأجره قدر عام، كما قالت سانهت النخلة قالت أيضا عاومت بمعنى حملت عاما ولم تحمل آخر ويقولون لقيته ذات العويم، أى لدن ثلاث سنين مضت أو أربع كما يقولون لقيته ذات الزمين أى منذ ثلاثة أزمان أو أعوام [٤].

ومن العام اشتقوا المعاومة بمعنى أن تبيع زرع عامك أو ثمر نخلك أو شجرك لعامين أو ثلاثة وجاء فى الحديث : نهى عن بيع النخل معاومة [٥]، وقال بعض اللغويين: إن المعاومة أن يحل دينك على رجل فتزيده فى الأجل ويزيدك فى الدين.

١ - ٣ الحول : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة السنة أو العام، واللفظ مشتق من الحول بمعنى التغير [٦]، تقول حال الشىء يحول تغير بنفسه، وحولت الشىء فتحول غيرته بنفسك، وجاء فى الحديث: « أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال » أى غيرت ثلاث تغييرات أو تحويلات [٧] وقد سمت الجماعة العربية السنة بهذا الاسم باعتبار انقلابها وتغيرها بدورة الشمس، فقالت: حالت السنة تحول كما قالت: حالت الدار بمعنى تغيرت أو أتى عليها الحول، أى العام أو السنة، وقالت أيضا أحولت بالمكان وأحلت أقمت حولا، وأحال الرجل بالمكان وأحول أى أقام حولا، انظر قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ (البقرة : ٢٤٠) أى لزوجة المتوفى السكنى والنفقة سنة كاملة فى ماله ما لم

(١) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٦٣ .

(٢) انظر ص ٦١ من الدراسة .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٨٥ .

(٤) اللسان عوم ومفردات الراغب .

(٥) النهاية ٣ / ٣٢٣ .

(٦) اللسان حول ومفردات الراغب .

(٧) النهاية ١/ ٤٦٣ .

تخرج برأيها وقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة : ٢٣٣)، ويقولون أحول الصبى فهو محول أى أتى عليه حول من مولده، ومن ذلك قول امرئ القيس [١] :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذى تمائم محول

كما يقولون نبت حولى، وجمل حولى أى أتى عليه العام والأنثى حولية والجمع حوليات.

١ - ٤ الحِجَّة : استعملت الجماعة العربية اللفظ بكسر الحاء بدلالة السنة، وقد جاء فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ (القصص : ٢٧) واللفظ مأخوذ من الحج بكسر الحاء بمعنى عمل السنة، تقول حججت فلانا إذا أتيته مرة بعد مرة، وقالوا حج البيت بفتح الحاء لأن الناس يقصدونه كل سنة ولهذا سمت الجماعة العربية السنة حجة والجمع حجج [٢].

١ - ٥ الحقْبة : ينص المعجم على أن هذا اللفظ من الألفاظ التى استعملتها الجماعة العربية بدلالة السنة، وقال بعض اللغويين مثل ثعلب: إنها لغة قيس خاصة [٣]، وقال الفراء: إنها لغة قريش، فالحِقبة بكسر الحاء السنة والجمع حقب بكسر الحاء وفتح القاف وبضم الاثنين، وبهذا فسر بعضهم لفظ الحقب فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف: ٦٠)، بالسنين جمع سنة، ومن ذلك قول الشاعر [٤] :

فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقها ... فإنك مما أحدثت بالمجرب

ونجد اللفظ يشتجر مع لفظ الحقب بفتح الحاء والقاف بدلالة الحزام أو الحبل الذى يشد به حقوا البعير، والحقاب بمعنى الحزام الذى تشد به المرأة الحلى حول وسطها، والحقبة بمعنى الوعاء الذى يجعل الرجل فيه زاده [٥]، وكأن الجماعة

(١) الزوزنى شرح المعلقات السبع ١٢ .

(٢) اللسان حول .

(٣) اللسان حجج والمخصص ٩ / ٦٦ .

(٤) اللسان حقب المخصص ٩/ ٦٦ .

(٥) البحر المحيط ٦/ ١٤١ ، ١٤٤ .

العربية قد رأت فى الحقبة امتداد الأيام وتسلسلها خلال السنة، أو امتداد أو اتصال السنين على من قال إن اللفظ يعنى مدة طويلة من الزمان قدرها بعضهم بثمانين أو أنها رأت الحقبة بمعنى الظرف أو الوعاء الذى يتم فيه الحديث.

٢ - ١ الفصل : استعملت الجماعة العربية اللفظ لتمييز أوقات السنة التى يكون فيها الحر والبرد وما بينهما، وهو مشتق من الفصل بمعنى التفريق أو التمييز بين الشيئين [١]، وقد ذهب إلى ذلك بعض اللغويين قائلا : سمى الفصل فصلا لانفصال الحر من البرد وانقلاب الزمن الذى قبله والجمع فصول [٢].

٢ - ٢ الفَصْية : استعملت الجماعة اللغوية اللفظ بفتح الفاء وسكون الصاد بدلالة الخروج من حر إلى برد ومن برد إلى حر [٣]، يقول المرزوقى: إن الفصية تصلح فى كل أوقات السنة ومتى خرجت من أذى إلى رخاء فتلك فصية، ولا تستعمل الفصية إلا فى حينه [٤]، ويذهب الأصمعى إلى أن الفصية هى أن تخرج من برد إلى حر، ويقال أفصى القوم وهم مفصون ويذكر ابن الأعرابى قولهم أفصى عنك الشتاء وسقط عنك الحر، ومن أمثالهم عن الرجل يكون فى غم فيخرج منه قولهم: أفصى علينا الشتاء.

وقد كانت العرب تقول أيضا اتقوا الفَصْيَة وهى الخروج من برد إلى حر ومن حر إلى برد، وكما ذكر المرزوقى أن الفصية تصلح لكل أوقات السنة وإن كان بعض اللغويين قد خصصها بالخروج من البرد إلى الحر واللفظ مأخوذ من قولهم فصى الشئ فصيا فصله، ومن هذا قولهم فصى اللحم عن العظم إذ أخلصه ومنه الاسم فصية، ونلاحظ أن لفظى الفصل والفصية يتفقان فى دلالة الخروج من حالة إلى أخرى كما يشتجران فى لفظ ثالث وهو الفصم بمعنى القطع وهى دلالة تتفق مع دلالة التفريق فى الفصل والتخليص فى الفصى [٥].

---

(١) اللسان فصل .

(٢) المرزوقى ١/ ١٧٧ .

(٣) اللسان فصى .

(٤) المرزوقى ١/ ١٧٨ .

(٥) اللسان قصى .

٢ - ٣ الشتاء : قسمت الجماعة العربية كغيرها من الجماعات الإنسانية السنة إلى أربعة فصول الشتاء والربيع والصيف والخريف، ومدة كل فصل ثلاثة أشهر [١]، إلا أن فصلى الشتاء والصيف كانا أبرز الفصول وأوضحها فى بيئتهم الصحراوية ولا سيما فصل الصيف الذى يعتبر أطول الفصول وهذا هو الذى دفع الجماعة العربية. كما تذكر بعض كتب الأنواء إلى تقسيم السنة إلى نصفين أو فصلين الشتاء والصيف [٢].

تذكر كتب الأنواء أن الجماعة العربية قد بدأت فصول السنة بالشتاء وقدمته على الصيف، وينقل المرزوقى عن أبى حنيفة فى كتابه الأنواء علة ذلك قائلا: « ...زعم بعضهم أنهم إنما قدموا الشتاء على الصيف لأنه ذكر، وأن الصيف أنثى، ولم يذكروا علة تذكير الشتاء و تأنيث الصيف، ولا أظنه لقسوة الشتاء وشدته ولين الصيف وهونه، ألا ترى أنه من عادتهم أن يذكروا كل صعب من الأمور قاس شديد حتى قالوا داهية مذكار وإن كانت أنثى، وحتى قالوا أرض مذكار إذا كانت ذات مخاوف وإفزاع » [٣]، ويذكر المرزوقى تعليلا آخر فيقول « ويذكر غيره من تعليل تذكير الشتاء أقرب منه وهو لما كان إدراك الثمار فى الربيعين ووضع الأحمال من الملاقيح ونتائج الخير فى أصناف المعاش من الزرع والضرع فى الصيف فأشبهت ما فى بطون الحاملات فجعلوا الشتاء ذكرًا والصيف أنثى [٤].

كما يعلل المرزوقى أيضا تقديم الجماعة العربية للشتاء على الصيف لاعتمادها على مبادئ الأقوات فيه ولأن أوائل النماء فى العالم منه، ويشهد على ذلك تقديم الله تعالى الشتاء على الصيف حين ذكر رحلتى قريش للتجارة وامتن عليهم بما مكن لهم فى النفوس من الإجلال والمهابة لكونهم قطان الحرم وأرباب

---

(١) انظر ص (٦٨) من الدراسة .

(٢) يذكر ابن الأجدابى أن العرب قسمت السنة نصفين شتاء وصيفا ، ثم قسمت الشتاء على ثلاثة والصيف على ثلاثة فتكون السنة كلها ستة أزمنة ثلاثة للشتاء وثلاثة للصيف يسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه فأول أزمنة الشتاء الثلاثة الوسمى ثم الشتاء ثم الربيع وكلها شتاء وأول أزمنة الصيف الثلاثة الصيف بتشديد الياء ثم الحميم ثم الخريف وكلها صيف .

انظر الأزمنة والأنواء ٩٧ ، والأزمنة والأمكنة ١/ ١٦٥ وص (٥٨، ٥٩، ١٤٤) من الدراسة .

(٣) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٦٨ . (٤) المصدر نفسه ١/ ١٦٩ .

الأشهر الحرم حتى أمنوا الزمان وكانت العرب تقول: من غلب سلب [1]، فقال تعالى: ﴿لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ (قريش: ١، ٢).

وإذا كانت الجماعة العربية قد ذكرت الشتاء لشدته وقسوته، فقد سمت القحط شتاء لأن المجاعات أكثر ما تصيبهم فى الشتاء البارد، قال الحطيئة [2]:

إذا نزل الشتاء بدار قوم   تجنَّب جار بيتهم الشتاء

أراد الحطيئة بالشتاء هنا المجاعة، يقال أشتى القوم فهم مشتون إذا أصابتهم مجاعة ومن ذلك حديث أم معبد « وكان القوم مرملين مشتين » [3]، المرمل اللاصق بالرمل، والمشتى الذى أصابته المجاعة، وقد أرادت أم معبد أن تقول أن الناس كانوا فى أزمة ومجاعة، وقد كانت العرب كما ذكرنا تجعل الشتاء مجاعة لأنهم كانوا يلزمون فيه البيوت ولا يخرجون للانتجاع، كما كانت تسمى الكريم منهم مأوى المحتاجين ومطعم الشتوات. ونجد هذه الدلالة فى شعر الهذليين فى هذه الأبيات [4]:

يا عين فابكى المالكين أوَّلْ   فوارس الأضائف المحولْ

المطعمين فى الشتاء الأطحل   والأزمات والزمان المعُضِل

مطاعيمُ للضيف حين الشتاء   شُمُّ الأنوف كثيرو والفجْر

وقد قالت الجماعة العربية أشتينا أى دخلنا فى الشتاء، كما قالت أصفنا أى دخلنا فى الصيف، والنسبة إلى الشتاء شتوى مثل صيفى والشتوة مصدر شتا بالمكان شتوا، وشتوة للمرة الواحدة كما تقول صاف بالمكان صيفا، وصيفة واحدة، كما قالت أيضا شتى وتشتى بالمكان أقام به فى الشتوة، وقالت : شتا الشتاء يشتو ويوم شاتٍ [5].

وكا ارتبط الصيف بالحر وسموه قيظا ارتبط الشتاء بالبرد وسموه قرا بضم القاف فقالوا هذا يوم ذو قر ويوم مقرور وقار، وليلة قرة وقارة أى باردة، وفى حديث

(١) المصدر نفسه ١/ ١٦٤ .
(٢) اللسان شتا .
(٣) النهاية ٢/ ٤٤٣ .
(٤) شرح أشعار الهذليين ١/ ١١٨، ٢/ ٨٦٠ .
(٥) اللسان شتو .

أم زرع « لا حر ولا قر » [1] أرادت لا ذو حر ولا ذو برد فهو معقول. أردات بالحر والبرد الكناية عن الأذى، فالحر قليله والبرد كثيره، وقد قالت العرب للرجل تدعو له: قرت عينك، أى برد الله دمع عينك وأن القرور هو الدمع البارد يخرج من العين فرحا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فكُلي واشربي وقَرِّي عينًا﴾ (مريم: ٢٦).

٣- ٤ الصيف : هو نصف السنة الثانية لدى الجماعة العربية وربع من أرباع السنة لدى غيرها، وقد كان من أبرز الفصول وأوضحها فى بيئتها الصحراوية، كما كان من أطولها أيضا، ولهذا قالوا أصاف الرجل فهو مصيف إذا تزوج وأنجب وهو كبير، وقالوا لولد الرجل الذى ينجبه فى كبره صيفى والجمع صيفيون، أما إذا تزوج وهو شاب فولده ربعى والجمع ربعيون قال الشاعر [2]:

إنَّ بنى صبية صيفيون   أفلح من كان له ربعيون

كما ارتبط الصيف فى ذهن الجماعة العربية بالنتاج واللقاح فقالت : فى الصيف ضيعت اللبن : لمن طلب شيئا فى غير وقته وقد خصوا الصيف لأن الألبان تكثر فيه [3].

قالوا أصاف القوم دخلوا زمان الصيف، كما قالوا أشتوا دخلوا فى زمان الشتاء، وقالوا يوم صائف وليلة صائفة، وقالت صاف بمكان كذا، أقام فيه الصيف فهو صائف، وقالت أيضا تصيف مثل تشتى، واصطاف كذلك، والمصيف والمصطاف الموضع الذى يصيف أو يصطاف فيه [4].

والصيف أيضا المطر الذى يأتى فى الصيف، والواحد صيفة، قال الهذلى [5]:

ولقد وردت الماء لم يشرب به   بين الربيع إلى شهور الصيف

وكما ارتبط الشتاء بالبرد وسموه قرا ارتبط الصيف بالحر وسموه قيظا والقيظ صميم الصيف، ومن ذلك قولهم قاظ يومنا أى اشتد حره وفى الحديث:

(١) النهاية ٤ / ٣٨ .
(٢) اللسان صيف .
(٣) الميدانى ٢/ ٤٣٤ .
(٤) اللسان صيف .
(٥) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٨٥ .

«سرنا مع رسول الله ﷺ فى يوم قائظ » [٢] أى شديد الحر، قالوا قاظ وقيظ واقتاظ بمكان كذا أقام زمن قيظه والمقيظ اسم المكان الذى يقام فيه وقت القيظ مثل المصيف.

ونجد الجماعة العربية تكنى عن الخير والسهولة بالبرد، وتكنى عن الشدة والشر بالحر، ومن ذلك ما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن مسعود: « بلغنى أنك تفتى ولِّ حارها من تولى قارها » [٢] أى ولِّ شرها من تولى خيرها وولِ شديدتها من تولى سهولتها، والحر عكس القر وكما قالت الجماعة العربية فى الدعاء للرجل «قرَّ الله عينه » قالت فى الدعاء عليه « أسخن الله عينه »، لأن دموع الفرح باردة، ودموع الحزن ساخنة، كما اشتقت من الحر تعبير استحر القتل أى اشتد [٣].

٢ - ٥ الربيع : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للشهور والفصل وتذكر بعض كتب الأنواء أنها تجعل زمان الشتاء نصفين، فصل الشتاء أوله والربيع آخره، كما تجعل زمان الصيف نصفين فصل الصيف أوله والقيظ آخره، كما تذكر أيضا أن بعض العرب تسمى الشتاء الربيع الأول والصيف الربيع الآخر [٤].

وكما سمت الجماعة العربية المطر الساقط فى الصيف صيفا سمت أيضا المطر الساقط فى هذا الزمان ربيعا، يقول الأزهرى : السنة أربعة أزمنة الربيع الأول وهو عند العامة الخريف ثم الشتاء ثم الصيف وهو الربيع الآخر ثم القيظ وهذا كله قول العرب فى البادية، وقد سمعت العرب تقول لأول مطر يقع بالأرض أيام الخريف ربيعا، ويقولون إذا وقع ربيع بالأرض بعثنا الرواد وانتجعنا مساقط الغيث، وسمعتهم يقولون للنخيل إذا خرفت وصرمت: قد تربعت النخيل، قال إنما سمى فصل الخريف خريفا لأن الثمار تخترف فيه وسمته العرب ربيعا لوقوع أول المطر فيه [٥]، ويذكر ابن الأجدابى أن العرب تسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه، فأول أزمنة الشتاء الثلاثة الوسمى ثم الشتاء ثم الربيع وكلها شتاء وأول أزمنة الصيف الثلاثة الصيف ثم الحميم ثم الخريف وكلها صيف » [٦].

(١) النهاية ٤/ ١٣٢ .
(٢) النهاية ٤/ ٣٨ .
(٣) اللسان حر .
(٤) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٧٠ ، المخصص ٩ / ٧٩ .
(٥) اللسان ربع .
(٦) الأزمنة والأنواء ٩٧ .

قالت العرب أربع القوم دخلوا فى الربيع أو إذا صاروا إلى الريف والماء، وقالت تربع القوم المكان وارتبعوه أقاموا فيه زمن الربيع، أربع القوم أقاموا فى المربع، والمربع المنزل الذى ينزل فيه الإنسان زمن الربيع مثل المصيف، والمرتبع المكان أيضا [١].

وقالت العرب لأول كل شىء ربعى، فالربعى الولد يولد لأبيه فى شبابه عكس الصيفى، كما قالت ناقة مربع ومرباع التى تبكر فى النتاج أو تلد فى هذا الزمن [٢]، والربيع أيضا الجدول أو النهر الصغير، وجاء فى حديث المزارعة « ويشترط ما سقى الربيع والأربعاء » الربيع النهر الصغير والأربعاء الجمع، وفى الحديث أيضا أنه ﷺ عدل إلى الربيع فتطهر » [٣].

ولما كان الربيع من الأزمنة التى يرتاح فيها قلب الإنسان ويميل إليها، فإننا نجد فى حديث الدعاء قوله ﷺ: « اللهم اجعل القرآن ربيع قلبى » [٤].

٢ - ٦ الخريف : سمت الجماعة العربية هذا الفصل من السنة بالخريف لأنه تخرف فيه الثمار أى تجتنى، والخارف الذى يخرف الثمار أى يجتنيها وهو من آخر الصيف وأول الشتاء [٥]، وتذكر بعض كتب الأنواء أن العرب لم تذكر الخريف فى الأزمنة لأن الخريف عندها اسم الأمطار آخر الصيف، وقد سمى هذا الزمان به، وقد سبق أن أشرنا إلى أن بعض العرب يجعل أزمنة الصيف ثلاثة : صيف وحميم وخريف، وتقسم أزمنة السنة طبقا للمطر إلى ستة أقسام أو فصول مدة كل منها شهران [٦]، قال أبو زيد اللغوى « أول المطر الوسمى ثم الشتوى ثم الربعى ثم الصيفى ثم الحميم ثم الخريف. يقول الأصمعى : أول ماء المطر فى إقبال الشتاء اسمه الخريف وهو الذى يأتى عند صرام النخل، ثم يليه الوسمى وهو أول الربيع وهذا عند دخول الشتاء، ثم يليه الربيع ثم الصيف ثم الحميم لأن العرب تجعل السنة ستة أزمنة [٧].

(١) اللسان ربع .
(٢) اللسان ربع .
(٣) النهاية ٢/ ١٨٨ .
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٨٨ .
(٥) اللسان خرف .
(٦) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٧٠ ، المخصص ٩ / ٧٩ .
(٧) اللسان خرف .

قالت العرب أخرفوا بالمكان أقاموا به خريفهم والمخرف موضع إقامتهم ذلك الزمن، وجاء فى حديث عمر ﷺ : « إذا رأيت قوما خرفوا فى حائطهم » [١]، أى أقاموا فيه وقت اختراف الثمار وهو الخريف، كقولك صافوا وشتوا : إذا أقاموا فى الصيف والشتاء، وأما قولهم أخرف مثل أصاف وأشتى يعنى دخل فى هذه الأوقات.

والمخــرف الناقــة التى تنتج فى الخــريف تقــول أخــرفت الناقــة ولدت فى الخريف، والمخرف جنى النخل خاصة وثمارها تقول خرفت النخلة أخرفها خرفا جنيت ثمارها » [٢].

ويبدو أن الجماعة العربية قد استعملت اللفظ أيضا بدلالة العام أو السنة جاء فى الحديث : « فقراء أمتى يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا » يقول ابن الأثير « الخريف الزمان المعروف من فصول السنة ويراد به هنا «أربعين سنة» لأن الخريف لا يكون فى السنة إلا مرة واحدة فإذا انقضى أربعون خريفا فقد مضت أربعــون سنة، وجــاء فى الحــديث أيضــا : « مــا بين منكبى الخــازن من خــزنة جهنم خريف» أى مسافة تقطع ما بين الخريف إلى الخريف [٣].

٣ - ١ الشَّهْر : اللفظ مصدر قولهم شهر الشىء أو الأمر يشهره أظهره وذكره وعرفه، ومن ذلك قولك أشهرت السيف من غمده أى أظهرته، استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة العدد المعروف من الأيام التى يكون مبدؤ الهلال فيها خافيا إلى أن يستسر ثم يعود خافيا مرة أخرى وكأنها كانت تنظر إلى الهلال فتشهره ولذلك سمى الشهر شهرا لشهرته وبيانه أو لأن الناس يشهرون دخوله وخروجه والجمع أشهر وشهور.

وقد سمت الجماعة العربية هذا العدد المعروف من الأيام التى تكون جزءا من اثنى عشر جزءا من أجزاء أو أقسام السنة: شهرا باسم الهلال يقولون هل الشهر وهل الهلال، انظر قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة : ١٨٥) أى من

(١) النهاية ٢/ ٢٥ .

(٢) اللسان خرف .

(٣) النهاية ٢ / ٢٤ .

شهد هلال شهر رمضان، وجاء فى الحديث: « إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غمّ عليكم فصوموا ثلاثين يوما » [١]، ومن ذلك أيضا قول الشاعر [٢]:

أخــوان من نجــد على ثقــة ... والشــهــر مــثل قــلامــة الظفــر

حــتى تكامل فى اســتــدارته ... فى أربع زادت على عـــشـــر

والهلال غرة القمر حتى يهله الناس، ويسمى القمر هلالا إلى أن يبهر ضياؤه سواد الليل والجمع أهله ويكون ذلك لليلتين أو ثلاث فى أول الشهر، ولليلتين أو ثلاث لآخر الشهر، ويسمى ما بين ذلك قمرا [٣].

وقيل قد سمى الهلال هلالا لارتفاع الأصوات عند رؤيته، ومن ذلك قولهم: استهل الصبى رفع صوته وصاح لدن ولادته، ومن ذلك أيضا الإهلال بالحج أى رفع الصوت بالتلبية أو من رفع الصوت بالتهليل عند رؤية الهلال، ولما كان أصل الإهلال رفع الصوت سمى كل رافع صوت « مُهلّ »، ولقد كانت الجماعة العربية على ما يبدو تعلق بداية الشهر بالاهلال أى الصياح [٤].

لقد كان الهلال هو المقياس الذى سارت عليه الجماعة العربية لتعيين أوائل الشهور وتنظيم أحوال معاشهم، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة : ١٨٩) « ... سأل أحدهم الرسول ﷺ ما

(١) اللسان شهر ، صحيح مسلم ٣/ ٣٨ ط الشعب .

(٢) القرطبى ٢ / ٢٩٣ .

(٣) لا يزال اسم القمر فى بعض اللغات يعنى الشهر فلفظ Month فى الإنجليزية مشتق من اللفظ moon أى القمر ، كما نجدُ فى اللغتين الفارسية والتركية لفظى Ay, mah بمعنى الشهر أو القمر ، انظر عبد الحق فاضل تاريخهم من لغتهم ص ١٢٥ .

(٤) كان الرومان يبداون كل شهر برؤية القمر الجديد يوم ظهوره فى شكل هلال رفيع فى السماء الغربية بعد غروب الشمس مباشرة ومن يوم بزوغ قمر جديد إلى القمر التالى له ، وكما نجد أن لفظ الشهر فى الإنجليزية مشتق من لفظ القمر نجد لفظ التقويم Calendar فى الإنجليزية مشتقا من اللفظ اليونانى Kalend الذى يعنى ينادى أو يصيح وهى العبارة التى كان يبدأ بها منادى المدينة فى روما ليعلن بداية الشهر ومتى سيكون يوم السوق . انظر كيث ابروين ٣٦٥ يوما قصة التقويم ص ٣ - ٤ ترجمة سعد الدين صبور / ط دار النهضة العربية ١٩٦٥ . وجورج سارتون تاريخ العلم ٥/ ١٨٨ ، ٢٢٦ .

بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد ثم يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة... لا يريد بذلك السؤال عن ذات الأهلة بل عن حكمة اختلاف أحوالها وفائدة ذلك فقال سبحانه: قل هى مواقيت للناس، ولو كانت على حالة واحدة ما حصل التوقيت بها وهذه هى الحكمة فى زيادة القمر ونقصانه إذ هى كونها مواقيت فى الآجال، والمعاملات، والعدد، والصوم، والفطر، ومدى الحمل والرضاع، والنذور المعلقة بالأوقات، وفضائل الصوم فى الأيام التى لا تعرف إلا بالأهلة وقد ذكر تعالى هذا المعنى فى قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥)، والوقت الزمان المفروض للعمل ومعنى مواقيت الناس أى ما يتعلق بهم من أمور ومعاملات »[1]، كما يذكر القرطبى فى تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة:١٨٥)، اعتبر الإسلام رؤية الهلال شهادة على بداية الشهر الجديد وبها يحكم بحلول الشهر، إلا أن بعض الفقهاء يرى أن هذه الرؤية أو الشهادة لا تقبل إلا من شاهدين، وقال الشافعى فإن لم تر العامة هلال شهر رمضان ورآه رجل عدل رأيت أن أقبله للأثر والاحتياط قال بعض أصحابنا : لا أقبل عليه إلا شاهدين ويرى بعض الفقهاء أنه يعول على الحساب عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها لقوله ﷺ: فإن اغم عليكم فاقدروا له : أى استدلوا عليه بمنازله وقدروا إتمام الشهر بحسابه »[2].

وقد كانت الجماعة العربية تقيس أوقات الزمان بالليالى الذاهبة فى دورة القمر الشهرية فقالت: لثلاث خولن من شهر كذا ولخمس خلون من شهر كذا، وقالت لليلة الإهلال غرة كذا، ولم تقل لليلة خلت إلا من الغد.

٣ - ٢ عرفت الجماعة العربية مثل المجتمعات الإنسانية الأخرى التقسيم الاثنى عشرى لشهور السنة انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

(١) البحر المحيط ١ / ٦٢ .   (٢) القرطبى ٢/ ٢٩٤ .

فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (التوبة : ٣٦)، نلاحظ أن هذه الآية قد أشارت إلى أربعة أشهر مقدسة لا تنتهك فيها الحرمات ويتوقفون خلالها عن البغى والإعتداء فيما بينهم، وهذه الأشهر منها ثلاثة متواليات هى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وشهر منفرد وهو رجب، ويذكر بعض اللغويين أن المحرم لم يكن يعرف بهذا الاسم فى الإسلام وقد كانت الجماعة العربية تسميه صفرا، ولذلك كان فى التقويم صفران، صفر الأول وصفر الآخر، وقد كان لديهم شهران باسم جمادى، وشهران باسم ربيع [1]، وقد جاء ذلك فى شعر الهذلى [2] :

أقامت به كمقام الحنيف ... شهرى جمادى وشهرى صفر

بها أبلت شهرى ربيع كليهما ... فقد مار فيها نسؤها واقترارها

كما تذكر بعض المصادر أنه كان من عاداتهم تأخير المحرم إلى صفر فى تحريمه ليكون شهرًا حراما، و نلاحظ أن لدخول «أل» أداة التعريف على المحرم أهمية فى تثبيت هذا الشهر، وكما نجد للفظ المحرم دلالة دينية وصفت بها الأشهر الحرم لأن كل شهر منها قد حرم فيه الاعتداء، وقد جاء فى الحديث أن اليهود وأهل خيبر كانوا يقدسون العاشر منه ويتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم، كما كانوا يصومونه، وقد أقر التشريع الإسلامى صيام هذا اليوم وقد صامه الرسول ﷺ مع المسلمين وجاء فى الحديث: « لئن بقيت إلى قابل لأصومن تاسوعاء » أى اليوم التاسع من محرم مع العاشر منه، ربما قال ذلك ﷺ لمخالفة اليهود الذين أفردوا العاشر فقط بالصوم [3].

تخبرنا المصادر أيضا أن شهر رجب كان من الشهور المقدسة لدى الجماعة العربية الأولى وقد سموه بذلك لتعظيمهم إياه من قولهم : رجبت الشئ هبته ورجبته عظمته، وقد كانوا يؤخرونه من شهر إلى شهر كما كانوا يفعلون فى المحرم، وجاء فى الحديث « رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » تأكيدا على موضعه بين

(١) الأزمنة والأمكنة ١/ ٢٠٦ .

(٢) شرح ديوان الهذليين ١/ ١٢ ، ٧٢ .

(٣) انظر صحيح مسلم النووى ٣/ ١٨٨ ط الشعب والنهاية ١/ ٨٩ .

الشهور، كما كانت الجماعة العربية تذبح فى هذا الشهر ذبيحة ينسبونها إليه [1] وقد استعملت لفظ الترجيب بمعنى ذبح النسائك فى رجب، وقالت هذه أيام ترجيب وتعتار، مأخوذ من العتيرة وهى ذبيحة كانت تذبح فى رجب ويقدمونها لأصنامهم [2].

٣ - ٣ تشير مصادر الأدب واللغة والتاريخ إلى أن الجماعة العربية الأولى قد عرفت قسمين من الشهور، قسما نطقت به العرب المستعربة وجرى عليه الاستعمال إلى الآن وهى [3]:

المحـــــــرم: سمى بذلك لأنهم كانوا يحرمون فيه القتال.

صـــفـــر: سمى بذلك لأن ديارهم تصفر أى تخلو منهم لخروجهم للقتال .

ربيــع الأول: سمى بذلك لارتباع القوم فيه.

ربيــع الثانى: سمى بذلك أيضا لارتباع القوم فيه.

جمادى الأولى: سمى بذلك لجمود الماء فيه لشدة البرد

جمادى الثانى: سمى بذلك أيضا لجمود الماء فيه لشدة البرد.

رجـــــب: سمى بذلك من الترجيب بمعنى التعظيم.

شـعــــبان: سمى بذلك لتشعبهم فيه لكثرة الغارات.

رمـضـــان: سمى بذلك من الرمضاء أى شدة الحر.

شـــــــوال: سمى بذلك من الشول أى رفع الإبل لأذنابها فيه.

ذو القـعــــدة: سمى بذلك لأنهم يقعدون فيه عن القتال.

ذوالحـــجــة: سمى بذلك لأنهم كانوا يحجون فيه [4].

(١) انظر اللسان رجب النهاية ٢/ ١٩٧ .

(٢) انظر اللسان عتر النهاية ٣/ ١٩٧٨ .

(٣) كانت الجماعة العربية تفتتح السنة بالمحرم ولعل هذا جعل المسلمين يعدونه أيضا أول السنة الهجرية ، وتذكر بعض المصادر أن أول من سمى الشهور بالمحرم وما بعده من الشهور هو كلاب بن مرة ويذكر بعضها الآخر أن أول من فعل ذلك عمرو بن لحى الخزاعى .

(٤) انظر هذه الشهور وتعليل تسمياتها : قطرب الأزمنة ٤٧ ، الفراء الأيام والليالى ١٧ ، المخصص ٩ / ١٤٣ المرزوقى ١/ ١٦٧ ، نهاية الأرب ١/ ١٥٧ القلقشندى صبح الأعشى ٢/ ٣٧٥ .

ويبدو من تسمية هذه الشهور علاقتها الوثيقة بالعوارض الطبيعية من الحر والبرد والاعتدال، ولكننا نعرف أن هذه الشهور لم تكن ثابتة فى فصول السنة، بل كانت كما نرى الآن تنتقل من فصل إلى آخر.

٣ - ٤ أما القسم الثانى من الشهور التى نطقت بها العرب العاربة وكانت مستعملة ومعروفة بين بعض القبائل فهى [1]:

المؤتـمـــر: سمى بذلك لأنه يؤتمر فيه بترك الحرب ويقابل المحرم .

ناجـــــر: سمى بذلك من النجر وهو السوق الشديد لخيلهم فى الحرب .

خـــوان: سمى بذلك لأن الحرب تشتد فيه فتخونهم ويقابل ربيع الأول .

بصـــــان: سمى بذلك من الوبيص بمعنى بريق الحديد فيه .

حنـــين: سمى بذلك لأنهم يحنون إلى أوطانهم ويقابل جمادى الأولى .

ربـــــى: سمى بذلك لأنه يجتمع به جماعة من الشهور ليست بحرم .

الأصــــم: سمى بذلك لأنه لا يسمع فيه صوت السلاح ويقابل رجب .

عـــادل: سمى بذلك لأنهم يعدلون فيه عن الإقامة لتشعبهم .

نـــاتـــق: سمى بذلك لكثرة المال الناتج من الإغارة فى الشهر السابق .

وعــــل: سمى بذلك من قولهم وعل إلى كذا أى لجأ إليه .

ورنـــة: سمى بذلك من قولهم أرن أى تحرك ويقابل ذا القعدة .

بـــرك: سمى بذلك من قولهم بركت الإبل أى حطت لموسم الحج .

لقد سجلت لنا كتب اللغة والأدب أسماء هذه الشهور مع اختلاف بعضها فى الأسماء ودلالاتها الاشتقاقية، فنجد بعض المصادر تسمى حنين بشيبان وتسمى ربى بملحان، وتسمى عادل بعاذل، كما نجدها تشير إلى أن شهر ناجر مشتق من النجر بمعنى شدة الحرارة وهو يقابل شهر صفر، وإلى أن شهر الوعل بمعنى الهرب لأنهم كانوا يهربون من الغارات بعد الأشهر الحرم إلى أماكن يتحصنون بها وهو يقابل شوال،

(١) انظر هذه الشهور وتسمياتها قطرب الأزمنة ٤٨ ، الفراء الأيام والليالى ١٨ ، المخصص ٩ / ٤٤ ، المرزوقى ١/ ١٦٨ ، نهاية الأرب ١/ ١٥٨ ، القلقشندى صبح الأعشى ٢/ ٣٧٩ .

وإلى شهر ورنة المشتق من الأرون بمعنى الدنو لقربه من الحج، وهو يقابل ذا القعدة، وإلى برك واللفظ معدول عن بارك مأخوذ من البركة لأن الحج فيه ويقابل ذا الحجة.

تذكر لنا المصادر أيضا أن الجماعة العربية قد سمت شهرى شيبان وملحان وهما تسميتان أخريان لشهرى حنين وربى، ويقابلان شهرى جمادى الأولى وجمادى الثانية، بشهرى قماح ومن هذا قول الهذلى [1] :

فتىً مـا ابن الأغـرّ إذا شـتـونا وحبُّ الزاد فى شـهـرى قُـمـاح

وقد سمت الجماعة العربية الشهرين بذلك لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء لشدة البرد، والإبل القُماح هى التى ترفع رؤوسها، وقد سمت الشهر الأول كما أشرنا شيبان لابيضاض الأرض بالثلج، وسمت الثانى « ملحان» من الملحة وهى البياض، كما سمت شهرى القيظ شهرى ناجر من النجر بالتحريك بمعنى العطش الذى يأخذ الإبل فتشرب ولا تروى [2].

٤ - ١ الأسبوع : عرفت المجتمعات البشرية ألفاظ السنة والشهر واليوم وحدات فلكية لتحديد أوقات الزمان، ولكن هذه الوحدات لم تكن لترتيب أمور حياتها، فقد كان الشهر وحدة زمانية طويلة، واليوم وحدة زمانية قصيرة، فدعت الحاجة إلى وحدة وسيطه بينهما، وكما أوحت دورة الشمس السنوية للإنسان بالفصول الأربعة، أوحت دورة القمر الشهرية وتغير شكله فى صورة الهلال والقمر والبدر والمحاق [3]، بتقسيم الشهر إلى أربعة أقسام أو وحدات زمانية هى الأسبوع [4]. يرى بعض المشتغلين بالدراسات الأنثروبولوجية سببين لوجود هذه الوحدة الزمنية :

---

(١) شرح أشعار الهذليين ١/ ٤٥١ .

(٢) ابن قتيبة الأنواء ١٠٢ - ١٠٧ . (٣) انظر ص (٦٨) من الدراسة .

(٤) تذكر بعض المصادر العلمية أن الشكل الأول للقمر يدوم حوالى ٧,٥ يوم والشكل الثانى يدوم ٦,٧٥ يوم والثالث ٧,٧٥ يوم والرابع ٧,٥ يوم ، فيكون المجموع ٢٩,٥ يوم وهذا هو طول الشهر القمرى وطوله على وجه الدقة يساوى ٢٩,٥ يوما .
انظر جورج سارتون تاريخ العلم ص ٢٢٨ ط ١٩٧٥ . انظر ص (٦٨) من الدراسة .

أحدهما : دينى ويتمثل فى الحاجة إلى تخصيص يوم منتظم من أجل العبادة الدينية.

ثانيهما : اقتصادى يتمثل فى الحاجة لتحديد يوم متكرر لإقامة سوق للبيع والشراء.

تذكر المصادر العلمية أن البابليين كانوا أول من اصطلحوا على أيام الأسبوع السبعة وسموها بأسماء الكواكب السيارة الخمسة : المريخ mars عطارد mercury المشترى Jupiter، الزهرة Venus زحل saturn بالإضافة إلى الشمس Sun والقمر moon [1]، كما تشير هذه المصادر إلى أن الرومان الذين اتبعوا التقويم القمرى قد حددوا أيام السوق التى كانت تمثل الأسبوع على فترات ربع شهرية تختلف من شهر إلى آخر، فإذا كان الشهر ثلاثين يوما كانت الفترات ربع الشهرية كما يلى : ٨، ٧، ٨، ٧، أيام، أما إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوما فإن الفترات ربع الشهرية تكون كما يلى : ٧، ٧، ٧، ٧، وقد استمر الرومان يسيرون على هذه الطريقة فى تقسيم أيام الشهر حتى عام ٣٢١ عندما أعلن الإمبراطور قسطنطين اعتناقه المسيحية وإلغاء فترة الأيام الثمانية وإبقاء فترة الأيام السبعة فقط التى أصبحت تمثل الأسبوع الذى عرفه المسيحيون عن اليهود [2].

٤ - ٢ وإذا كان الأسبوع كوحدة زمانية ذات تقسيم سباعى يعود إلى أصل كوكبى يتمثل فى دورة القمر الشهرية التى يظهر خلالها فى أربع حالات أو أشكال فإنه يعود أيضا إلى أصل دينى [3]، ويتمثل ذلك فى تحديد بدايته أو نهايته بأيام

---

(١) نلاحظ أسماء هذه الكواكب فى تسمية أيام الأسبوع فى بعض اللغات الأوربية مثل الاسبانية كما يلى : الثلاثاء marts ، الأربعاء miercoles والخميس Jueves والجمعة Viernes والسبت Sabado والأحد Domingo والإثنين Lunes والفرنسية كما يلى :
mardi, mercredi , jeudi , vendredi , samedi , dimanche .

(٢) كيث إيروين ٣٦٥ يوما قصة التقويم ص ١١٩ - ١٢١ .

(٣) نلاحظ الأصلين الكوكبى والدينى فى أسماء أيام الأسبوع فى بعض اللغات الأوربية مثل الإسبانية والفرنسية انظر الهامش السابق، كما نلاحظ ذلك بصورة مختلفة فى أسماء أيام الأسبوع فى الإنجليزية لأنها مشتقة من أسماء الآلهة الإنجلو سكسون والإسكندفايين كما يلى : يوم الإله تيو Tiw ويقابل الثلاثاء Tuesday ويوم الإله ودن Woden ويقابل الأربعاء Wednesday ، ويوم الإله ثور Thor ويقابل الخميس Thursday ، ويوم الإله فريج Frig ويقابل الجمعة Friday هذا بالإضافة إلى يوم الشمس Sun ويقابل الأحد Sunday ويوم القمر moon ويقابل الإثنين Monday انظر كيث إيروين قصة التقويم ١٣٧ - ١٣٨.
جورج سارتون تاريخ العلم ٥/ ١٩٩ انظر هامش ١ ص ١٤٦ .

مقدسة ترتبط بشعائر دينية مثل السبت والأحد والجمعة فى الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام من ناحية [1]، وارتباط أيام الأسبوع بخلق العالم من ناحية أخرى، ويمكن أن نرى هذا التصور الدينى لتقسيم أيام الأسبوع فى القرآن الكريم [2] فى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق ٣٨)، كما نجد هذا التقسيم مفصلا فى قوله تعالى فى سورة فصلت فى هذه الآيات : ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت ٩ - ١٢) يقول أبو حيان فى تفسير هذه الآيات إن الله سبحانه خلق الأرض فى يومين وقدر أقواتها فى يومين وخلق السموات والأرض فى يومين ليكون المجموع ستة أيام » [3] كما يذكر ذلك أيضا تفصيلا معتمدا على حديث أبى هريرة فى تفسير قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (الأعراف ٥٤) [4] قائلا «.... الظاهر أنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام وعلى هذا الظاهر فسر معظم الناس، وبدأ الخلق يوم الأحد [5]. وفى صحيح مسلم : قال أبو هريرة: أخذ رسول ﷺ بيدى فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء [6] وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها من الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه

---

(١) جاء لفظا السبت والجمعة فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم يشيران إلى هذه الدلالة الدينية .

(٢) جاء ذكر الأيام فى التوراة أيضا بالترتيب العددى فاليوم الأول يقابل الأحد واليوم السابع هو يوم السبت انظر سفر التكوين الإصحاح الأول وسفر الخروج الإصحاح ٢٠ العدد ١١ .

(٣) البحر المحيط ٧ / ٤٨٥ .

(٤) البحر المحيط ٤ / ٣٠٧ .

(٥) انظر الحديث صحيح مسلم كتاب صفة القيامة ٦ / ٦٥٨ ط الشعب .

(٦) قوله ﷺ خلق المكروه يوم الثلاثاء أى ما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض.

السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة.... قال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ومجاهد : بدأ الخلق يوم الأحد وبه يقول أهل التوراة وقيل يوم الاثنين وبه يقول أهل الإنجيل، ذهب بعض المفسرين إلى أن التقدير فى قوله ستة أيام فى مقدار ستة أيام ليست ستة الأيام أنفسها التى وقع فيها الخلق، ويعلق أبو حيان على ذلك قائلا: « إنه متى أمكن حمل الشىء على ظاهره أو على قريب من ظاهره كان أولى من حمله على ما يشمله العقل وما لا يخالف الظاهر جملة، ويكون قوله تعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام مطابقا للحديث الثابت الصحيح وتبقى ستة أيام على ظاهرها من العددية من كونها أياما ».

٤ - ٣ يبدو أن التصور الدينى كان يقف وراء تمييز الجماعة العربية لأيام الأسبوع عدديا [1]، يقول ابن سيده « الأسبوع جماع الأيام السبعة.

الأحـــــد: أولها بدليل التسمية وهمزته بدل من الواو والجمع آحاد.

الإثـنـــين: ثانيها كأنه تثنية اثن وألفه وصل كابن والجمع اثناء كأبناء.

الثـــلاثاء: ثالثها كان حكمه الثالث ولكنهم صاغوه هكذا لمكان العلمية أو الجنسية المشاكلة للعلمية.

الأربعــــاء: رابعها بفتح الباء وكسرها والقول فيه كالقول فى الثلاثاء.

---

(١) يذكر جورج سارتون أن قاعدة تمييز أيام الأسبوع عددية قد أخذ بها اليهود والنصارى الأرثوذكس انظر تاريخ العلم ٥/ ٢٠٠ . كما نجد بعض اللغات تميز أيام الأسبوع بالعدد مثل الفارسية : الأحد يكشنبه ، الإثنين دوشنبه الثلاثاء سه شنبه الأربعاء : جهار شنبه ، الخميس بنجشنبه الجمعة آدينه السبت شنبه .
كما نجد الألمانية تسمى أيامها كما يلى : الأحد Sontag اى يوم الشمس الإثنين montag أى يوم القمر الثلاثاء Dienstay اى يوم الخدمة . الأربعاء mittwoch اى يوم منتصف الأسبوع لأنه يقع بين ثلاثة سابقة وثلاثة لاحقة هى الخميس Donnerstag اى يوم الرعد ، والجمعة Freitag اى يوم الحرية او الراحة والسبت Samstag المجموع من قولهم في الألمانية Allesamt نجد اليابانية تسمى أيامها كما يلى: الأحد Nichi - yobi اى يوم الشمس ، الإثنين Gestu - Yobi اى يوم القمر، الثلاثاء : Ka - Yobi اى يوم النار ، الأربعاء Sui - yobi اى يوم الماء ، يوم الخميس moku - yobi اى يوم الخشب ، ويوم الجمعة Kin - yobi اى يوم الذهب ويوم السبت Do - yobi اى يوم التراب . ونلاحظ ان هذه التسميات تعكس التصورات الدينية والثقافية لأصحاب كل لغة. انظر هامش ٢ ص (١٥٢).

الخميس: خامسها خصوه بهذا البناء كالثلاثاء والأربعاء وكان حكمه الخامس .

الجمعة: سادسها ليس من اللفظ العدد وإنما سمى به لاجتماع الناس فيه.

السبت: سابعها ليس من لفظ العدد أيضا وهو مأخوذ من قولهم سبت يسبت سبوتا أى سكن، وأصله أن الله تعالى قد خلق السموات والأرض الأحد وفرغ من خلقهن الجمعة، ولم يخلق فى السبت شيئا فكأن الخلق قد سكنوا » [1].

يقول ابن القيم « ... لما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم من يوم بصفة نفسية ولا معنوية لم يبق تمييزها إلا بالأعداد ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من العدد نحو الأحد والإثنين، أو بالأحداث الواقعة فيها كيوم بدر، ويوم الفتح، ويوم الجمعة لاجتماع الناس فيه، أو لأنه اليوم الذى جمع الخلق فيه واكتمل، والسبت بمعنى القطع لأن تخليق العالم كان فى ستة أيام أولها الأحد وخاتمتها الجمعة ولم يخلق يوم السبت شيئا » [2].

لقد ذكرت كثير من مصادر اللغة والأدب والتاريخ والتفسير أيام الأسبوع المعروفة والمتداولة بيننا الآن ولكنها لم تذكر متى كان ظهورها، أكان ذلك فى مكة قبل الهجرة أم بعد الهجرة إلى المدينة، وعلى ما يبدو أن هذه الأيام التى بنيت بأسمائها وترتيبها على قصة الخلق كانت معروفة لدى الجماعة العربية كما رأينا فى حديث أبى هريرة ﵁ عن الرسول ﷺ، فقد جاء لفظ السبت فى آية مكية من سورة النحل المكية فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النحل : ١٢٤). وهذا يعنى أن أهل مكة كانوا يعرفونه، كما لم يأت لفظ الجمعة إلا فى سورة مدنية هى سورة الجمعة وفى

(١) المخصص ٩/ ٤٢ .

(٢) بدائع الفوائد ١/ ٨٤ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ (الجمعة : ٩)، وللفظ نطقان الجمعة بضم الميم وهو الأشهر وعلى ذلك يكون اللفظ صفة لليوم الذى يجتمع فيه الناس ويجمع على جمع وجمعات والنطق الآخر هو بسكون الميم وهو الأصل [1]، وكان هذا اليوم يسمى عروبة، وتذكر بعض المصادر أن عروبة لم يسم جمعة إلا بعد الإسلام وذلك أن الأنصار قالوا : إن لليهود يوما يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وللنصارى كذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة لنا، فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة الأنصارى فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى سورة الجمعة، إلا أن بعض المصادر الأخرى تذكر أن أول من سماه بهذا الاسم كعب بن لؤى جد الرسول ﷺ الذى كان أول من جمع يوم عروبة فكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم [2].

٤ - ٥ تشير كثير من مصادر اللغة والأدب إلى أن الجماعة العربية قد عرفت أسماء أخرى لأيام الأسبوع نطقت بها العرب العاربة [3] وهى :

أول : يقابل الأحد سمى بذلك لأنه أول أعداد الأيام .

أهون : يقابل الإثنين مأخوذ من الهون وسمى أوهد أيضا مأخوذ من الوهدة أى المكان المنخفض لانخفاضه عن اليوم الأول .

جبار : بضم الجيم يقابل الثلاثاء سمى بذلك لأنه جبر به العدد .

دبار : بضم الدال يقابل الأربعاء سمى بذلك لأنه دبر ما جبر به العدد .

(١) اللسان جمع .

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٦٧ ، صبح الأعشى ٢/ ٣٦٣ .

(٣) ينقل المرزوقى حكاية شعبية لتسمية هذه الأيام فيقول : « ذكر أصحاب السير أن أولاد نوح عليه السلام عزموا على السير فى الأرض ليروها فبدأوا بمسيرهم يوم الأحد فسمى الأول ثم لما كان اليوم الثانى كان السير أخف وأهون من الأول فسمى الإثنين أهون ، وسمى الثلاثاء جبار لأنهم جبروا ما خففوه من سيرهم أو لأنهم جبروا ما تشعب من أحوالهم ، والأربعاء دبار لأنهم أدبروا أو غيروا طريقهم لجبال حجزتهم وسمى الخميس مؤنس لما رأوا ما آنسهم والجمعة عروبة لأن كلمتهم اجتمعت وبان لهم من الراى ما كان خافيا فتعربوا واتفقوا » الأزمنة والأمكنة ١/ ٢٧١ .

مـــؤنس : يقابل الخميس سمى بذلك لأنه كان يؤنس به لبركته .

عـــروبة : يقابل الجمعة سمى بذلك من قولهم أعرب إذا أبان .

شـيـــار : بفتح الشين وكسرها أيضا واللفظ مأخوذ من قولهم شرت الشىء إذا استخرجته وأظهرته بمعنى أنه استخرج من الأيام التى وقع فيها الخلق » (١) وقد جاءت هذه الأسماء فى قول النابغة (٢) :

أؤمل أن أعـــــيش يومى ... لأول أو لأهون أو جـــبـــار

أو التـــالى دبار فـــإن أفـــتـــه ... فـــمؤنس أو عـــروبة أو شـــيـــار

٤ - ٦ نلاحظ أن لفظ الأسبوع الذى يشير فى دلالته إلى جماع أيام الأسبوع مشتق من العدد سبعة وعلى ما يبدو أن الجماعة العربية قد استعملت اللفظ أيضا بدلالة العدد، جاء فى الحديث : أن رسول الله ﷺ: طاف بالبيت أسبوعا » أى سبع مرات (٣)، كما استعملت اللفظ بدون ألف بدلالة الأيام السبعة، جاء فى حديث سلمة بن جنادة: إذا كان يوم سبوعه (٤) » يريد يوم أسبوعه من العرس بعد ستة أيام.

كما نجد العدد سبعة تستعمله الجماعة العربية للإشارة إلى الأسبوع، جاء فى الحديث أن الرسول ﷺ قال: « للبكر سبع وللثيب ثلاث » (٥) أى إذا تزوج الرجل بكرا أقام عندها سبع ليال، وإذا تزوج ثيبا أقام عندها ثلاثا، ومن هذا القبيل قولهم سبع المولود أى حلقوا رأسه وذبحوا عنه لسبعة أيام، وأسبعت المرأة وسبعت أى مر على ولادتها سبعة أيام أو وضعت حملها لسبعة أشهر (٦).

ويذهب أحد الباحثين (٧) اعتمادا على ما جاء فى سفر التكوين الذى وصف

---

(١) انظر أسماء هذه الأيام قطرب الأزمنة ٣٦ - ٣٧ ، الفراء الأيام والليالى ٦، المخصص ٩/ ١٠١ الأزمنة والأمكنة ١/ ٢٦٩ القلقشندى ٢/ ٣٦٤ .

(٢) القلقشندى٢ / ٣٦٥ . (٣) النهاية ٢/ ٣٣٦ .

(٤) النهاية ٢/ ٣٣٦ . (٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٥ .

(٦) استعملت الجماعة العربية لفظ السباعى للإشارة إلى ما بلغ طوله سبعة أذرع أو سبعة أشبار. كما سمت العظيم الطويل من الإبل السباعى أيضا . لاحظ استعمال هذا اللفظ فى أسماء الأعلام اللسان سبع .

(٧) د . سليمان أبو غويش عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربى ص ٣٦٦ .

السبت باليوم السابع (١) إلى أن ثمة علاقة بين لفظى السبت Sabt وسبعة فى العربية ولفظ Sept ولفظ Seven فى الفرنسية والإنجليزية (٢) مع ملاحظة سقوط صوت العين الذى لا تعرفه اللغات الأوربية، وهذا يؤكد من وجهة نظره الدلالة العددية سبعة ليوم السبت، ولكن إذا كان هذا يتفق والترتيب العددى للسبت فإنه لا يتفق والأصل الاشتقاقى له فى العربية (٣) والعبرية (٤) واللغات الأوربية التى اشتقت أسماء الأيام من أسماء الكواكب التى حمل بعضها اسم الآلهة القديمة (٥)، فالسبت فى الإنجليزية Saturday مشتق من اسم كوكب زحل Saturn المشتق من اسم الإله سيترن Seterne.

٥ - ١ اليوم : يمثل القسم الخامس من التقسيم الخماسى لأوقات الزمان بعد السنة والفصل والشهر والأسبوع، وهو فى عرف الجماعة العربية يبدأ من غروب الشمس وينقضى عند غروبها مرة أخرى وبذلك يشمل الليل والنهار (٦)

---

(١) انظر سفر التكوين الإصحاح الثانى الآيتين ٢ ، ٣ .

(٢) اعتمد الباحث فى هذا الفرض على ما عرف عن التقويم الرومانى قبل التعديل الذى أدخله قيصر على هذا التقويم الذى كان يبدأ السنة الجديدة بشهر مارس حيث كانت الشهور فى هذا التقويم تحمل أرقاما بدلا من الأسماء ، فكان الشهر الخامس Quintilis الذى سمى فيما بعد باسم يوليوس قيصر July وكان الشهر السادس sextilis الذى بقى كما هو ، والشهر الثامن october والشهر التاسع November والشهر العاشر December لاحظ الأرقام Sept, Neuf , Dix فى الفرنسية و علاقتها بالأرقام وأسماء الأشهر الرومانية. انظر جورج سارتون العلم ٥/ ١٨٥ .

(٣) يشير المعجم العربى إلى أن لفظ السبت مشتق من السبت بدلالة القطع ومن ذلك السبت بمعنى النعل لأنه مقطوع من الجلد والسبت قطعة من الزمان ، أو لأن الخلق بدأ يوم الأحد إلى يوم الجمعة وانقطع أو سكن يوم السبت لهذا كان اليهود ينقطعون فيه عن العمل والتصرف ، وقيل إن اللفظ مشتق من السبت بمعنى السكون والراحة ومن ذلك السبات انظر قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ (الفرقان: ٤٧) أى سكونا وراحة، أو قطعا لأعمالكم .

(٤) يشير المعجم العبرى إلى أن لفظ السبت Sabbat يعنى الكف عن العمل اى الراحة. انظر معجم فوجمان ط مكتبة المحتسب بيروت ١٩٨٢ . انظر هامش ٢ ص ١٥٣ .

(٥) هناك من يبدأ اليوم بطلوع الشمس ويختمه بطلوعها من اليوم القابل وهو مذهب الروم والفرس انظر القلقشندى صبح الأعشى ٣/ ٣٤٠ .

(٦) يرى الفقهاء أن اليوم عبارة عن النهار دون الليل فلو قال أحدهم لزوجته : أنت طالق يوم يقدم فلان فقدم ليلا لم يقع الطلاق على الصحيح .

الذين يكونان متساويين فى المقدار تارة ومختلفين تارة أخرى [1]. يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ (آل عمران : ٤١)، المراد ثلاثة أيام بلياليها [2] ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (مريم : ١٠).

وكما اصطلحت الجماعة العربية على اليوم بهذه الدلالة اصطلحت أيضا على تسمية اليوم الماضى بلفظ أمس ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ (يونس : ٢٤)، وتسمية اليوم الآتى بلفظ غدا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف : ١٢)، يقول ابن القيم : «... عُرِّف اليوم بأداة العهد لأن لا شىء أعرف من يومك الحاضر فانصرف إليه، ونظيره الآن من آن والساعة من ساعة، وأما أمس وغدا فلما كان كل واحد منهما متصلا بيومك اشتق له اسم من أقرب ساعة إليه فاشتق لليوم الماضى أمس الملاقى للمساء وهو أقرب إلى يومك من صاحبه أعنى صباح غد فقالوا أمس، وكذلك اشتق الاسم من الغدو، وهو أقرب إلى يومك من مسائه أعنى مساء غد، وتأمل كيف بنوا أمس وأعربوا غدا لأن أمس صيغ من فعل ماض وهو أمسى ولذلك بُنى، ووضعوا أمس على وزن الأمر من أمسى يمسى، وأما الغد فإنه لم يؤخذ من مبنى إذ لا يمكن أن يقال هو مأخوذ من غدا كما يمكن أن يقال أمس مأخوذ من أمسى بل أقصى ما يمكن فيه أن يكون من الغدو والغدوة وليستا بمبنيتين [3].

يقول المرزوقى : اعلم أنهم يتوسعون فى ذكر اليوم والليلة، فيقولون فلان اليوم يعد من الرؤساء وكان الأمس كذا، يعنون بذلك مطلق الزمان » [4]، كما يقول

---

(١) يتساوى الليل والنهار إذا كانت الشمس فى أول برج الحمل أو برج الميزان ويكون ذلك فى الانقلاب الربيعى، ويكون النهار أطول من الليل إذا كانت الشمس فى نصف الفلك الشمالى وهو الحمل إلى آخر السنبلة ، ويكون الليل أطول من النهار إذا كانت الشمس فى نصف الفلك الجنوبى وهو الميزان إلى آخر الحوت .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٤٥٢ .

(٣) ابن القيم بدائع الفوائد ١/ ٨٦ .

(٤) الأزمنة و الأمكنة ١/ ١٥٠ .

أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ (المائدة : ٣) «قال الزجاج لم يرد يوما بعينه، وإنما المعنى يئسوا كما تقول أنا اليوم قد كبرت، واتبع الزمخشرى الزجاج فقال: اليوم لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك كنت بالأمس شابا، وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس الذى قبل يومك و لا باليوم يومك» [1] ومن هذا القبيل أيضا دلالة لفظ أمس على مطلق الزمان الماضى فى مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ (القصص : ١٩) ودلالة لفظ غد على مطلق الزمان المستقبل فى مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر : ١٨).

وقد عبرت الجماعة العربية بالليلة عن اليوم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة : ٥١) يقول أبو حيان « أربعين ليلة ذو الحجة وعشر من المحرم، أو ذو القعدة وعشر من ذى الحجة ... وكان تفسير الأربعين بليلة دون يوم لأن أول الشهر ليلة الهلال ولهذا أرخ بالليالى واعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعا لليالى، أو دلالة على مواصلته الصوم ليلا ونهارا، لأنه لو كان التفسير باليوم أمكن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالى اقتضت قوة الكلام أنه واصل أربعين ليلة بأيامها » [2]، كما يقول فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر : ٢،١) « أراد بالليالى العشر الأيام العشرة من ذى الحجة أو العشر الأواخر من رمضان » [3].

٥ - ٢ النهار : عرفت الجماعة العربية اليوم وحدة زمانية تبدأ من غروب الشمس إلى شروقها مرة أخرى، كما ميزت بين شطريه بلفظ النهار والليل، يبدأ أولهما بطلوع نصف قرص الشمس من المشرق إلى غياب قرص الشمس من المغرب ويبدأ ثانيهما بغروب الشمس واستتارها إلى طلوعها وظهورها فى الأفق مرة أخرى.

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٢٥ .

(٢) البحر المحيط ١/ ١٩١ .

(٣) المصدر نفسه ٨/ ٤٦٨ .

يقول أبو هلال العسكري « الفرق بين النهار واليوم منحصر فى كون النهار اسما للضياء المنفسح الظاهر لحصول الشمس بحيث ترى عينها أو معظم ضوئها » [1] ويقول المرزوقى: « قال النحاة : إذا قلت سرت يوما فأنت مؤقت تريد مبلغ ذلك ومقداره، وإذا قلت سرت اليوم أو يوم الجمعة فأنت مؤرخ. فإذا قلت سرت نهارا والنهار فلست بمؤرخ ولا بمؤقت وإنما المعنى سرت فى الضياء المنفسح ولهذا يضاف النهار إلى اليوم فيقال سر نهار يوم الجمعة ولهذا لا يقال للغلس والسحر نهار حتى يستضاء الجو » [2].

كما يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ إنَّ في خَلْقِ السَّموات والأرضِ واخْتِلافِ الَّليْلِ والنَّهار... ﴾ (البقرة : ١٦٤)، « .. النهار فى طلوع الفجر إلى غروب الشمس يدل على قوله ﷺ لعدى: « إنما هو بياض النهار وسواد الليل » يعنى قوله تعالى: [1] ﴿ وكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّىٰ يتَبيَّنَ لكُمُ الخَيْطُ الأبْيضُ مِنَ الخَيْطِ الأسْودِ مِنَ الفَجْرِ ﴾ (البقرة : ١٨٧) وظاهر اللغة أنه من وقت الإسفار، قال النضر بن شميل : ويغلب أول النهار طلوع الشمس، زاد النضر ولا يعد ما قبل ذلك من النهار، قال الزجاج فى كتاب الأنواء: ذرور الشمس، قال ابن الأنبارى : من طلوع الشمس إلى غروبها، ومن الفجر إلى طلوعها مشترك بين الليل والنهار، والنهار جمعه نهر وأنهرة، وقيل النهار مفرد لا يجمع لأنه بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على القليل والكثير ويقال رجل نهر إذا كان يعمل فى النهار وفيه معنى النسب » [3].

٥ - ٣ الليل : الظلام الذى يبدأ من غروب الشمس واستتارها إلى طلوعها أو ظهورها مرة أخرى، والليل جنس للواحد، ومنه قالوا الليلة تمييزا للعدد والجمع الليالى وهو يقابل النهار، كما أن الليلة تقابل اليوم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ومِنْ آياتِهِ الَّليْلُ والنَّهارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ ﴾ (فصلت : ٣٧).

(١) الفروق فى اللغة ٢٦٦ . (٢) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٦٨ .

(٣) نظر الفقهاء إلى النهار باعتبارين طبيعى وشرعى : فالطبيعى من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق إلى غيبوبة نصفها فى الأفق فى المغرب والشرعى من الفجر الثانى وهو المراد بالخيط الأبيض إلى غروب الشمس وبذلك تتعلق الأحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرهما .

يعتبر الليل الرمز الأول لتحديد الأوقات لدى كل الشعوب تقريبا حيث يحسب الوقت بالليالى وليس بالأيام. يقول المرزوقى اعلم أنهم كانوا يبدأون الأوقات بالليل كما كانوا يبدأون الأزمان بالشتاء، ولذلك صار التاريخ دون النهار، وإنما كان كذلك لأن الظلام الأول والاضياء داخل فيه » [1]. لقد اعتقدت الجماعة العربية بأن الظلام يقترن بالسكون والضوء يقترن بالحركة، وإذا كان السكون سابقا للحركة فإن الليل سابق للنهار، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وأغْطَشَ لَيْلَهَا وأخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات : ٢٩) «أغطش أى أظلم، وأخرج أبرز ضوء شمسها، كقوله تعالى: «والشمس وضحاها»، وقولهم وقت الضحى الوقت الذى تشرق فيه الشمس وأضيف الليل والضحى إلى السماء لأن الليل ظلامها والضحى هو نور سراجها » [2] ويقول المرزوقى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وآيةٌ لَهُمُ الَّليْلُ نَسْلَخُ منهُ النَّهارَ ﴾ (يس: ٣٧)، أى نخرجه إخراجا لا يبقى منه شىء من ضوء النهار لأن المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ كما أن المغطى يكون قبل الغطاء ومن ذلك قولهم سلخت الشاة إذا أخرجتها من إهابها أى نزعت عنها جلدها، وفى هذا دلالة على مذهب العرب من أن الليل قبل النهار » [3] كما يقول فى موضع آخر: « غلبت العرب الليالى على الأيام فى التاريخ فقيل كتب لخمس خلون من شهر كذا، وأنت فى اليوم لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها وإنما ولدته، ولأن الأهلة لليالى دون الأيام وفيها دخول الشهر، ولذلك ما ذكرهما الله تعالى إلا وقدم الليالى على الأيام انظر قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوماً ﴾ (الحاقة : ٧) وقوله تعالى: ﴿ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيَّاماً آمِنينَ ﴾ (سبأ: ١٨)، ويقول فى موضع آخر: قدم الله سبحانه الليل فى رتبة الذكر ورتبة الوصف فقال تعالى: ﴿ وجَعَلْنا الَّليْلَ لِباساً * وجَعَلْنا النَّهارَ مَعاشاً ﴾ (النبأ : ١٠)، فرتبه الذكر ظاهرة من التلاوة كما نرى، ورتبة الوصف من أن اللباس مقدم علي المعاش فى التصرف [4].

(١) الأزمنة والأمكنة ٢/ ٢٧٤ . (٢) البحر المحيط ١/ ٤٣٣ .

(٣) الأزمنة والأمكنة ١/ ٢٤ .

(٤) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٦٥ .

لقد اعتقدت الجماعة العربية أن الليل قبل النهار والظلمة قبل النور [1] ولهذا كان النور هو الذى يغشى الظلام، والنهار هو الذى يهجم على الليل، يقول الطبرى: «فإن فى مشاهدتنا من أمر الليل والنهار وما نشاهده دليلا بينا على أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره» [2] ونرى هذا التصور فى قول الفرزدق [3]:

والشيب ينهض فى السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

استعار الصياح للنهار لأن الليل أخذ فى الإدبار وصار النهار كأنه هازم والليل مهزوم، ومن عادة الهازم أن يصيح على المهزوم ومن ذلك قول الشماخ:

ولاقت بأرجاء البسيطة ساطعا ... من الصبح لما صاح بالليل نفرا

ولعل هذا التصور جعلهم أيضا يؤنثون الليل ولا يؤنثون النهار، ونجد ابن العربى يفسر الأفعال التى ارتبطت بلفظى الليل والنهار تفسيرا جنسيا [4] فى مثل قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ (الأعراف: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ (لقمان: ٢٩) وقوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ (الزمر: ٥).

لقد جمعت الجماعة العربية بين الليل والنهار كعادتها فى كلامها من الجمع بين الاسمين أو تغليب أحدهما على الآخر فقالت: الجديدان والأجدان والملوان، والردفان، والأبردان والفتيان [5].

٦ - ١ الساعة: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الجزء القليل من اليوم [6]، يقول المرزوقى: إذا قال قائل: ما رأيته مذ مدة من يومى، علم أن ذلك

(١) يقول القلقشندى إن الناس يختلفون فى ذلك فهناك من يقدم الليل ويفتتح اليوم بغروب الشمس، ومنهم من يقدم النهار على الليل فيفتتح اليوم بطلوع الشمس ويحكى أن الإسكندر سأل بعض الحكماء عن الليل والنهار أيهما قبل صاحبه فقال: هما فى دائرة واحدة، والدائرة لا يعلم لها أول ولا آخر ولا أعلى ولا أسفل.
انظر صبح الأعشى ٢/ ٣٤٠.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ١/ ٣٢. (٣) اللسان ليل.
(٤) رسائل ابن العربى أيام الشأن ٧ - ١٦.
(٥) قطرب الأزمنة وتلبية الجاهلية ٥٨، المخصص ٩/ ٥٦ ص (٢٠١) من الدراسة.
(٦) يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن العرب فى الجاهلية كغيرهم قد قسموا النهار إلى اثنى عشرة ساعة، والليل اثنى عشرة ساعة أى أنهم اعتبروا اليوم أربعا وعشرين ساعة.
انظر جواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ٨/ ٣٩٨.

ساعة أو ساعات، وإذا قال قائل: ما رأيته مذ مدة من عمرى، علم أن ذلك سنة أو سنوات» [1]، ويقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤)، قال سبحانه ساعة لأنها أقل الأوقات فى استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه فى ساعة، يريد فى أقصر وقت قاله الزمخشرى، وقال ابن عطية: لفظ عنى به الجزء القليل من الزمان [2]. ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: ٥٥) قال امرؤ القيس [3]:

ساعة ثم انتحاها وابل ... ساقط الأكناف واه منهمر

وقال الهذلى [4]:

فلم يك ساعةً حتى تركنا ... مباءتهم كبلقعة العزيب

ونقرأ فى لسان العرب أنه كان للعرب فى الجاهلية ساعة يقال لها الفلتة يغيرون فيها وهى آخر ساعة من آخر يوم من جمادى الآخرة [5].

وكما رأينا استعمال ألفاظ اليوم، والأمس، والغد، بدلالة الزمان المطلق نجد لفظ الساعة أيضا يستعمل بنفس الدلالة فى مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة: ١١٧) يقول أبو حيان فى تفسير الآية «ساعة العسرة أى فى وقت العسرة والساعة مستعارة للزمان المطلق ما استعاروا الغداة والعشية واليوم» [6]، وعلى ما يبدو أن لفظ الساعة ارتبط بالجزء المضىء من اليوم وهو النهار فى مقابل لفظ الإنى الذى ارتبط بالجزء المظلم من اليوم وهو الليل، انظر قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ (يونس: ٤٥) وقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ

(١) الأزمنة والأمكنة ١/ ٢٦٣. (٢) البحر المحيط ٤/ ٢٩٣.
(٣) الديوان ١٤٩. (٤) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٧٧١.
(٥) اللسان فلت.
(٦) البحر المحيط ٥/ ١٠٨.

اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران : ١١٣) نجد لفظ الآناء بدلالة أجزاء من الليل فى مقابل الساعات بدلالة أجزاء من النهار والواحد منها إنى كمعى وأنى كضىء وأنى كفتى وأنو كجرو، وقد جاء فى قول الهذلى [١] :

حلوٌ ومـرٌّ كـعطف القِـدح مِـرّته   بكل إنْىٍ حـذاه الليل ينتـعلُ

ومثل الإنى الزُّلفة التى ينص المعجم على أنها جزء من الليل والجمع زلف، وقيل إن الزلف الساعات الأولى أو الأخيرة من الليل [٢]، وقد جاء اللفظ فى قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ (هود : ١١٤) يقول أبو حيان فى تفسير هذه الآية: « قال ثعلب : الزلف أول ساعات الليل وآناؤه وكل ساعة زلفة ومنها سميت المزدلفة قال الحجاج :

ناجٍ طواه الأينُ مما وجـفـا   طىَّ الليـالى زلفـا فـزلفـا

والزلف صلاتا المغرب والعشاء، وطرفا النهار : صلاتا الصبح والعصر لأنهما طرفا النهار » [٣]. وإلى جانب ألفاظ الساعة والإنى والزلفة نجد ألفاظا أخرى مرادفة مثل : الرَّوْبَة بدلالة الساعة من الليل، والتَّوة بمعنى الساعة من الليل أو النهار، من ذلك قول الشاعر [٤] :

فـفاضت دموعى توةً ثم لم تفض   علىَّ وقـد كـادت لهـا العين تمرح

٦ – ٢ ساعات النهار : اصطلحت الجماعة العربية على ألفاظ سمَّت بها ساعات النهار، منها :

الفجر : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة أول أوقات النهار واللفظ مشتق من الانفجار، تقول فجَّرت الماء وأفجرته فجرا فانفجر أى خرج بعد انحباس وكأن النور قد خرج فى هذا الوقت بعد انحباسه بالظلام.

---

(١) شرح أشعار الهذليين ٢/ ١١٨٣ .   (٢) اللسان زلف .

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٦٥ ، ٢٧٠ .

(٤) اللسان : روب .

وقد سمى أيضا الفلق بمعنى مفلوق لأن الظلام ينفلق بالنور، والفلق الشق نصفين، وكأن الفلق بهذا المعنى شق أو صدع بين الليل والنهار، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق : ١) الفلق الصبح قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وفى المثل : « هو أبين من فلق الصبح» [١].

قال الشاعر [٢] :

يا ليلة لم أنمهـا بت مـرتقـبـا   أرعى النجـوم إلى أن قـدر الفلق

وقد ميزت الجماعة العربية بين وقتين للفجر :

الفجر الكاذب أو المستطيل وسموه بذنب السرحان لاختلاط السواد بالبياض.

الفجر الصادق أو المستطير سموه بذلك لانتشار ضوء النهار، قال الهذلى [٣] :

شـعف الكلاب الضـاريات فـؤاده   فـإذا يرى الصـبح المصـدَّق يفـزع

قال أبو سعيد فى شرح البيت : « الصبح المصدق المضىء، يقال : فجر صادق وفجر كاذب.. ».

وقد سميا فى القرآن الكريم بالخيطين الأسود والأبيض على التشبيه فى قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة : ١٨٧)، يقول ابن الأجدابى « يسمى سواد الليل الخالص بالخيط الأسود، ويسمى البياض المستطير بالخيط الأبيض، ويسمى الممتزج بينهما بالبريم وهو خيط يفتل من خيطين أحدهما أسود والآخر أبيض شبه به ضوء الفجر المختلط بالظلمة» [٤].

الصبح : والصباح والإصباح وقت الدخول فى ضوء النهار، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ (الأنعام : ٩٦)، فالق الإصباح مصدر سمى به الصبح، قال امرؤ القيس :

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٥٣٠ .

(٢) اللسان فجر فلق .

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٦ .   (٤) الأزمنة والأنواء ١١٤ .

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى   بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ومعناه فالقه عن بياض النهار.. قال مجاهد: الإصباح إضاءة الفجر وقال ابن عباس: الإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل »[1]، وقد استعملت الجماعة العربية لفظ الصباح فى مقابل المساء، وجاء اللفظان بمعنى الدخول فى الوقتين فى قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (الروم: ١٧)، وقالوا للصبح أيضا السفر بفتح السين والفاء، قال الأخطل[2].

إنى أبيت وهم المرء يبعثه   من أول الليل حتى يفرج السفر

جاء فى الحديث: « أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر »[3] أى أخروها إلى مطلع الفجر الثانى عندما ينكشف الضوء، من ذلك قولهم: سفرت المرأة كشفت النقاب عن وجهها وقيل: السفر سفران سفر الصبح وسفر المساء الذى يكون فيه بقية من بياض النهار بعد مغيب الشمس.

الغداة: أول الصباح أو النهار والجمع غدوات، : والغدوة وجمعها غدى تقول غدا غدوا، واغتدى يغتدى اغتداء بكّر فى القيام أو العمل أو السير، جاء فى الحديث: « لغدوة أو روحة فى سبيل الله »[4]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ: ١٢) الغدو المرة من الغدو السير فى أول النهار نقيض الرواح.

والغدو الذهاب والسير فى هذا الوقت والذهاب مطلقا أيضا، والغادية السحابة التى تنشأ فى ذلك الوقت، والغداء الطعام الذى يؤكل فى ذلك الوقت أيضا، ومنه قوله تعالى: ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ (الكهف: ٦٢) جاء اللفظ فى القرآن فى مقابل لفظ العشى فيقول تعالى: ﴿ يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ (الأنعام: ٥٢)، وفى

(١) البحر المحيط ٥/ ٥٣٠ واللسان صبح.

(٢) اللسان سفر.   (٣) النهاية ٢/ ٣٧٢.

(٤) النهاية ٣/ ٣٤٦ واللسان غدو.

مقابل لفظ الأصيل فى قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (النور: ٣٦)، وقد سمت الجماعة العربية الغداة الباردة سَبْرة بفتح السين وسكون الباء، والجمع سبرات، جاء فى الحديث: « إسباغ الوضوء فى السبرات »[1].

البُكْرة: استعملت الجماعة العربية اللفظ لأول النهار والصباح، والعرب تقول لأول كل شىء باكورة كالثمر، والبكر بفتح الباء الفتى من الإبل أصله التقدم فى الزمان، وكذا البكر من النساء الصغيرة عكس الثيب الكبيرة، وعلى ما يبدو أن العرب قد أحبت بكورة الأشياء وأجرت ذلك على الوقت الذى يأتى مع أول الضياء. والمبكر الذى جاء فى أول الوقت[2]. جاء اللفظ فى القرآن مقابل العشى والأصيل فى قوله تعالى: ﴿ أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ (مريم: ١١)، وقوله تعالى: ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (الأحزاب: ٤٢).

الضُّحى: استعملت الجماعة اللفظ اسما للوقت الذى يرتفع فيه النهار أو يظهر فيه ضوء الشمس ساطعا، واللفظ يرتبط فى أصله الاشتقاقى بالبروز والظهور، ومن ذلك قولهم: ضاحية البلد لناحيتها البارزة، وضحى الطريق ظهر، وضحى الرجل تعرض للشمس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ (طه: ١١٩) أى لا يصيبك حر الشمس، ضحى غنمه أى رعاها فى ذلك الوقت أى من بين الصبح والظهر. وضحى بالشاة أى ذبحها فى ذلك الوقت[3] وجاء اللفظ مقابل الليل فى قوله تعالى: ﴿ والضحى * والليل إذا سجى ﴾ (الضحى: ١).

الظُّهيرة: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لنصف النهار، واللفظ مأخوذ من الظهور تبديه الشمس لنورها وحرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ﴾ (النور: ٥٨) وقول زهير:

(١) النهاية ٢/ ٣٣٣ واللسان سبر.

(٢) اللسان بكر.

(٣) اللسان ضحو.

رد القيان جمال الحى فاحتملوا ... إلى الظهيرة أمر بينهم لبك

تقول أظهر أى دخل وقت الظهر كأصبح وأمسى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم: ١٨)، ومن ذلك قولهم الظاهرة بمعنى ورد الإبل للماء كل يوم نصف النهار[1].

الهاجرة : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لنصف النهار وسمى الوقت بذلك لأن السير يهجر فيه، والهاجرة وقت اشتداد الشمس يقول عمرو بن قميئة :

وهاجرة كأوار الجحيم ... قطعت إذا الجندب الجون قالا

الهجير أيضا كالهاجرة، جاء فى الحديث أنه ﷺ كان يصلى الهجير حين تدحض الشمس »[2] أراد بصلاة الهجيرة صلاة الظهر، وقيل الظهيرة قبيل نصف النهار والهجيرة بعد زوال الشمس.

القائلة : والقيلولة استعملت الجماعة العربية اللفظين بدلالة وقت الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن فيه نوم، تقول قال يقيل قيلا استراح أو نام فى نصف النهار، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤) أى مستريحون وقت الظهيرة، والمقيل : مكان القيل أى الذى يستريح فيه القائل ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٤)، وقالت العرب أيضا اقتال : أى شرب نصف النهار، والقيل : اللبن الذى يشرب وقت القائلة، وتقيل الناقة : حلبها وقت القائلة[4].

الغائرة : اللفظ، مأخوذ من قولهم: غار النهار، اشتد حره، والغائرة نصف النهار مثل القائلة، تقول غوَّر القوم تغويرا، والتغوير النوم فى ذلك الوقت تقول غوَّر القوم قالوا بمعنى الاستراحة أو النوم فى ذلك الوقت، يقول ذو الرمة[5] :

---

(١) اللسان ظهر.
(٢) اللسان هجر والمرزوقى ١/ ٣٣٣ .   (٣) النهاية ٥/ ٢٤٦ .
(٤) اللسان قول .
(٥) اللسان غور .

نزلنا وقد غار النهار وأوقدت ... علينا حصى المعزاء شمس تنالها

الزوال : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لوقت الظهيرة أى انتصاف النهار بزوال الشمس عن كبد السماء، ومن ذلك قولهم زال زائل الظل بمعنى قام قائم الظهيرة، جاء فى الحديث أنه ﷺ صلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفىء بقدر الشراك[1]، أى عندما تزول ويصير للشخص فىء يسير قدر الشراك، وقدره ها هنا ليس على معنى التحديد ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل ما يرى من الظل، وكان حينئذ بمكة هذا القدر والظل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

العصر : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للوقت الذى يصير فيه ظل كل شىء مثله، ويكون ذلك قبل غروب الشمس، وبهذا الوقت سميت الصلاة الوسطى فى قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ (البقرة: ٢٣٨) لأنها تقع بين صلاتى الفجر والظهر والمغرب والعشاء، وجاء فى الحديث: «حافظوا على العصرين»[2] أى صلاة الفجر وصلاة العصر، أى صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وغلب أحد الاسمين على الآخر كقولهم : القمران للشمس والقمر[3].

الأصيل : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للوقت الذى يكون من بعد العصر إلى المغرب، والجمع أصل بضم الهمزة والآصال جمع الجمع من ذلك قول الهذلى[4] :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعد فى أفيائه بالأصائل

جاء اللفظ فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع بهذه الدلالة منها قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا

---

(١) اللسان زول والنهاية ٢ / ٤٦٨ .
(٢) يعتمد البدو فى الصحراء على ظل الشمس لمعرفة أوقات الصلاة بغرس عصا فى الرمال ويعتمد الفلاحون فى القرى على حركة الشمس أيضا لتحديد مكان القبلة وأوقات الصلاة .
(٣) اللسان عصر النهاية ٣/ ٢٤٦ .
(٤) شرح أشعار الهذليين ١/ ١٤٢ .

بالغدو والآصال ﴾ (النور: ٣٦)، أى أول النهار وآخره [1].

الطَّفَل : بفتح الطاء والفاء، استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للوقت الذى تدنو فيه الشمس للغروب ويصفر لونها، وهو مأخوذ من الطفل: الصغير، تقول طفلت الشمس تطفل طفولا همت ودنت للغروب، جاء في الحديث أن ابن عمر كره الصلاة على الجنازة إذا طفلت الشمس للغروب: « أى دنت منه واسم تلك الساعة الطفل، وينص المعجم على أن الجماعة العربية استعملت اللفظ للغداة والعشى، فطفل الغداة عندما تهم الشمس بالشروق، وطفل العشى عندما تهم الشمس بالغروب » [2].

المغرب : استعملت الجماعة العربية اللفظ للوقت الذى تغيب فيه الشمس وبهذا الوقت ينتهى النهار الذى يبدأ بشروقها، وقد سميت به صلاة المغرب، واللفظ مشتق من الغرب بمعنى البعد والنأى، تقول أغرب فى البلاد نأى وذهب، والغرب والغراب من كل شىء أيضا حده وأعلاه ومنتهاه، والمغرب كل ما واراك وسترك وقد سموا كنس الوحش مغاربها لاستتارها، والغرب فى مقابل الشرق أقصى جهة تنتهى إليها الشمس لتستتر، والمغرب الوضع الذى تغيب فيه الشمس فى مقابل المشرق الذى تشرق منه [3].

٦ - ٣ ساعات الليل: اصطلحت الجماعة العربية على ألفاظ سمت بها ساعات الليل منها.

العشى: والعشية والعشاء وقت دخول ظلال الليل من غروب الشمس إلى العتمة، وقد جاء اللفظ فى القرآن الكريم مقابل الغداة والبكرة والإشراق فى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ (الكهف: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: ١١) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ

(١) اللسان عصر .

(٢) اللسان طفل والنهاية ٣/ ١٣٠ .

(٣) اللسان غرب .

وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (ص: ١٨) واللفظ مأخوذ من العشو بمعنى ضعف البصر، ثم نقل اسما لظلام الليل لأن الرؤية لا تكون واضحة فيه، فالأعشى الذى لا يبصر ليلا، والعشواء الناقة التى لا تبصر أمامها فتخبط بيديها ولهذا قالوا لمن يركب رأسه: « يخبط خبط عشواء ».

وقد سميت صلاة العشاء بهذا الوقت [1]، وقالوا لصلاتى المغرب والعشاء: العشاءان باسم الوقت بينهما.

وكما وجدنا الفجر فجرين لدى الجماعة العربية الأولى، نجد أيضا، العشاء عشاءين، يكون وقت العشاء الأول مع الشفق الأحمر الذى تحل فيه صلاة العشاء بغيابه، ويكون وقت العشاء الثانى مع الشفق الأبيض الذى يغرب فى منتصف الليل وتكون صلاة العشاء جائزة إلى غروبه [2].

ينص المعجم على أن الجماعة العربية قد سمَّت هذا الوقت الثانى من العشاء العتمة، وقيل إن العتمة الثلث الأول من الليل بعد سقوط نور الشفق واللفظ مأخوذ من العتم بمعنى التأخير أو الحبس، وقد كان أهل البادية يريحون نعمهم بعيد المغرب وينيخونها فى مراحها ساعة، ثم يستفيقونها فإذا أفاقت ومرت ساعة من الليل حلبوها، وسميت تلك الساعة العتمة، يقول الأزهرى: سمعتهم يقولون : استعتموا نعمكم حتى تفيق ثم احلبوها، والعواتم التى تحلب هذه الساعة، جاء فى الحديث « يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإن اسمها فى كتاب الله العشاء، وإنما يعتم بحلاب الإبل » [3] وكان الأعراب يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة تسمية بالوقت فنهاهم عن الاقتداء بهم، وقيل: أراد لا يغرنكم فعلهم هذا فتؤخروا صلاتكم، ولكن صلوها إذا حان وقتها، ويبدو أن اللفظ ظل مستعملا، ونجد التنوخى يحكى عن أحدهم قوله: « ولعبنا (الشطرنج) وطاب لى اللعب وواصلناه والليل يمضى ونحن

(١) اللسان عشو ابن قتيبة الأنواء ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) يغيب هذا البياض مع الفجر الثانى وتعود الشمس إلى الحمرة مع الفجر الثانى . انظر ص (٧٥) من الدراسة .

(٣) النهاية ٣/ ١٨٠ اللسان عتم .

لا نشعر به ووافق سماعنا الأذان فقلت له : قد أذنت العتمة وتعبت ولابد من قيامى، فلما خرجنا نظرنا فإذا الأذان هو أذان الغداة (الفجر) وإذا الليلة كلها قد مضت ونحن لا نعقل » [1].

الغسق: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لسواد الليل وظلمته، وقيل لأول وقت دخول الليل، واللفظ يرتبط بأصله الاشتقاقى بالسيلان والانصباب، من ذلك قولهم غسقت العين دمعت، وغسق الجرح سال منه الصديد وكأن الليل بهذه الدلالة نشر وصب ظلمته على الكون، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ (الإسراء : ٧٨) الغسق سواد الليل وظلمته قال النضر غسق الليل دخل أوله، وأصله السيلان تقول غسقت العين تغسق هملت بالماء.. ودلوك الشمس زوالها والإشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل إشارة إلى المغرب والعشاء ويكون دلوك الشمس وقتا مشتركا بين الظهر والعصر، ويكون الغسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشاء [2]، كما يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (الفلق : ٣) الغاسق الليل، ووقب أظلم ودخل على الناس، قال الزمخشرى : الليل إذا اعتكر ظلامه... ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما، ووقوبه دخول ظلامه فى كل شىء. قال الشاعر [3]:

يا طيف هند لقد أبقيت لى أرقا — إذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا

ومن ذلك أيضا حديث عمر: « لا تفطروا حتى يغسق الليل على الظراب » أى حتى يغشى الليل بظلمته الجبال الصغار، وحديث الربيع بن خثيم: « كان يقول لمؤذنه فى يوم غيم : أغسق أغسق » أى أخر المغرب حتى يظلم الليل [4] :

المساء : الإمساء نقيض الصباح والإصباح، تقول أمسى الرجل يمسى دخل وقت المساء وهو من وقت الظهر إلى المغرب، وقيل هو من المغرب إلى منتصف الليل،

(١) التوخى نشوار المحاضرة ٢/ ٢٧١ . ٣/ ٦٥ .
(٢) البحر المحيط ٦/ ٦٨ - ٧٠ (٣) المصدر نفسه ٥/ ٥٣٠ .
(٤) النهاية ٣/ ٣٦٧ .

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم : ١٧)، ومن ذلك قول أمية بن أبى الصلت [1].

الحمد لله ممسانا ومصبحنا — بالخير صبحنا ربى ومسانا

الرواح : نقيض الصباح استعملت الجماعة العربية اللفظ للوقت الذى يكون من زوال الشمس إلى الليل وقالت: راح يروح رواحا أى سار فى ذلك الوقت ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (سبأ : ١٢)، أى كانت تهب فى هذين الوقتين جاء فى الحديث: « لغدوة أو روحة فى سبيل الله » والغدوة السير فى أول النهار والرواح فى آخره [2].

قال الأزهرى : سمعت العرب تستعمل الرواح فى السير كل وقت وأصله أن يكون بعد الزوال، ومن ذلك الإراحة : رد الإبل والغنم من العشى إلى مراحها حين تأوى ليلا ولهذا قالوا سرحت الماشية بالغداة وراحت بالعشى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: ٦) وفى الحديث : « روحتها بالعشى » أى رددتها إلى المراح [3]، والروائح أمطار العشى واحدتها رائحة».

البيات : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لوقت الليل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ (يونس : ٥٠) أى ليلا أو نهارا، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (الأعراف: ٩٧) أى وقت البيات وهو الليل.

تقول: بات يبيت بيتا وبياتا يفعل كذا أى قضى الليل أو أغلبه يعمل كما تقول: ظل يفعل كذا أى يعمل نهارا، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان : ٦٤) أى يحيون الليل بالعبادة، قالت الجماعة العربية لمن يفكر أو يدبر أمرا ليلا بيَّت الأمر تبيتا، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ

(١) اللسان مسو . (٢) النهاية ٢/ ٣٤٦ .
(٣) النهاية ٢/ ٢٧٤ اللسان روح .

غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ (النساء : ٨١)، وفى الحديث: «لا صيام لمن لم يبيت الصيام» أى لم ينوه فى الليل (١).

السَّحَر : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما من آخر الليل إلى الإسفار أى وقت ما قبيل الصبح والجمع أسحار، ونجد اللفظ يرتبط فى أصله الاشتقاقى بالسحر بمعنى الخفاء، أو الطرف من قولهم سحر الشىء طرفه، وأسحار الفلاة أطرافها، وكأن وقت السحر بهذه الدلالة طرف الليل أو الوقت الخفى بظلامه وقد جاء اللفظ بصيغة المفرد فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴾ (القمر: ٣٤)، وبصيغة الجمع فى قوله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران : ١٧) يقول أبو حيان فى تفسير هذه الآية: « السحر بفتح الحاء وسكونها قال قوم منهم الزجاج : الوقت قبل طلوع الفجر ومنه تسحر أكل فى ذلك الوقت وأسحر واستحر دخل فى السحر، وقال بعض اللغويين : السحر من ثلث الليل الآخر إلى الفجر، وقيل : السحر عند العرب يكون من آخر الليل ثم يستمر إلى الإسفار، وأصل السحر الخفاء للطفه، ومنه السحر.. وكان الصحابة يتحرون الأسحار ليستغفروا فيها وكان السحر مستحبا فيه الاستغفار، لأن العبادة فيه أشق ألا تراهم يقولون إغفاءة الفجر من الذ النوم (٢).

الغلس : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لآخر ظلمة الليل التى اختلطت بضوء الصباح أو بياض الفجر، جاء فى الحديث أن الرسول ﷺ كان يصلى الصبح بغلس : أى ظلمة آخر الليل إذا خالطها بياض الفجر، ومن ذلك أيضا حديث الإفاضة: « كنا نغلس من جمع إلى منى » أى نسير إليها ذلك الوقت (٣).

الغبش : استعملت الجماعة العربية اللفظ بالشين والسين المهملة بدلالة ظلمة الليل التى يخالطها بياض الفجر جاء فى الحديث في رواية أخرى أن الرسول ﷺ: صلى الصبح بغبش » (٤).

(١) النهاية ١/ ١٧٠ اللسان بيت .
(٢) البحر المحيط ٣/ ٣٩٨ اللسان سحر .
(٣) النهاية ٣/ ٣٧٧ اللسان غلس .
(٤) النهاية ٣/ ٣٣٩ اللسان غبش .

السُّدْفة : بضم السين وسكون الدال والجمع سُدف واللفظ من الأضداد استعملته الجماعة العربية بدلالتى الظلمة والضوء وبدلالة اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين طلوع الفجر والإسفار وقد جاء فى الحديث « فصلِّ الفجر إلى السُّدف » أى إلى بياض النهار، وفى حديث علقمة الثقفى: « كان بلال يأتينا بالسَّحور ونحن مسدفون فيكشف لنا القبة فيسدف لنا طعاما » : المراد بالحديث الإضاءة والمبالغة فى تأخير السحور (١).

الصَّرِيم : اللفظ من الأضداد أيضا استعملته الجماعة العربية بدلالتى الصباح والليل، ويرتبط اللفظ فى أصله الاشتقاقى بالقطع، والصريم على ذلك الليل المنقطع عن الصباح أو الصباح المنقطع عن الليل، وقد قالت الجماعة العربية لهما الأصرمان لأن كل منهما ينصرم من الآخر. يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ (القلم : ٢٠) قال الأخفش كالصبح المنصرم من الليل، وقال المبرد كالنهار فلا شىء فيها. قال شمر : الصريم الليل والصريم النهار أى ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا (٢).

القِطْع : بكسر القاف استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لطائفة من الليل وقيل من أوله إلى ثلثه جاء اللفظ فى قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود : ٨١)، يقول أبو حيان فى تفسير الآية قال ابن عباس : بطائفة من الليل، وقال الضحاك ببقية من آخره، قال قتادة بعد مضى صدر منه، قال ابن الأعرابى أى ساعة من الليل، وقيل بظلمة وقيل إنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين قال الشاعر :

ونائمة تنوح بقطع ليل ... على رجل بقارعة الصعيد

قال ابن الأنبارى القطع بمعنى القطعة مختص بالليل، ولا يقال عندى قطع

(١) النهاية ٢/ ٣٥٤ اللسان سدف .
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣١٢ اللسان صرم .

من الثوب (١). جاء اللفظ فى الحديث: « إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم» قطع الليل طائفة منه (٢)، يقول المرزوقى « تقول العرب آتيتك بقطع من الليل إذا دخلت فى استحكامه » (٣).

النَّاشئة: والجمع نواشىء ساعات الليل مثل آناء الليل (٤)، وقيل أول ساعات الليل (٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل: ٦).

الهزيع: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لطائفة من الليل نحو ثلثه أو ربعه الجمع هزع بضم الهاء والزاى جاء فى الحديث: « حتى مضى هزيع من الليل » (٦) وقد استعملت الجماعة العربية ألفاظا أخرى عبرت بها عن أجزاء من الليل وساعات منه مثل الوهن والجرس (٧).

* * *

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٤٨ واللسان قطع.
(٢) النهاية ٤/ ٨٣.
(٣) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٥٨.
(٤) انظر ص (١٦٥).
(٥) اللسان نشأ.
(٦) النهاية ٥/ ٢٦٢ اللسان هزع.
(٧) اللسان وهن، جرس.

الفصل الثالث

وعائية الزمان: ألفاظ وتعبيرات

سبق أن أشرنا فى حديثنا عن ثنائية الزمان والمكان إلى أن الأشياء تستمد مفاهيمها وهويتها من الكينونة والصيرورة معا، الكينونة فى المكان والصيرورة فى الزمان(١)، ولقد فطن القدماء من اللغويين والنحاة إلى ذلك فدرسوا ظرفى الزمان والمكان فى قسم المفعولات لأن كلا منهما يشارك الآخر فى الوظيفة التى يؤديها وهى وعائية الحدث، ولعل هذا التصور كان يقف وراء اختيار مصطلح الظرف تشبيها بالظرف الحسى، يقول ابن يعيش: « أعلم أن الظرف ما كان وعاء لشىء، وتسمى الأوانى ظروفا لأنها أوعية لما يجعل فيها وقيل للأزمنة والأمكنة ظروف لأن الأفعال توجد فيها، فصارت كالأوعية لها، والظرف على ضربين ظرف زمان ومكان»(٢)، ويكمل لنا المرزوقى هذا التصور قائلا: «اعلم أن الحادث متى حصل فقد حصل فى وقت والمراد أنه يصح أن يقال فيه أنه سابق لما تأخر وأن وقته قبل وقته، أو متأخر عما تقدمه وأنَّ وقته بعد وقته أو مصاحبا لما حدث معه»(٣).

لقد نجحت هذه التسمية المجازية فى تصوير مفهوم الجماعة العربية عن وعائية الزمان للحدث، وكما نجد الأوعية والأوانى تختلف لاختلاف المادة التى توضع فيها، نجد أيضا أن ألفاظ الزمان، تختلف لاختلاف وقت الحدث ونوعه، فطعام الإنسان الذى فى الغداء غداء، والذى فى العشاء عشاء، والذى فى السحور سحور، وشرابه الذى يشربه فى الصباح صَبوح، والذى فى المساء غَبوق والذى فى

(١) انظر ص (٣٧) من الدراسة. (٢) شرح المفصل ٢/ ٤١.
(٣) الأزمنة الأمكنة ١/ ١٤٢.

نصف النهار قَيْل، والذى فى منتصف الليل فَحْمة والذى فى السحر جاشرية، وسيره فى الغداة غدو والذى فى النهار تأويب وفى المساء رواح وفى الليل إسراء والإدلاج السير فى أول الليل والطروق المجىء ليلا والتعريس نزول السارى ليلا والسَمر الحديث ليلا.

١ – ١ لقد أحست الجماعة العربية الأولى بوقع الزمان على الأشياء وفطنت إلى أن كل ما يقوم به الإنسان من أفعال وما يمر به من أحداث يتميز ويتحدد بالزمان، وأن كل ما فى هذا الوجود يتحرك داخل إطاره، بل إن وجود الإنسان نفسه فى هذا الوجود يخضع لوعائية الزمان، فحياته تتزمن فى أزمنة أو أطوار تصف مراحل نموه الجسمى والنفسى . وكما وضع ألفاظا مختلفة لتميز أوقات الزمان كالساعة، واليوم، والأسبوع، والشهر، والفصل والسنة وضع ألفاظا أخرى تصف مراحل عمره أو مدة بقائه فى الزمان فهو وليد ورضيع فى حضن أمه، وطفل أو صبى إذا درج على قدميه، ومراهق وغلام إذا راهق أو اغتلم، وفتى وشاب إذا اشتد عوده. ورجل وكهل إذا اكتمل وقوى، وشيخ وهرم إذا كبر وضعف[1]، وكما احتفل الإنسان بمجىء العام أو الفصل الجديد أو بأيام مرتبطة بأحداث معينة، نجده يحتفى أيضا بيوم مولده كل عام، ويوم بلوغه ويوم زواجه ويوم موته[2].

يمثل عمر الإنسان أهمية كبيرة فى كثير من المجتمعات الإنسانية لارتباطه بالتكاليف والواجبات الدينية والقانونية والاجتماعية. ولأنه يحدد دوره المؤثر فى المجتمع، ويظهر ذلك فى مجالات مثل ممارسة العمل أو النشاط المهنى، وبلوغه سن الزواج والإنجاب، وقدرته على الانخراط فى سلك الجندية والدفاع عن مجتمعه، وتشير بعض الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن الأعمار ٧، ١٤، ٢١ كانت تمثل أهمية

---

(١) راجع هذه الألفاظ فى مواضعها فى لسان العرب.

(٢) لاحظ حرص بعض الأفراد على حفلات عيد الميلاد وحرص كثير من المجتمعات على إقامة احتفال بمجىء المولود الجديد فى اليوم السابع لمولده، كما نجد مجتمعات أخرى تحتفل ببلوغ الفتى والفتاة. هذا إلى جانب ما نعرفه من الاحتفال بيوم زواجه ويوم رحيله عن الحياة، ونلاحظ أن بعض الجماعات لا تنطق باسم المتزوج أو الميت فى هاتين المناسبتين فهو عريس أو مرحوم فالاسم يتجنب فى الحالة الأولى صونا من الحسد، ويتجنب فى الحالة الثانية هروبا من الأسى.

فى القانون الرومانى فى العصور الوسطى، وهى الأعمار التى تحدد مشروعية العمل والزواج والاشتراك فى القتال[1]، ومن هذا القبيل ما تخبرنا به بعض المصادر العربية، فنقرأ فى الحديث الشريف: « علموا الصبى الصلاة ابن سبع واضربوا عليها ابن عشر »[2]، كما نقرأ حديثا آخر رواه ابن عمر قائلا: «عرضنى رسول الله يوم أحد فى القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى وعرضنى يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى، قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث فقال: إن هذا الحد بين الصغير والكبير، فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة ومن كان دون ذلك فاجعلوه من العيال[3]. وبناء على هذا الحديث كان المجتمع الإسلامى يرى ابن الخامسة عشرة مكلفا بالعمل والجهاد وله حق فى الفىء والغنائم.

تعرف المجتمعات الإنسانية عرفا اجتماعيا يتصل بعمر الإنسان وهو التأكيد على مكانة كبار السن الذين يعهد إليهم المجتمع بتدبير شئونه لأنه كما يقول الشاعر[4]:

إن المشيب رداء الحلم والأدب ... كما الشباب رداء الجهل واللعب

وقد نجد نوعا من النقد والتهكم إذا أهمل المجتمع هذا العرف الإجتماعى وقد صور الشاعر الهذلى ذلك قائلا[5]:

يسودون مُرداً قبل وصل لحاهُم ... وشيخهم طاحى القِباب ثخين

إن كبير السن يصبح فى كثير من المجتمعات رمزا للحكمة لأنه الحكيم الذى يملك خبرة الماضى وتجاربه ليدبر بها شئون الحاضر[6]، ولهذا كثيرا ما تلجأ إليه

---

(١) Interntional Encyclopedia, p. 46, Vol. 16.

(٢) الترمذى المواقيت ١٨٢.

(٣) صحيح مسلم شرح النووى ٥٣٢/٤ ط الشعب .

(٤) البيهقى المحاسن والمساوئ ٣٥٢.

(٥) شرح أشعار الهذليين ٩٧٥/٢.

(٦) ترى بعض المجتمعات الصناعية الحديثة أن كبار السن أفواه عديمة الفائدة وغير قابلة للتكيف مع المجتمع الحديث ولهذا فكبير السن لا يلقى ما يجب من الاحترام وهو فى نظر المجتمع الممل أو الثرثار.

الجماعة فيما تحتاجه وتعامله باحترام وتبجيل[1]، ونقرأ فى حديث عبد الله بن عمر: « لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم فقد هلكوا والأكابر أوفر الأسنان والأصاغر الأحداث »، وفى حديث قيس بن عاصم: اتقوا الله وسودوا أكبركم، وفى حديث القسامة: « الكبر الكبر أى ليبدأ الأكبر بالكلام أو قدموا الأكبر ارشاداً إلى الأدب فى تقديم الأسن[2].

١ - ٢ وكما وضعت الجماعة العربية ألفاظا تصف بها زمان الإنسان أو مراحل عمره، وضعت أيضا ألفاظا تصف بها مراحل عمر الحيوان، ويمكن أن نعطى مثالا لذلك بالإبل التى كانت تمثل أهمية كبيرة فى حياتها، فقد سمت ولد الناقة ساعه مولده سليلا، وإذا كان ذكراً فهو سقب، وإذا كان أنثى فهو حائل، وإذا قوى على المشى فهو راشح وقيل يسمى حوار من ولادته إلى أن يفطم، وإذا أتم الرضاعة وفصل عن أمه فهو فصيل فى السنة الأولى، وإذا لقحت أمه فى السنة الثانية فهو ابن مخاض لها وإذا وضعت أمه بعد سنتين فهو ابن لبون لها، ويسمى فى السنة الرابعة حق بكسر الحاء لأنه استحق أن يركب ويسمى فى السنة الخامسة جَذَعَ بفتح الجيم والذال واللفظ مأخوذ من الجذوعة بمعنى الوقت الذى يستبين فيه السن، ويسمى فى السادسة ثنى لأنه ألقى ثنيته، وإذا كانت أنثى تسمى قلوص وهى منزلة الفتاة من النساء، وإذا كان ذكرا يسمى بكر وهو بمنزلة الفتى من الرجال، ويسمى فى السابعة رباع لأنه ألقى رباعيته وتسمى الأنثى ناقة ويسمى الذكر جمل، ويسمى فى السنة الثامنة سديس لأنه ألقى السن إلى بعد الرباعية ونلاحظ أن هذه التسميات التى تصور عمر الإبل ترتبط بالإسنان فقط، أما إذا خرج نابها فيقال للذكر منها بازل واللفظ مأخوذ من البزول بمعنى الشق، ويقال للأنثى شارف وإذا أتى عليها عام بعد البزول فهى مخلف، كما قالوا القهب للذكر من الإبل بعد البزول، والعود إذا هرم وفيه بقية من قوة وإذا ارتفع عن ذلك فهو قصر، وإذا تكسرت أنيابه

---

(١) انظر جوزيف أوما: أسطورة السن فى المجتمع والأدب الأفريقيين مجلة ديوجين ص١٢-١٨. العدد ٢١ - ١٩٧٢ مطبوعات اليونسكو.

(٢) اللسان سود والنهاية ١٤١/٤ راجع أيضا البخارى باب إكرام الكبير ٤١/٨ ط الشعب.

فهو ثلب، وإذا لم يستطع أن يحبس ريقه فهو ماج، وإذا استحكم هرمه فهو كحكح[1].

لقد جعلت الجماعة العربية أسنان الإبل دليلا على تحديد عمرها، وكأنها قد رأت فى السن رمزا للقوة فى الحيوان، وقد استعارت ذلك للإنسان أيضا، ومن أمثالهم فى السؤال عن الإنسان وخبره «إنّ الجواد عينه فراره» والمثل مأخوذ من قولهم: فررت الفرس أفره فرارا إذا نظرت إلى أسنانه لتعرف عمره[2]، ومن ذلك أيضا قول الحجاج فى خطبته المشهورة حين ولى العراق: ولقد فررت عن ذكاء وتجربة»[3]، ومن هذا قولهم للإنسان: أفتر فلان: أى ضحك فأبدى أسنانه، كما قالت الجماعة العربية للصادق فى حديثه «صدقنى سن بكْره»، وأصل المثل أن رجلا ساوم آخر فى بكر (أى فى فتى من الإبل) ليشتريه فسأل صاحبه عن سنه فأخبره بالحق، فقال المشترى ذلك[4].

لقد استعملت الجماعة العربية السن للدلالة على عمر الإنسان، ومن ذلك قولهم فلان سِن فلان إذا كان مثله فى العمر، جاء فى حديث عثمان ﷺ جاوزت أسنان أهل بيتى أى أعمارهم، وجاء فى حديث على ﷺ: بازل عامين حديث سنى» أى أنا شاب حدث فى العمر[5]، ومن هذا القبيل أيضا قولهم: متى عهدك بأسفل فيك ؟ أى بعهد عهدك بالأمر، كبعد عهدك بالإثغار، وقيل هذا المثل للسؤال عن أمر قديم لا عهد للرجل به[6].

كما نجد الجماعة العربية تضع ألفاظا تصور عمر النبات فسمت أول النبت البارض، وإذا تحرك قليلا فهو الجميم، وإذا عمَّ الأرض فهو العميم وإذا اصفر ويبس فهو الهائج، كما سمت الزرع مادام فى البذر الحب، فإذا انشق عن الورقة فهو

---

(١) انظر ابن سيده المخصص المجلد ٢/سفر ١٩/٧ - ٢٢ الثعالبى فقه اللغة ١١٤.
انظر كريم حسام التحليل الدلالى المجالات الخاصة بأعمار وأوصاف تلك الحيوانات.
الجزء الثانى ط ١ دار غريب.
انظر ايضا أسنان الخيل ٣٧/٧، وأسنان الغنم ١٨٤/٧ - ١٨٦، أسنان البقر ٣٣/٨، أسنان الظباء ٢١/٨.

(٢) اللسان فرر.

(٣) النهاية ٤٢٧/٣.

(٤) النهاية ٤١٣/٢، الميدانى ٢١٣/٢.

(٥) النهاية ٤١٢/٢.

(٦) الميدانى ٣٠٩/٢.

الفرخ، وإذا طلع رأسه فهو الحقل وإذا ظهرت السنبلة فهو سنبل[١]، وإذا أخذنا النخلة التى تمثل أهم أنواع الزروع التى عرفتها الجماعة العربية فستجدها تسمى الصغيرة فسيلة، وإذا صار لها جذع جبارة، وإذا ارتفعت عن ذلك عيدانة، وإذا زادت باسقة، وإذا تناهت فى الطول سحوق، كما رتبت حملها فقالت: أطلعت ثم أبلحت، ثم أبسرت ثم أزهت ثم أمعت ثم أرطبت ثم أثمرت[٢].

لقد رأت الجماعة العربية أن كل ما حولها يتزمن بالزمان، كما سبق أن أشرنا فقطرات الماء الساقطة بالنهار هى الندى، وإذا سقطت فى الليل فهى السدى، وأمطار السنة أول ما يسقط منها الوسمى ثم يليه الربيع ثم الصيف ثم الحميم ثم الرمض ثم الخريف[٣].

١ - ٣ وكما أحست الجماعة العربية بوقع الزمان على الموجودات والكائنات، وأن الإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك يعيش حياته من خلال أطوار زمانية، فقد أحست أيضا أن كل ما يقوم به الإنسان من أنشطة وأفعال يحدث داخل إطارا الزمان، فالاستيقاظ القيام من الفراش فى الصباح، والتهجد القيام من الفراش فى الليل، والقيلولة الخلود إلى الفراش فى منتصف النهار، والهجود الخلود إلى الفراش فى الليل[٤][٥].

وقد سمت الجماعة العربية ما يأكله الإنسان فى اليوم والليلة وجبة، وميزت هذا بالزمان أيضا، فالإفطار وجبة الصباح أو أول ما يأكله الإنسان كما نجد فى الصيام، والغداء وجبة الغدو، والعشاء وجبة العشى، الكرزمة وجبة نصف النهار، والسحور وجبة السحور، أما الشرب فى الصباح فهو الصبوح، والشرب فى العشى الغبوق[٦] ومن أمثالهم: أعن صبوح ترقق ؟ وقولهم: أحال صبوحه على غبوقه[٧]،

(١) الثعالبى فقه اللغة ٣٠٠ - ٣٠٢. (٢) الثعالبى فقه اللغة ١١٣.
(٣) فقه اللغة ٢٧٧ المخصص ٩/٧٩. (٤) انظر الألفاظ فى مواضعها اللسان.
(٥) لاحظ أيضا تعبير الجماعة العربية عن دلالة الانتقال والصيرورة للكائنات والجماعات فى الزمان فأفعال الصيرورة مثل أصبح وأضحى وأمسى وبات وظل.
(٦) انظر الألفاظ فى مواضعها باللسان.
(٧) الميدانى ١/٣٦٧.

والشرب فى نصف النهار القيل أو القيلة: جاء فى حديث خزيمة: وأكتفى من حمله بالقيلة، أى أكتفى بتلك الشربة[١]، والشرب فى السحر الجاشرية.

كما ميزت الجماعة العربية سير الإنسان على الأرض فى إطار الزمان، فالتأويب سير النهار إلى الليل، والغدو السير فى الغداة، والتهجر السير فى الهاجرة، والإسراء السير فى الليل، والإدلاج السير من أول الليل إلى آخره، كما سمت النزول بالمكان بالليل المبيت، والنزول آخر الليل التعريس، والنزول فى الفجر التهويم، والنزول آخر النهار أو وقت القائلة التغوير[٢].

ومن هذا القبيل أيضا تسمية الحديث الذى يدور بين الجماعة فى الليل للتسلية واللهو السمر، والسامر جماعة الحى الذين يسيرون ليلا، وتسمية الضيف الذى يأتيك ليلا الطارق، والضيف الذى يأتيك الجانح سمى بذلك لأنه يكون فى جناحك أى ناحيتك الجانح، وسمت زيارة البيت الحرام فى أى وقت الاعتمار، وزيارته فى موعد محدد كل عام الحج[٣].

وكما سبق أن أشرنا إلى أهمية الإبل فى حياة الجماعة العربية التى تمثلت فى الألفاظ التى وضعتها لتصف بها مراحل حياتها الزمنية، نجد مجموعة أخرى من الألفاظ التى تصور عمل الإنسان ونشاطه مع الإبل التى كانت ترتبط بحياته ارتباطا كبيرا، وهذه الألفاظ ترتبط بالرعى والحلب والشرب كما يلى:

السَّرح: إخراج الإنسان للإبل فى الغداة للرعى.

الإراحة: رد الإنسان للإبل فى العشى إلى سراحها حيث تأوى ليلا، وقد جاء اللفظان فى قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (النحل: ٦)

يقول أبو حيان فى تفسير هذه الآية «يقال أراح الماشية ردها بالعشى من المرعى وسرحها يسرحها سراحا أخرجها غدوة إلى المرعى.. وقدم الإراحة على السرح لأن

(١) النهاية ٤/١٣٤.
(٢) انظر الألفاظ فى مواضعها فى اللسان.
(٣) انظر الألفاظ فى مواضعها فى اللسان.

الجمال فيها أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر بخلاف وقت سرحها وإن كانت في الوقتين تزين الأفنية..»[1].

النَّفش: إرسال الإنسان للإبل فترعى بلا راع فهى إبل نفاش، ولا يكون النفاش إلا ليلا تقول أنفشها إذا أرسلها ليلا ترعى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ (الأنبياء: ٧٨) يقول أبو حيان فى تفسير الآية «النفش رعى الماشية بالليل بلا راع والهمل بالنهار بلا راع»[2].

الهَمل: استعملت الجماعة اللفظ بدلالة الماشية بلا راع نهارا وقيل رعى الإبل بلا راع ليلا ونهارا، كما قالت الجماعة العربية أيضا: استرعى ماله القمر، أى ترك إبله ليلا بلا راع، واسترعى ماله الشمس إذا ترك إبله نهارا بلا راع[3].

التَّحين: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة حلب الإبل مرة واحدة فى اليوم والليلة، والاسم الحينة ومن ذلك قولهم، حيَّن الناقة جعل لها فى كل يوم وليله وقتا يحلبها فيه. جاء فى الحديث: «تحينوا نوقكم » ، أى احلبوها مرة فى اليوم وفى وقت معلوم[4].

العتمة: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الثلث الأول من الليل، واللفظ يرتبط بأصله الاشتقاقى الحبس والمكث أو الإبطاء والتأخير لأنهم كانوا يريحون إبلهم بعيد المغرب وينيخونها فى مراحها ساعة ثم يستفيقونها فإذا أفاقت ومرت ساعة من الليل حلبوها وتسمى هذا الساعة العتمة، والعوائم الإبل التى تحلب فى هذه الساعة، جاء فى حديث أبى ذر ﷺ: «واللقاح قد روحت وحلبت عتمتها» أى حلبت ما كانت تحلب وقت العتمة، وهم يسمون الحلاب عتمة باسم الوقت[5].

---

(١) البحر المحيط ٤٧٥/٥ اللسان سرح.

(٢) البحر المحيط ٣١٧/٦ اللسان نفش.

(٣) اللسان همل وقمر.

(٤) النهاية ٤٧٠/١ اللسان حين.

(٥) النهاية ١٨١/٣ اللسان عتم.

الطلــق: أخذ الإبل ليلا للشرب، ويكون بينها وبين الماء ليلتان سيرا فتسمى الليلة الأولى الطلق حيث يخلى الراعى إبله إلى الماء ويتركها على ذلك للرعى.

القــرب: أخذ الإبل فى الليلة الثانية للشرب.

الغــب: أخذ الإبل للشرب يوما بعد يوم، أو يوما كل ثلاثة أيام.

الظاهرة: أخذ الإبل أو الخيل للشرب كل يوم فى منتصف النهار واللفظ مأخوذ من الظهر[1].

١ - ٤ سبق أن أشرنا فى بداية هذا الفصل إلى تصور الجماعة العربية لوعائية الزمان بمعنى كل ما يحدث للإنسان ويلاحظ تكراره ويتزمن فى وقت قد ضبطته واصطلحت عليه بألفاظ تسمى هذا الحدث وتحدده، من هذه الألفاظ: العيد، الموسم. القرء، الطهر، الموعد.

العيــد: اليوم الذى يرتبط بمناسبة معينة ويجتمع فيه القوم للهو والطعام، سمى بذلك لأنه يعود كل عام والواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها، وقيل سمى بذلك لأن الناس اعتادوا عليه، يقول الأزهرى: العيد عند العرب الوقت الذى يعود فيه الفرح والحزن سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد[2]. يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ (المائدة: ١١٤) قال لهم عيسى عليه السلام: هل لكم فى صيام ثلاثين يوما لله تعالى ثم إن سألتموه حاجة قضاها ؟ فلما صاموها قالوا: يا معلم الخير إن من حق من عمل عملا أن يطعم، أرادوا أن تكون المائدة عيد ذلك الصوم[3]» يذكر القلقشندى تحت باب أعياد الأمم ومواسمها عيدى الفطر والأضحى قائلا: «أعلم أن

---

(١) اللسان طلق قرب غبب ظهر.

(٢) اللسان عود راجع أيضا دلالة لفظ فى الإنجليزية والفرنسية.

La fete, feast

Webester's New world Dictionary

La Rouse Dictionnaire Francais

(٣) البحر المحيط ٥٤/٤.

الذى وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى، والسبب فى اتخاذهما ماروى من أن الرسول ﷺ: قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان ؟ قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد أبدلكم خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر» فأول ما بدئ به من العيدين عيد الفطر وذلك فى سنة اثنتين من الهجرة.. كما يذكر أن الشيعة ابتدعت عيدا ثالثا سموه عيد الغدير وسبب اتخاذهم له مؤاخاة النبى ﷺ لعلى يوم غدير خم بعد رجوعه من حجة الوداع وكان ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة والشيعة يحيون ليلة العيد بالصلاة ويصلون فى صبيحتها ركعتين قبل الزوال وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق العبيد وذبح الأغنام»[1].

الموسم: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذى يجتمع فيه الناس كل عام، سمى بذلك كأنه معلم يجتمع إليه، واللفظ مأخوذ من قولهم: وسم الشئ يسمه وسما أثر فيه بالكى، ويقولون: وسم الناس توسيما: شهدوا الموسم كما يقولون فى العيد عيدوا».

والمواسم جمع موسم وهى أسواق العرب، سميت بذلك لأنها تقوم فى كل سنة مرة، من ذلك قول الهذلى:

بأبيك صاحبُك الذى لم تلْقه بعد المواسمِ واللقاء بعيدُ

ينص المعجم على أن كل مجمع من الناس موسم ومن ذلك موسم منى، جاء فى الحديث: «أنه لبث عشر سنين يتبع الحاج المواسم» أى الأوقات التى يجتمع فيها الناس للحج[2].

القرء: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذى تحيض فيه المرأة أو الوقت الذى يكون بين الحيضتين، واللفظ من الأضداد[3]، وينص المعجم على أن

(١) صبح الأعشى ٢/٤١٦.
(٢) اللسان وسم، شرح أشعار الهذليين ٢/٥٩٧، النهاية ٥/١٨٦.
(٣) انظر ابن الأنبارى الأضداد ص ٨٧.

أبا حنيفة وأهل العراق يقولون: القرء الحيض وحجتهم فى ذلك قوله ﷺ: «دعى الصلاة أيام إقرائك» والإقراء هنا الحيض للأمر بترك الصلاة، وأن الشافعى وأهل الحجاز يقولون: القرء الطهر لأن القرء هو اجتماع الدم فى الرحم وإنما يكون ذلك فى الطهر، ومن ذلك قولهم قرأت الماء فى الحوض جمعته، وقرأت الشئ لفظت به مجموعا، فالقرء على ذلك الطهر لأن النساء يؤتين فى أطهارهن لا فى حيضهن يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، «القرء أصله فى اللغة الوقت المعتاد تردده، ومن ذلك قرء النجم وقت طلوعه ووقت غروبه، يقولون، أقرأ النجم أى طلع أو غرب، وقرء المرأة حيضها وطهرها من الأضداد» وقيل إن القرء يعنى الأنتقال من قولهم قرأ النجم أى انتقل، قرأ الكلام انتقل من حرف إلى حرف فى الكلمة» وقرأت المرأة انتقلت من الحيض إلى الطهر[1] وعلى ذلك يكون معنى ثلاثة قروء ثلاثة انتقالات من الحيض إلى الطهر.

الطُّهر: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذى تعتاد المرأة الطهر فيه ويكون ما بين الحيضتين، جاء فى الأثر عن زيد بن أسلم قال: بلغنى أن عمر بن الخطاب جاءته امرأة فقالت إن زوجها لا يصيبها فأرسل إلى زوجها فسأله فقال: كبرت وذهبت قوتى. فقال عمر: أتصيبها فى كل شهر مرة ؟ قال: أكثر من ذلك قال عمر: فى كم ؟ قال أصيبها فى كل طهر مرة[2] والطهر نقيض الحيض، وهى طاهر أى انقطع عنها الدم، تقول طهرت المرأة رأت الطهر، وتطهرت واطهرت أى اغتسلت جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

الموعد: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الاتفاق على تحقيق الموعود به فى زمان ومكان محددين والجمع مواعيد، يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الكهف: ٥٩) ضربنا لاهلاكهم

(١) السان قرأ، البحر المحيط ٢/١٧٥، النهاية ٤/٣٢.
(٢) اللسان طهر، كنز العمال ١٦/٥٧٥ الحديث ٤٥٩٢٢.

وقتا معلوما والموعد زمان الهلاك[1]، كما أستعملت الجماعة العربية لفظ الميعاد أيضا بهذه الدلالة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولَوْ تَواعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ (الأنفال:٤٢).

٢ - ١ أشرنا إلى زمانية الحدث بمعنى أن كل ما يقوم به الإنسان من فعل أو نشاط يتزمن أى يتم فى إطار زمن يحدده ويميزه، كما أن عمره نفسه عمر غيره من الكائنات الموجودات يتميز بأطوار من خلال الزمان[2]، وإذا كنا قد تناولنا بهذا المفهوم ارتباط الحدث بالزمان الذى يكون وعاء له، فإننا يمكن أن نتناول حدثية الزمان بمعنى أن الزمان الذى يتميز بحوادث وأفعال معينة، اعتمادا على ما يقرره بعض المتكلمين فى تعريفهم للزمان بانه تقدير الحوادث بعضها ببعض كقولك صاح الديك وقت طلوع الفجر، وطلع الفجر وقت صياح الديك فكل واحد منهما صار وقتا للآخر»[3]، وبناء على هذا القول يمكن أن نقدر الزمان بالحدث أو الأحداث التى يمر بها الإنسان، ولعل فى مادة لفظ الحدث - كما يقول أبو حيان التوحيدى - ما يعين ذلك، عندما يقال لأحدهم حدث يا هذا؟ فكأنه قد قيل له صل شيئا بالزمان يكون به الحال»[4] يشير ابن القيم إلى إضافة ظروف الزمان إلى الأحداث الواقعة فيها قائلا: « لما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم من يوم بصفة نفسية ولا معنوية لم يبق تمييزها إلا بالأعداد ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من العدد نحو الإثنين والثلاثاء أو بالأحداث الواقعة فيها كيوم بعاث ويوم بدر ويوم الفتح...»[5].

إننا يمكن أن نرى فى ضوء هذا التصور لحدثية الزمان ارتباط الزمان لدى الجماعة العربية بحدث أو أحداث هامة تعين الزمان وتحدده[6]، جاء فى حديث

(١) اللسان وعد البحر المحيط ٦/١٤٠.

(٢) انظر ص (٨٣) وما بعدها من الدراسة.

(٣) الأزمنة والأمكنة ١/١٣٩.

(٤) الإمتاع والمؤانسة ١/٢٥.

(٥) ابن القيم بدائع الفوائد ١/٨٤.

(٦) لعل هذا هذا التصور لحدثية الزمان جعلهم يستعملون المصادر للتعبير عن الزمان يقول ابن مالك:

قد ينوب من مكان مصدر ... وذاك فى ظرف الزمان يكثر

يقول المرزوقى إنهم أقاموا المصادر مقام الأزمنة نحو أتيته طلوع الشمس، وخفوق النجم وقدوم الحاج، وخلافة فلان ، الأزمنة والأمكنة ١/١٣٨ .

ونقرأ فى المعجم انهم جاءوا بالمصادر على فعال حين أرادوا انتهاء الزمان فى مثل الحصاد اى وقت انتهاء الحصاد، الصرام القطاف كذلك.

الدعاء على قريش: «أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف»[1] وهى السنين السبع الشداد التى أصابت الناس بالقحط والجدب، وجاء ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ (يوسف: ٤٨)، ومثال ذلك أيضا قولهم سنيات خالد التي ضربوا بها المثل فى توالى القحط والجدب وهى سبع سنوات أيضا توالت على المدينة فى عهد واليها خالد بن عبد الملك من قبل هشام بن عبد الملك، وعام الرمادة الذى كان سنة ثمانى عشرة من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب، أصاب الناس فيه القحط حتى صارت وجوههم فى لون الرماد من الجوع، عام الحزن كان سنة عشر من الهجرة وقد مات فيها عم الرسول ﷺ وزوجته خديجة بعده بثلاثة أيام[2] ، وعام الجراد الذى كان فى السنة الثامنة من الهجرة، وعام الخنان[3] الذى كان على زمن المنذر بن ماء السماء، وعام الفيل الذى هاجم فيه أبرهة ملك الحبشة الكعبة بالأفيال كما كانت تؤرخ أيضا بموت هشام بن المغيرة حتى ظهور الإسلام فجعلت هجرة الرسول ﷺ تاريخا للمسلمين[4].

ومن هذا القبيل أيضا ما يذكره البيرونى أن الناس فى عهد الرسول ﷺ قد سموا كل سنة فيما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها له عليه السلام، فالأولى بعد الهجرة سنة الأذن، والثانية سنة الأمر بالقتال، والثالثة سنة التمحيص، والرابعة سنة الترفئة، والخامسة سنة الزلزال، والسادسة سنة الاستئناس، والسابعة سنة الاستغلاب، والثامنة سنة الاستواء، والتاسعة سنة البراءة والعاشرة سنة الوداع، فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة.. »[5].

٢ - ٢ إننا إذا تصفحنا كتب التاريخ والأدب نجد كثيرا من التعبيرات الزمانية التى تحدد الزمان بحدث هام أو شخصية هامة، ومثال ذلك ما نقرأه فى الأغانى أن عمر بن ربيعة قد ولد ليلة مقتل عمر بن الخطاب[6]، وأن أبا جعفر محمد بن على

(١) النهاية ٢/٤١٤.

(٢) نهاية الأرب ١/١٦٧.

(٣) الخنان داء يأخذ الطير والحيوان فى حلوقها وقد انتشر فى ذلك الوقت.

(٤) ابن سيده المخصص ٩/٦٤.

(٥) البيرونى الآثار الباقية ٣٠، ٣١.

(٦) الأغانى ١/٧١ ط الشعب.

المعروف بابن عائشة المغنى قد توفى فى أيام هشام بن عبد الملك، وقيل أيام الوليد[1]. ومن ذلك أيضا حديث الحجاج حين سأل الحسن البصرى ما أمدك ؟ قال: سنتان من خلافة عمر أراد أنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر»[2]. ويبدو أن هذا العرف فى التوقيت لا يزال مستمرا لدى الجماعة العربية حتى الآن. ويشير بعض البحثين المعاصرين إلى ذلك فى معرض دراسته الأنثروبولوجية لقبيلة بنى كبير فى شبه الجزيرة العربية فيقول: «... إن تاريخ ولادة أحدهم يرتبط بإحدى المناسبات الهامة كأن يولد فرد أو مجموعة من الأفراد أثناء وقوع حرب بين قبيلة وأخرى، أو فى حالة هطول أمطار غزيرة تحدث أضرارا بالغة بالدور والأرض، ومثال ذلك قولهم ولد فلان أثناء حرب الغوقة وهى حرب مشهورة وقعت بين قبيلة بنى كبير وقبيلة مجاورة، أو يقال ولد فلان زمن سيل الأربعاء لأنه هطلت فيه أمطار غزيرة وبشكل غير مألوف فأحدثت أضراراً كبيرة يوم الأربعاء فى إحدى السنوات، أو يقال ولد زمن الحميرية وهى صنف ردىء من الحبوب أكله الناس بعد أن أصاب الأرض قحط شديد قضى على المحصولات الزراعية»[3].

ومن هذا القبيل أيضا ما نقرأه فى القرآن الكريم من تعبيرات زمانية فى مثل قوله تعالى على لسان موسى لسحرة فرعون: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ (طه: ٥٩) «يقول أبو حيان: «أى أن يجتمعوا ضحى ذلك اليوم بعينه من مكان مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم[4] فيذكر الزمان علم المكان»[5] وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٨)، يقول أبو حيان: «اليوم الآخر يحتمل أن يراد به الوقت المحدود من البعث إلى استقرار كل من المؤمنين والكافرين فيما أعد لهم، ويحتمل أن يراد به الأبد الدائم الذى لا ينقطع وسمى آخر لتأخره أما عن الأوقات المحدودة باعتبار الاحتمال الأول أو عن الأوقات

---

(١) الأغانى ٢/٦٥٣. (٢) النهاية ١/٦٥.

(٣) سعيد الغامدى البناء القبلى فى المملكة العربية ص٩٩ ط دار الشروق جدة.

(٤) هو يوم وفاء النيل الذى كان يحتفل فيه المصريون القدماء ويعتبر من أشهر أعيادهم.

(٥) البحر المحيط ٦/٢٥٢.

المحدودة باعتبار الاحتمال الثانى»[1] وقوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ (الحج: ٢٨) يقول أبو حيان: «الأيام المعلومات أيام العشر، والمعدودات أيام التشريق الثلاثة، وقال البعض: المعلومات يوم النحر ويومان بعده، والمعدودات أيام التشريق »[2] ، وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٠٢) يقول أبو حيان : « الأيام الثلاثة أيام بعد يوم النحر وقيل: يوم النحر ويومان بعده، وقد أجمع المفسرون على أن الأيام المعدودات أيام التشريق»[3].

٢ - ٣ عرفت اللغة العربية تعابير اصطلاحية[4] تعتمد فى تراكيبها على ألفاظ الزمان، وسنلاحظ أن هذه التعابير التى اتفقت عليها الجماعة العربية كانت نتاج ثقافة الجماعة والتجارب والأحداث التى مرت بها، ونجد أن هذه التعابير قد استعملت كوحدات دلالية مستقلة Semantic unit تؤدى مثل الألفاظ دلالات مختلفة مثل قصر الزمان وطوله، والتفاؤل والتشاؤم، والرخاء والشدة، والوضوح والغموض، والجدة والقدم، وغير ذلك من الدلالات، وفيما يلى بعض هذه التعابير.

أكل الدهر عليه وشرب: استعملت الجماعة العربية هذا التعبير للإشارة إلى القديم من الأشياء، كما استعملته أيضا للإشارة إلى من يطول عمره من الناس، ومن هذا القبيل أيضا قولهم، فلان شمس العصر، أو فلان تنقل مع الفجر أى كبر سنه [5].

دعوة السنة: استعلمت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الشىء النادر الذى لا يتكرر مثل دعوة البخيل، ومن ذلك قول الشاعر[6]:

---

(١) المصدر نفسه ١/٥٥.

(٢) المصدر نفسه ٦/٢٦٥. (٣) المصدر نفسه ٣/١١٠.

(٤) نقصد بالتعبير الاصطلاحى هنا النمط التعبيرى الخاص بلغة معينة يتميز بالثبات ويتكون من كلمة أو أكثر تحولت عن معناه الحرفى إلى معنى مغاير اصطلحت عليه الجماعة اللغوية، انظر مفهوم التعبير الاصطلاحى وانماطه التركيبية كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحى ٢٤ - ٩٢، ٢٦٣ ط الأنجلو المصرية ١٩٨٤.

(٥) اللسان دهر الثعالبى ثمار القلوب ٦٥١. (٦) ثمار القلوب ٦١٦.

إنهـــا دعـــوة السنة   فـــخـــذوها مـــبطنة

لن تعـــودوا لمثلهـــا   وإنهـــا فـــتح خـــرشنة [1]

ومن هذا أيضا تعبير زبدة الحقب الذى يدل على الشىء النادر الذى لا يحدث مثله إلا فى الأحقاب أى فى الزمان الطويل، ومن ذلك قول أبى تمام فى فتح عمورية[2]:

حتى إذا مخض الله السنين لها   مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

ابن الأيام: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الرجل المجرب.

بنات الدهر: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى المصائب والشدائد.

حاطب ليل: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة من يكثر أو يخلط فى حديثه فيجنى على نفسه، أو بدلالة من لا يميز بين الجيد والردىء لأنه يكون كحاطب ليل ربما حمل معه ما لا ينفع أو ما يضر أو يقتل[3].

سنلاحظ هنا أن الجماعة العربية قد استعملت الليل كثيرا فى تعبيراتها ربما يعود ذلك إلى تصورهم له، فاليوم الجديد يولد من رحم الليل ولهذا كان تأريخهم بالليالى، كما ارتبط الليل فى أذهانهم بتصورات مختلفة سبق أن أشرنا إليها[4]، ومن هذه التعبيرات التى اتخذت الليل أساسا لها قولهم:

ليلة القدر: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة الشىء الخفى أو المبهم لاختلاف الفقهاء فى تحديدها، ومن ذلك قول أبى الفتح البستى[5]:

قيل لى قد خفيت قلت كبدر   صار يخفى من بعد أن كان بدرا

أنا خاف كليلة القدر فى النا   س وعال كليلة القدر قدرا

(١) بلدة من بلاد الروم غزاها سيف الدولة.
(٢) ثمار القلوب ٦٤٠.   (٣) اللسان حطب الميدانى مجمع الأمثال ٣/٢١٧.
(٤) انظر ص (١١٠) من الدراسة.
(٥) ثمار القلوب ٦٣٤.

ليلة الميلاد: وهى الليلة التى ولد فيها عيسى ﷺ، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى طول الوقت أو قصره، ومن الأول قول الشاعر[1]:

يا مقيتا يصور اليوم حولا   ساعة منه ليلة الميلاد

ومن الثانى قول أبى نواس[2]:

ليلة كاد يلتقى طرفاها   قصرا وهى ليلة الميلاد

ليلة التمام: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى طول الوقت[3]، ويقال إنها أطول ليلة فى الشهر ومن ذلك قول أمرئ القيس:

فبت أكابد ليل التمام   والقلب من خشية مقشعر

كما نجد تعبيرات أخرى تشير إلى طول الزمان أو الليل مثل ليلة العقرب. قالوا ذلك لأن صاحبها الملدوغ لا ينامها فهى تطول عليه، وليل السليم بمعنى اللديغ وليل الضرير لأنه لا يرى، وليل المحب لأنه لا ينام، وليلة أنقد بالدال المهملة وهو القنفد قالوا ذلك لأنه يبيت الليل كله لا ينام[4].

ليلة صيف: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى قصر الوقت، قال الشاعر:

فلو كنت ليلا كنت ليلة الصيف   من المشرقات البيض وسط الشهر

ومن هذا القبيل قولهم أيضا، سحابة صيف لما يقل لبثه ويخف مكثه لأنها تتقشع بعد قليل [5].

ليلة الصدر: يقولون تركناهم على ليلة الصدر أى لا يملكون شيئا أو ليس عندهم شىء، والتعبير يعود إلى البيئة البدوية التى ترعى الإبل وتسوقها للشرب الذى يسمى الورد، وتسمى عودتها من الماء الصدر حيث لا يبقى على الماء أحد[6].

(١) ثمار القلوب ٦٣٤.
(٢) التشبيهات لأبى عون ٢٩٦.   (٣) ثمار القلوب ٦٣٥.
(٤) اللسان ليل والميدانى ١/١٦٣.
(٥) الأزمنة والأمكنة ٢/٢٧٧ والميدانى ٢/١٢٦.
(٦) اللسان صدر انظر ص (٨٠) من الدراسة.

ليلة السر: وهى الليلة التى يغيب فيها القمر، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الغامض أو القبيح من الناس أو الأشياء. قال أوس[1]:

فلو كنتم مـــر الليـــالى لكنتم ... كليـلة ســـر لا هــلال ولا بدر

ليلة البدر: وهى الليلة التى يكتمل فيها القمر، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الحسن أو الواضح من الناس أو الأشياء، قال زهير[2]:

لو كنت من شىء ســـوى بشـــر ... كنت النــور لـيـلـة البــــدر

ليلة العروس: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الحسن من الناس والأشياء، ومن ذلك قول الشاعر[3]:

وشـــادن فى الحـــسن كـــالطاووس ... أخــــلاقـــــه كليـلة العــــروس

ليلـة حــــرة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى صعوبة الشىء أو العجز عن تحقيقه والتعبير مأخوذ من الليلة التى تزف فيها الفتاة إلى زوجها فتمتنع عليه ولا يقدر على أفتضاضها ومن ذلك قول النابغة[4]:

شـــمس مـــوانع كل ليلة حـــرة ... يخلفن ظن الفــــاحش المغــــيـــار

ليلـــة شيباء: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى سهولة الشىء والقدرة على تحقيقه والتعبير مأخوذ من الليلة التى تزف فيها الفتاة إلى زوجها وتمكنه من نفسها فيقدر على افتراعها، وقالوا أيضا ليلة حرة هى الليلة الأولى من الشهر، وليلة شيباء هى آخر ليلة فى الشهر[5].

هلال شوال: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى ما يسر به الناس

---

(١) التشبيهات لأبى عون ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه انظر ص (٦٨) من الدراسة.

(٣) الثعالبى ثمار القلوب ٣٢٠.

(٤) الميدانى ١/١٧٧ اللسان عرس وحر.

(٥) اللسان شيب زهر الأكم ١/٢٠٨.

أو يحتفلون فيه، والمعنى مأخوذ من مجىء شهر الفطر بعد صيام رمضان، قال ابن المعتز[1]:

فـــخلتـــه والعـــيـــون تأخـــذه ... من كـل فج هــلال شـــــــوال

كما يقول ابن الرومى[2]:

سلب الزمـــانُ جمـــاله عن نفـــســـه ... فــغـــدا وراح ومـــا عليـــه جـــمـــالُ

فكأنه رمـــضـــان فى إخـــبـــاره ... وكـــأنـه فـى جـــوده شـــوال

قمـــر الشتاء: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الوقت القصير أو الشىء الضائع فقالوا أضيع من قمر الشتاء لأنه لا يجلس فيه كما يجلس فى قمر الصيف[3].

٢ - ٤ نجد إلى جانب هذه التعابير الاصطلاحية المركبة من لفظ زمانى مضاف للفظ آخر وتولدت منهما دلالة معينة اتفقت عليها الجماعة العربية صورة أخرى من هذه التعابير التى تتركب من لفظ زمانى مضاف لاسم علم مشهور وتتولد منهما دلالة معينة اتفقت عليها الجماعة العربية[4]، ونلاحظ أن هذه التعابير أيضا ترتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث والخبرات التى مرت بالجماعة، وفيما يلى بعض هذه التعابير.

من البرامكة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الشىء الحسن ورغد العيش، يقول أبو حيان التوحيدى: « إنه قد قيل لرجل صف لنا وليمة فلان. فقال لهم: كأنها زمن البرامكة» أى لحسنها[5].

عام ابن عمار: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى رغد العيش

---

(١) ثمار القلوب ٦٤٨. (٢) ديوان ابن الرومى ٥/١٩٦٢.

(٣) ثمار القلوب ٦٤٨.

(٤) انظر كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحى المضاف من التعابير ص ٢٦٣.

(٥) البصائر والذخائر ٢/٢٩، ثمار القلوب ص ٢٠٢.

والعطاء، يرتبط هذا التعبير بأحمد بن عمار وزير المعتصم الذى أراد أن يحج ذات يوم ويجاور بيت الله الحرام بعد ما عزله الخليفة، فدفع إليه عشرين ألف دينار ليفرقها على أهل الحرمين فى مكة والمدينة، ولما حج ابن عمار فرق هذا المال كله مع عشرة آلاف كانت له، وجاور عاما ثم انصرف فكان الناس يقولون: ما رأينا مثل عام ابن عمار [١].

عام جميلة: استعملت الجماعة العربية التعبير بنفس الدلالة السابقة، يرتبط هذا التعبير بجميلة بنت ناصر الدولة محمد بن مروان التى حجت عام ٣٦٦هـ وفرقت الأموال وأظهرت من المحاسن ما لا يوصف وروى أنها نثرت على الكعبة عشرة الآف دينار وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتى جارية ووصلت الفقراء المجاورين بالصلات الجزيلة فصار حجها تاريخا مذكورا وصار مثلا مشهورا [٢].

سنيات خالد: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة شظف العيش ويرتبط التعبير بخالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم الذى ولى المدينة سبع سنين من قبل هشام بن عبد الملك. فأقحط الناس حتى أجلى أهل البوادى إلى الشام وكان يقال سنيات خالد لا أعاد الله مثلها [٣].

سنو يوسف: استعملت الجماعة العربية هذا التعبير للإشارة أيضا إلى شظف العيش والتعبير مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ (يوسف: ٤٨)، وجاء فى حديث الدعاء على قريش: «أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف» وهى التى ذكرها الله تعالى فى الآية [٤].

يوم عبيد: استعملت الجماعة العربية هذا التعبير للإشارة إلى سوء الطالع والزمان المشئوم، ويرتبط التعبير بقصة عبيد بن الأبرص الشاعر الذى توجه للنعمان بن المنذر فى يوم بؤسه الذى كان لا ينجو من لقيه فيه، كما كان لا يخيب من لقيه فى

(١) ثمار القلوب ٢٠٤. (٢) المصدر نفسه ٢٠٤.
(٣) المصدر نفسه ١٥١. (٤) النهاية ٢/٤١٤.

يوم نعيمه، وتروى لنا المصادر أن النعمان قال: إنك مقبول فأنشدنى من قولك: أقفر من أهله ملحوب... فأنشده قائلا:

أقفر من أهله عبيد ... فاليوم لا يبدى ولا يعيد

ثم أمر بقتله فسار يوم عبيد مثلا: ومن هذا قول أبى تمام [١]:

لما أظلتنى سماؤك أقبلت ... تلك الشهود على وهى شهودى

من بعد ما ظن الأعادى أنه ... سيكون لى يوم كيوم عبيد

يوم حليمة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الأمر الذى يذاع وينتشر، والتعبير مرتبط بقصة حليمة بنت الحارث التى جهز أبوها ذات يوم جيشا لقتال المنذر بن ماء السماء وأمرها أن تخرج معهم حاملة مركنا تطيب به الجنود فى هذا اليوم الذى يعد من أشهر أيام العرب، وفى ذلك يقول النابغة [٢]:

تخيرن من أزمان عهد حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب

ليلة النابغة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى المعاناة والأرق أو طول الوقت، ويرتبط التعبير بقول النابغة الذبيانى فى قصيدته البائية التى يخاطب فيها ابنته:

كلينى لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

أو بقوله فى قصيدته العينية معتذرا [٣]:

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش فى أنيابها السم ناقع

ينقل لنا الثعالبى عن أبى العيناء عن الأصمعى قوله: «انصرفت ليلة من دار الرشيد وأنا أشكو علة ثم غدوت إليه فقال لى: يا أصمعى كيف بت؟ فقلت: بليلة النابغة يا أمير المؤمنين، فقال: إنا لله، هو قوله: فبت كأنى ساورنى... فقلت: والله يا أمير المؤمنين ما أخبرت خبره، وإنما أردت قوله: كلينى لهم يا أميمة...» [٤].

(١) انظر الخبر بالأغانى ١١/١٩٧٠ ط الشعب ثمار القلوب ٢١٥.
(٢) الميدانى ٢/٢٥٩.
(٣) الأغانى ١١/٣٨٠٢، ٣٨٢٦ ط الشعب. (٤) ثمار القلوب ٦٣٤.

ليلة المتوكل: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الأمر الخطير والحدث الجلل، ويرتبط هذا التعبير بالليلة التى قتل فيها الخليفة العباسى المتوكل وقد كانت كما يقول الثعالبى: ثلمة الإسلام وعنوان سقوط الهيبة وكانت ليلة الأربعاء خلت من شوال ٢٤٣هـ ومن ذلك قول الشاعر:

كم آمن متحصن فى جوسق ... قد بات منه بليلة المتوكل

ونجد من هذا القبيل تعبيرات أخرى مثل ليلة الخلافة[1] ويدل التعبير على توالى الأحداث وتتابعها فى آن واحد، وكما يقول الثعالبى هى ليلة لم يتفق مثلها قط وكانت ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول عام ١٧٠هـ فقد مات فى هذه الليلة الخليفة المهدى، وولد فيها الخليفة المأمون، واستخلف فيها الخليفة الرشيد، وخلافة ابن المعتز[2] يشير التعبير إلى ما لا يطول أجله من الناس والأشياء ويرتبط التعبير بابن المعتز لأنه ولى الخلافة يوما أو بعض يوم ثم أدخل الحبس ثم مات وقيل إنه قتل ولم يقدر أحد على رثائه[3].

٢ - ٥ رأينا التعابير الاصطلاحية التى اعتمدت على الإضافة بين الألفاظ الزمانية وألفاظ مختلفة تارة، وأسماء الأعلام تارة أخرى. وقد تنوعت دلالات هذه التعابير وسنرى فيما يلى أن العربية قد عرفت أيضا صورة ثالثة هى المُبنى من التعابير الاصطلاحية، أى التى تبدأ بلفظ ابن أو بنت مضافا إلى اللفظ الزمانى ومن هذه التعابير[4]: ابن الأيام: الرجل المجرب، ابن الليالى: القمر، ابن الليلة: الهلال، ابن ذكاء: الصبح: ابن الدهر: النهار ابنا سمير: الليل والنهار سميا بذلك لأنه يسمر فيهما وقد قالت العرب: لا أفعل ذلك ما سمر ابنا سمير أى لا أفعل ذلك أبدا.

وقالت أيضا ابنا جمير: الليل والنهار سميا بذلك للاجتماع فيهما من مقولهم

(١) ثمار القلوب ١٩٠.   (٢) ثمار القلوب ٦٣٦.

(٣) ثمار القلوب ١٩١.

(٤) رثاه أبو بكر العلاف بقصيدة رمزية ورَّى فيها بهرٍّ خوفا من الخليفة المقتدر قائلا:

يا هر فارقتنا ولم تعد ... وكنت منا بمنزلة الولد

وكيف ننفك عن هواك وقد ... كنت لنا عدة من العدد

انظر القصيدة، نهاية الأرب ٢٩٣/٩.

أجمر القوم على الشىء إذا اجتمعوا عليه وجمير القوم مجمعهم، وقيل إن ابن جمير الليل المظلم وابن سمير الليل المقمر ومن ذلك قولهم: لا أفعله ما جمر ابن جمير. ومن هذه التعبيرات أيضا: بنو الأيام: أهل العصر بنات الدهر: المصائب والشدائد، بنات الليل الأحلام وقيل النساء أيضا [1][2].

ونجد صورة رابعة عرفتها العربية للتعابير الاصطلاحية ، وهى المثنى[3]، ونلاحظ أن هذه الصورة تظهر فى شكل لفظين يغلب أحدهما على الآخر لاتفاق السمين فى صفة معينة كما نرى فى تعبير: «الأبوان» بمعنى الأب والأم بتغليب لفظ الأب، والقمران بمعنى القمر والشمس بتغليب لفظ القمر ومن هذه التعبيرات: الليلان: الليل والنهار، والصباحان: الصباح والمساء، والفجران: المستطيل والمستطير، والعشاءان العشاء والمغرب: والعصران: العصر والظهر والرجبان: رجب وشعبان والصفران: صفر والمحرم.

ونجد صورة أخرى للمثنى من التعبيرت مثل: الردفان: الليل والنهار سميا بذلك لأن كلا منهما يردف صاحبه، الأصرمان: الليل والنهار لأن كل منهما ينصرم من الآخر، الجديدان: الليل والنهار سميا بذلك لأن كلا منهما لا يبلى أبدا، والحدثان: الليل والنهار، الملوان أيضا ، ومن ذلك قول الشاعر : [4]

ألا يا ديار الحى بالسبعان ... مر عليها البلى الملوان

والأبردان: الغداة والعشى، والعصران[5] وقد يراد بهما الليل والنهار جاء فى الحديث من صلى البردين دخل الجنة ». أى الفجر والعشاء، وفى الحديث: « أيضا : «حافظ على العصرين» وهما صلاة الفجر وصلاة العصر لأنهما يقعان فى طرفى النهار[6].

★ ★ ★

(١) انظر كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحى ص ٢٧٥.

(٢) انظر ثمار القلوب ٢٦٤ - ٢٧٠ - ٢٧٥، الأزمنة والأمكنة ٢٥٥/١.

(٣) انظر كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحى ص ٢٨١.

(٤) اللسان سبع .

(٥) انظر هذه التعبيرات فى مواضعها بلسان العرب و قطرب الأزمنة وتلبية الجاهلية ٥٨، المخصص ٥٦/٩.

(٦) النهاية ١١٤/١، ٢٤٦/٣.

الفصــل الرابع

دلالـة الزمـان والسياقـات اللغويـة

سبق أن أشرنا إلى أن بعض اللغويين المحدثين يرى التفرقة بين - مصطلحى الزمـان والزمن، فـالأول يقـابل مـا نعـرفـة فى الإنجليـزية بـاسم Time الذى يقـاس بالثوانى والساعات والأيام والشهور ويعبر عنها بالأسماء الدالة على أوقات الزمان، والثانى يقابل ما نعرفة فى الإنجليزية باسم Tense أى الزمن اللغوى الذى يعبر عنه بالصيغ الصرفية والسياقات اللغوية [(١)].

وبناء على هذه التفرقة بين مفهوم الزمـان والزمن نجد فى اللغة ثلاثة أقسام للزمن:

زمن الأوقـات: الذى نعبر عنه بالأسماء والتعابير التى تحدد أوقات الزمان وتحمل معنى الظرف والمعنى هنا معجمى.

الزمن النحـوى: الذى يشمل الزمن الصرفى الذى يتمثل فى صيغ الأفعال، والزمن السياقى الذى يتمثل فى التراكيب المختلفة والمعنى هنا وظيفى.

الزمن الاقترانى: وهو الزمـان الذى يكون بين حدثين، وهذا الزمـان يفهم من الظروف الزمانية المبهمة التى لا تدل على الزمان الماضى أو المستقبل إلا إذا أضيفت أو اقترنت بالتركيب مثل أبداً، قط، عوض، قبل ، بعد، إذ، إذا، متى، إيان، منذ مذ، الآن، لدن، عند، ريث [(٢)].

---

(١) د. تمام حسان مناهج البحث فى اللغة ص ٢١١ انظر ص (١١٧) من الدراسة وما بعدها.

(٢) انظر هذه الظروف فى مواضعها من لسان العرب.

أبـــداً: ظرف زمان يستعمل لاستغراق النفى أو الإثبات فى المستقبل واستمراره، تقول: لا أكلمه أبداً، أى من لدن تكلمت إلى آخر عمرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ (المائدة:٢٤)، وقوله تعالى: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: ٣٥).

استعملت العربية لفظ الأبد بدلالة الزمان غير المحدد فى المستقبل والجمع آباد فقالوا أبد بالمكان يأبد أبودًا، أقام به لم يبرحه، وقالوا وقف الرجل أرضه رقفا مؤبدا إذا جعلها جسما لا يباع ولا يورث والتأبيد التخليد فتقول لا أفعل ذلك أبد الأبيد أو أبد الآباد[1].

قـــطُّ: ظرف زمان غير منصرف يستعمل لاستغراق النفى فى الماضى، تقول ما فعلت ذلك قط، يقول المرزوقى: قط اسم ينتظم أول الوقت إلى آخر مبلغه منه، وهو عبارة عن أمده ومدته فوجب لذلك أن يكون مضافاً إلى ذى الوقت، كما أضيف إليه قبل وبعد، فلما انقطع عن الإضافة بنى على الضم.

عَـــوْضُ: ظرف زمان لدلالة الزمن فى المستقبل بمعنى أبداً فقول لا أفارقك عَوْضُ أى أبداً، كما يستعمل لاستغراق الزمن الماضى المنفى بمعنى قط فتقول ما رأيت مِثْلَهُ عَوْضُ أى قط، ويبنى اللفظ: إذا قطع عن الإضافة، ويعرب إذا أضيف كما نرى فى هذا التعبير «لا أفعلهُ عَوْضَ العائضين» أى أبد الآبدين.

قَبْــــل: ظرف زمان معرب يلزم الإضافة فإن قُطع عنها بنى على الضم أو نصب منونا، فى مثل قولك: سافر على وسافر أخوه قبلَهُ أو من قبله، وقد يحذف المضاف فيبنى على الضم فتقول: سافر على وسافر أخوه قبْلُ ومن قبلُ ويجوز الإعراب على التنوين فتقول قبلاً ومن قبلٍ، ويجوز تصغير قبْل فتقول قُبَيْل تقول: جاء على قبيْل الظهر أى قبله بزمن يسير.

قد جاء الظرف فى القرآن الكريم مبينا فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٥).

(١) انظر ص ٤٢ ، ٩٣ ، ١٢١ من الدراسة.

كما جاء معربا فى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ (البقرة: ١٩٨).

بَعْــــدُ: ظرف زمان ضد قبل، يلزم الإضافة فإن قطع عنها بُنى على الضم أو نصب منونا، تقول جاء محمد وجاء أخوه بَعْدُ وبَعْداً ومن بَعْدُ، قد جاء معربا ومبنيا فى القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِ﴾ (البقرة:٢٢٧) وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ (٢٣٠: البقرة)، وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ (الروم:٥)، وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٣٣) ويجوز تصغير بعد مثل قبل فتقول بُعَيد لتقريب الزمن الواقع بعد الحدث المقصود التعبير عنه.

إذا: ظرف زمان مبهم يستعمل للمستقبل يتضمن معنى الشرط فى مثل قولك إذا اجتهدت نجحت، كما يتضمن معنى المفاجأة فى مثل قولك خرجت فإذا لصٌّ بالباب، وقد جاء الظرف فى مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١).

إذْ: ظرف زمان مبهم يستعمل للماضى، لا يقع إلا بعد جملة وقد تحذف ويعوض عنها بالتنوين فى مثل قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٣، ٨٤) أى حين إذ بلغت الروح الحلقوم، كما يتضمن الظرف معنى المفاجأة فى مثل قولك بينما أنا جالس إذ جاء صديقى.

متى: ظرف يسأل به عن الزمان المستقبل فى مثل قوله تعالى: ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معا متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (البقرة: ١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل: ٧١).

أيَّان: ظرف يسأل به عن الزمان المستقبل ويكون بمعنى متى، تقول أيَّان تعود أى متى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأعراف: ١٨٧) وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: ٦٥).

مُنْذُ ومُذْ: ظرفان يدلان على ابتداء الغاية فى الزمن، أى إذا أريد تعريف مدته، فى مثل قولك لم أر صديقى مصطفى، فيسألك آخر ما أمد ذلك ؟ يعنى انقطاع الرؤية فتقول منذ أسبوعين أى انقطاع الرؤية كان يوم الخميس.

إذا كان الزمن ماضيا كانتا بمعنى مِنْ فى مثل قولك ما رأيته منذُ يوم الأحد وإذا كان الزمن حاضرا كانتا بمعنى فى مثل قولك: « ما رأيته منذُ الشهر» أى مدة هذا الشهر الحاضر، وإن كان المعنى معدودا كانتا بمعنى من وإلى نحو قولك: « ما رأيته مُذْ ثلاثة أيام» أى من ثلاثة أيام أو إلى ثلاثة أيام.

اختلف النحاة فى الاسم الذى يقع بعدهما فيكون بعدهما مرفوعا فى مثل قولك ما رأيته مذْ يومُ الخميس أو منذ يومان وهما على هذا مبتدآن وما بعدهما خبر، أو يكون ما بعدهما مجرورًا فتقول منذ يوم الخميس ومنذ يومين وقد اعتبرهما ابن هشام حرفين جارين وليسا اسمين والمشهور أنهما ظرفان مضافان للجملة ومُذُ مخففة من منذ والدليل على ذلك أنهم يضمون ذال مذ عند التقاء الساكنين نحو قولك مذُ اليوم ولو لم يكن الأصل الضم لكسرت الذال.

الآن: ظرف زمان يشير إلى الوقت الذى أنت فيه، واللفظ مشتق من قولهم آن الشيء يئين أيناً إذا أتى وقته تقول آن لك أن تفعل كذا أى حان واقترب وقت ذلك، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٧١)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ (النساء: ١٨).

لَدُنْ: ظرف زمان تفيد أول غاية الزمان، كما يدل اللفظ على المكان بمعنى عند وهو مبنى على السكون ويجوز جره بمن وقد تحذف النون فتقول من لدْ صلاة العصر إلى صلاة المغرب، جاء اللفظ فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: ١).

عِنْدَ: ظرف لمكان الحضور فى مثل قولك وقفت عن الباب، ولزمان الحضور فى مثل قولك رجعت عند مغيب الشمس، أو عند الليل ولا يأتى اللفظ إلا ظرفا

منصوباً أو مجروراً بمن فقط فتقول أتيت من عنده، ويدل اللفظ على هذه الفترة ولم يأت فى القرآن إلا بدلالة ظرف المكان فى مثل قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ٥٠) وقوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ (الأنعام: ١٤٨) .

ريث: مصدر من قولك راث يريث ريثا أى أبطأ، يستعمل اللفظ ظرفا بمعنى مقدار المهلة من الزمان مضافا للفعل، كقولك : ريث جاء زيد أى حين جاء زيد، وقف القطار ريثما صعد المسافرون أى مقدار صعودهم وما جلست عنده إلا ريث أشرب القهوة أى مقدار شربى القهوة. جاء فى الحديث : « فلم يلبث إلا ريثما قلت أى قدر ذلك.

سبق أن ذكرنا أن النحاة المسلمين درسوا ظرفى الزمان والمكان تحت عنوان واحد فى قسم المفعولات لاشتراكهما فى وظيفة نحوية واحدة هى وعائية الحدث فهذا حدث فى زمان وذاك حدث فى مكان[١]. ولما كانت الأحداث التى تقع فى حياة الإنسان بعضها جرى فى الماضى وأخرى ستجرى فى المستقبل وثالثة تجرى فى الزمن الحاضر، فقد قسَّم النحاة منذ سيبويه الحدث فى الزمان إلى ثلاثة أقسام، قسم لما كان وهو الماضى، وقسم لما هو كائن لم ينقطع وهو الحاضر، وثالث لما يكون ولم يقع وهو المستقبل[٢]. وهى قسمة تقابل الحدث فى المكان قريب، ومتوسط، وبعيد وتعبر عنه أسماء الإشارة ذا، ذاك، ذلك.

وإذا كان النحاة منذ سيبويه قد قسموا الأفعال هذه القسمة الثلاثية التى تصنف الأحداث إلى أحداث جرت فى الماضى وأخرى ستجرى فى المستقبل وثالثة تجرى فى الزمن الحاضر إلا أننا نرى التناقض الذى وقعوا فيه عندما اصطلحوا على تسمية الفعل الذى يشير للزمن الحاضر بالمضارع فجردوه بهذه التسمية من مفهومه الزمنى، ويعود ذلك إلى أنهم لم يدرسوا الفعل إلا من جهة كونه عاملا، بل أعتبروه أقوى العوامل لأنه الأصل فى العمل وكان هذا على حساب دور الفعل فى التعبير الزمنى، كما أنهم لم يجمعوا بين الزمن والإعراب لأن الزمن ظاهرة ترتبط بالفعل، والإعراب يرتبط

(١) انظر ص (٣٨ ، ١٧٩) من الدراسة.

(٢) انظر سيبويه الكتاب ٢٣/١.

بالاسم لمقولتهم المشهورة « الإعراب أصل فى الأسماء فرع فى الأفعال»، هذا بالإضافة إلى أن الزمن سمة فارقة بين الفعل والاسم فإلى جانب ما يتضمنه الفعل من حدث من جهة مادة الاشتقاق فإنه يتضمن زمنا من جهة شكل الصيغة.

لقد ركز النحاة اهتمامهم على الزمن الصرفى من خلال الصيغ الفعلية المعزولة عن سياقاتها، واعتبروا الزمن الصرفى زمنا نحويا، كما أنهم لم يدرسوا الصيغ الأخرى التى يمكن أن تدل على الزمن مثل المشتقات فى اسم الفاعل فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الكهف:٢٣) والمصادر فى مثل قولنا: التهجد ليلا، ولم يهتموا بدراسة الدلالات الزمنية الدقيقة التى يمكن أن تظهر من خلال السياقات اللغوية المختلفة، كما نرى فى الفعل الماضى أتى ودلالته الزمنية المختلفة فى مثل هذه السياقات القرآنية التى تشير إلى الزمن الحاضر والمستقبل والماضى على التوالى:

﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (طه: ٦٩).

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٩).

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان:١).

كذلك لم يربطوا بين الصيغ الصرفية والسياقات التى تأتى فيها فى مثل هذه التراكيب: بعتك هذه السيارة لمن تحدثه الآن، ودعاؤك لمن مات قائلا: يرحمه الله ونتيجة لهذا الإهتمام بالزمن الصرفى وفصله عن الزمن النحوى أو السياقى نجدهم يدرسون ما يمكن أن يكون قرائن زمنية فى السياق على أنه أدوات تؤدى وظائف إعرابية ولم يذكروا وظيفتها الزمنية إلا عرضا، فلن تعمل فى الأفعال المضارعة النصب فى هذا التركيب: لن يكتب، ولم تعمل الجزم فى هذا التركيب: لم يكتب.

لقد ذهب كثير من المستشرقين نتيجة لذلك إلى أن العربية لم تعرف إلا زمنين صرفيين فى صيغتى فعل ويفعل وكما يقول بعض الدارسين إن عدم اهتمام النحاة بالكشف عن الدلالات الزمنية المختلفة من خلال السياق لا يدل على افتقار العربية

إلى مفهوم الزمان المتكامل كما نراه فى اللغات الأخرى، فاللغة العربية مثل اللغات الأخرى تعرف إلى جانب التقسيم الثلاثى للزمن التقسيم السباعى كما يلى [(١)]:

١ - الماضى	فعل
٢ - قبل الماضى	كان + فعل
٣ - بعد الماضى	كان + قد + فعل
٤ - الحاضر	يفعل
٥ - المستقبل	يفعل
٦ - قبل المستقبل	سيفعل
٧ - بعد المستقبل	سوف يفعل

بل إننا نجد دلالات متعددة فى الزمن الماضى تعرفها العربية كما يلى:

الماضى البسيط	فى صيغة فعل
الماضى البعيد المنقطع	فى التركيب كان فعل
الماضى القريب المنقطع	فى التركيب كان + قد + فعل
الماضى المنتهى بالحاضر	قد فعل
الماضى المتصل بالحاضر	مازال يفعل
الماضى المتجدد	كان يفعل
الماضى المستمر	ظل يفعل
الماضى المتقارب	كاد يفعل[(٢)].

★ ★ ★

(١) انظر د. تمام حسان العربية معناها ومبناها ٢٤٢ - ٢٤٥.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٨ وانظر الدلالات المختلفة للزمن الحاضر والمستقبل.

فهرس الألفاظ والتعابير الدالة على الزمان فى الدراسة (*)

(*) رتبت الألفاظ والتعابير الفبائيا دون تجريد الكلمة لأصلها الثلاثى مع حذف الألف واللام.

أولا: المصادر العربية

ابن الأثير: أبو السعادات، مجد الدين بن المبارك
النهاية فى غريب الحديث. تحقيق د. محمود الطناحى وطاهر الزاوى ط بيروت ١٩٦٥.

ابن الأجدابى: أبو إسحاق، إبراهيم بن إسماعيل:
الأزمنة والأنواء. تحقيق د. عزة حسن ط دمشق ١٩٤٦.

الأصفهانى: أبو عبد الله، حمزة بن الحسن:
الدرة الفاخرة فى الأمثال. تحقيق عبد المجيد قطامش. ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.

الأصفهانى: أبو الفرج، على بن الحسين:
الأغانى تحقيق إبراهيم الإبيارى. ط دار الشعب ١٩٧٣.

البخارى: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:
صحيح البخارى. ط الشعب ١٩٦٨.

البكرى: أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز:
فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال. تحقيق عبد المجيد عابدين. ط دار المأمون دمشق ١٩٨٠.

البيرونى: أبو الريحان، محمد بن أحمد:
الآثار الباقية عن القرون الخالية. تحقيق ساخو. ط ليبزج ١٩٢٣.

الثعالبى: أبو منصور، عبد الملك محمد بن إسماعيل:
ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار نهضة مصر ١٩٨٤.

الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر:
البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. ط الخانجى ١٩٦٩.

أبو حيان: أبو عبد الله، محمد بن يوسف:
التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط. ط الرياض ١٩٧٠.

أبو حيان: أبو محمد، على بن محمد بن العباس:
الهوامل والشوامل تحقيق أحمد أمين. ط القاهرة ١٩٥١.

الرازى: فخر الدين، محمد بن عمر:
المباحث الشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات. ط طهران ١٩٦٦.

الزبيدى: أبو الفيض، محيى الدين السيد بن محمد:
تاج العروس من جواهر القاموس. ط دار صادر بيروت ١٩٨٢.

السكرى: أبو سعيد، الحسن بن الحسين:
شرح أشعار الهذليين. تحقيق عبد الستار فراج. ط مكتبة دار العروبة ١٩٦٩.

ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق:
الألفاظ نشر لويس شيخو. ط المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٥.

ابن سيده: أبو الحسن، على بن إسماعيل:
المخصص. ط بولاق ١٣٣٢.

الطبرى: أبو جعفر، محمد بن جرير:
جامع البيان عن تأويل آى القرآن. ط بولاق ١٣٢٣هـ.
تاريخ الأمم والملوك. ط دار القلم بيروت ١٩٦٨.

ابن عبد ربه: أبو عمر، أحمد بن محمد:
العقد الفريد تحقيق أحمد أمين. ط لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٢.

العسكرى: أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل:
جمهرة الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٦٤.

ابن فارس: أبو الحسين احمد بن فارس:
الصاحبى فى فقه اللغة. تحقيق السيد أحمد. ط الحلبى ١٩٧٧.

الفراء: أبو زكريا، يحيى بن زياد:
الأيام والليالى والشهور. تحقيق إبراهيم الإبيارى. ط دار الكتاب المصرى القاهرة ١٩٨٥.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب:
القاموس المحيط. ط مكتبة التربية بيروت ١٩٥٦.

ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم:
كتاب الأنواء فى مواسم العرب. حيدر آباد ١٩٥٦.
أدب الكاتب تحقيق محيى الدين عبد الحميد. ط التجارية ١٩٥٨.

قطرب: أبو على، محمد بن المستنير:
كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية. تحقيق د. حاتم الضامن. ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥.

القلقشندى: أبو العباس، أحمد بن على:
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. نشر وطبع المؤسسة المصرية العامة عن المطبعة الأميرية.

المبرد: أبو العباس، محمد بن يزيد:
الكامل فى اللغة والأدب. ط المطبعة الأزهرية ١٣٣٩.

المرزوقى: أبو على، أحمد بن محمد:
الأزمنة والأمكنة. ط حيدر آباد ١٣٣٢.

مسلم: أبو الحسن، حافظ بن الحجاج بن مسلم:
صحيح مسلم بشرح النووى تحقيق عبد الله أبو زيد. ط دار الشعب.

ابن منظور: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم:
لسان العرب. ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٠.
نثار الأزهار فى الليل والنهار. ط بيروت ١٩٨٣.

الميدانى: أبو الفضل، أحمد محمد بن إبراهيم:
مجمع الأمثال. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط عيسى الحلبى ١٩٧٧.

النويرى: شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب:
نهاية الأرب فى فنون الأدب. دار الكتب المصرية ١٩٧٦.

ثانيا: المصادر العربية

الألوسى، حسام الدين: الزمان فى الدين والفلسفة بيروت ١٩٨٢.

د. أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ط الأنجلو القاهرة ١٩٦٣.

د. أيوب عبد الرحمن: اللغة بين الفرد والمجتمع ترجمة ط الأنجلو ١٩٥٤.

د. بدوى، عبد الرحمن: الزمان الوجودى. ط النهضة المصرية ١٩٠٥.

د. بشر، كمال: دور الكلمة فى اللغة أولمان ترجمة مكتبة الشباب ١٩٦٤.

بوخلخال، عبد الله: التعبير الزمنى عند نحاة العرب. الجزائر ١٩٨٧.

توفيق، إميل: الزمن فى الفلسفة والعلم. ط دار الشروق ١٩٨٢.

الجبورى منذر: أيام العرب وأثرها فى الشعر الجاهلى بغداد ١٩٨٦.

جلال، شوقى: الأصوات والإشارات كندراتوف ترجمة ط الهيئة المصرية.

د. حسام الدين، كريم: التعبير الاصطلاحى. ط الأنجلو المصرية ١٩٨٥.

المحظورات اللغوية. ط الأنجلو المصرية ١٩٨٥.

التحليل الدلالى أجراءاته ومناهجه ط دار غريب القاهرة ٢٠٠١.

د. حسان، تمام: العربية مبناها ومعناها. ط الهيئة المصرية ١٩٧٣.

الدواخلى، عبد الحميد: اللغة ج فندريس ترجمة ط الأنجلو ١٩٥٠.

د. الراجحى، عبده: اللغة وعلوم المجتمع ط دار الثقافة الإسكندرية ١٩٧٧.

د. رزوق، أسعد: الزمن فى الأدب ميرهوف ترجمة سجل العرب القاهرة

د. زيدان، محمود فهمى: من نظريات العلم المعاصر ط دار النهضة ١٩٨٢.

د. السعران، محمود: اللغة والمجتمع رأى ومنهج ط طرابلس ١٩٥٨.

الصائغ، عبد الله: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام بغداد ١٩٨٢.

لواء صبور، سعد الدين: ٣٦٥ يوما قصة التقويم ترجمة أيروين. النهضة.

د. عبد الحافظ، صلاح: الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى ط دار المعارف ١٩٨٦.

د. عبد الحميد، محيى الدين: الوقت عند صوفية المسلمين رسالة ماجستير.

عبد العزيز، سعد: الزمن التراجيدى فى الرواية المعاصرة ط الأنجلو ١٩٧٠.

فاضل، عبد الحق: تاريخهم من لغتهم. ط بغداد ١٩٧٧.

كامل، فؤاد: ألف باء نسبية برتراند رسل ترجمة الألف كتاب القاهرة ١٩٦٥.

د. لطفى، محمد قدرى: اعرف الوقت رايس ترجمة النهضة المصرية ١٩٦٦.

المطلبى، مالك يوسف: الزمن واللغة (الدراسة فى الزمانين الصرفى النحوى) ط الهيئة المصرية ١٩٨٦.

نالليتو، كارلو: علم الفلك تاريخه عند العرب. ط روما ١٩١١.

ثالثا: الدوريات العربية

مجلة ديوجين عدد ١٥ مطبوعات اليونسكو القاهرة ١٩٧١.

مجلة ديوجين عدد ٢١ مطبوعات اليونسكو القاهرة ١٩٧٣.

مجلة عالم الفكر المجلد ٨ العدد الثانى الكويت ١٩٧٦.

مجلة عالم الفكر المجلد ١٢ العدد الرابع الكويت ١٩٨٢.

مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ١٤ القاهرة ١٩٦٢.

رابعا - المراجع الأجنبية

Bauman, Richard: Exploration in the Ethnography of speaking 1974.

Dixon, R.B. : The Building of Culture, New York, 1928.

Greenberg, Joseph. Language, Culture and Communication, California, 1971.

Hall, Edward: Silent Language, New York, 1955.

Hymes, Dell: Language in Culture and Society, New York, 1964.

Pride, J.B. : Sociolinguistics, Penguin Book, 1962.

Pulman, S.G. : Word meaning and Belief, London, 1983.

Rothwell, Dan: Interpersonal Communication, Ohio, 1975.

Saville, Muriel: The Ethnography of Communication, Oxford, 1982.

فهرس الدراسة

الموضوع | الصفحة

المكتبة اللغوية

★ **صدر منها للمؤلف:**

١ - **أصول تراثية فى اللسانيات الحديثة** ط الثالثة مكتبة النهضة المصرية

٢ - **الإشارات الجسمية** ط الثانية دار غريب

دراسة لغوية لاستعمال أعضاء الجسم فى التواصل

٣ - **التحليل الدلالى جزءان** ط الأولى دار غريب

إجراءاته ومناهجه

٤ - **التعبير الإصطلاحى** ط الأولى مكتبة الأنجلو المصرية

دراسة فى تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته وأنماطه التركيبية

٥ - **الدلالـــة الصوتيـــة** ط الثانية مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢

دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره فى التواصل

٦ - **الزمان الدلالى** ط الثانية دار غريب

دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه فى الثقافة العربية

٧ - **علوم العربية نشأتها ومصادرها** ط الأولى مكتبة دار الرسالة

٨ - **الفصائل اللغوية أصولها وفروعها** ط الأولى مكتبة دار الرسالة

٩ - **اللغـــة والثقافـــة** ط الثانية دار غريب

دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة فى الثقافة العربية

١٠ - **المحظورات اللغوية** ط الأولى مكتبة الأنجلو المصرية

دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ

١١ - **العربية تطور وتاريخ** ط الأولى مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢

١٢ - **معجم اللسانيات الحديثة بالاشتراك** ط الأولى مكتبة لبنان - بيروت

★ **تحت الطبع:**

١ - **دلالة الأفعال.**

٢ - **ظواهر لغوية فى العربية.**